تاريخ المصريين ٥٣

أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات

"من دولة المماليك الجراكسة"

د. محمد كمال الدين عز الدين على

أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات

«من دولة المماليك الجراكسة»

تأليف

د. محمد كمال الدين عز الدين على

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب الهام ، الذى يتناول أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة · وقد كتبه الدكتور محمد كمال الدين على ، مدرس التاريخ الوسيط بكلية الآداب جامعة المنوفية ، ومحقق عدد كبير من كتب التراث ، وبالتالى فهو ذو خبرة فى مجال تخصصه ·

وتتمثل أهمية هذه الكتب فيما كان لها من تأثير بعيد على الكتابة التاريخية فى عصرها ، ، وهى : « المختصر فى علم التاريخ ، للمحيى الكافيجى ، و « تاريخ الرســـل والملوك » لابن الفرات ، و « الجوهر الثمين فى سير الملوك والســـلاطين » لابن دقماق ، و « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، للتقى المقريزى · وجميعها ظهرت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، فيما بين عامى ١٣٧٤ و ١٤٤١ ·

ولاشك أن عرض هذه الكتب يتيح للقارىء الاطلاع على أربعة نماذج من الكتابة التاريخية فى ذلك العصر ، قد لا يتيسر له التعرف عليها الا من خلال هذا العمل العلمى · وفى الوقت نفسه يتعرف على تاريخ هذه الفترة بمنهج تحليلى يكتبه متخصص ·

وتعتبر هذه الكتب الأربعة من المصادر الأســاسية فى كتابة تاريخ هذه الفترة ، ينهل منها الباحثون فى التاريخ الاســـلامى

والوسيط بقدر ما يستطيعون ، ولكنها تحتاج الى جهد جهيد لدراستها والتعريف بها وبمؤلفيها ، للافادة منها فى اعادة صياغة تاريخ مصر • ولم يشأ مؤلف هذا الكتاب التعريف بهذه الكتب فقط ، بل قام بالتعريف بمؤلفيها بدراسات هامة تعد اضافة قيمة يستفيد منها الباحث المختص والمثقف العادى •

ولقد شاء لى حظى أن أتعامل مع هذا النوع من الكتب التراثية في أثناء تأليفى لكتابى « الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية » ، الذى صدر عن دار المعارف فى عام ١٩٨٣ ، واكتشفت صعوبة الاستفادة منها ، لما تحويه من وقائع تحتاج الى تمحيص دقيق وحذر شديد ، ولكنها كانت تبدو المصادر الوحيدة التى لا غنى عنها لكتابة العصر الاسلامى والوسيط، وبالتالى لم يكن مفر من بذل الجهد الشاق لاستخراج الحقائق التاريخية منها • ومن هنا أشفقت على مؤرخى التاريخ الاسلامى الجادين الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة • واعتقد أن الدكتور محمد كمال الدين ، مؤلف هذا الكتاب ، واحد منهم ، وهذا ما دعانى الى الالحاح فى تعيينه مدرسا للتاريخ الوسيط فى كلية الآداب بجامعة المنوفية ، حتى يستفيد بعلمه الطلبة ، وهو ما دعانى ايضا الى نشر هذا الكتاب الجاد فى سلسلة تاريخ المصريين • وأملى أن يجد القارىء فى قراءته ما يبغى من متعة عقلية •

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د • عبد العظيم رمضان

الاهـــــداء

الى روح ابنتى ((ولاء)) فى جنـــات الخــلد
باذن الله .

مقدمـــة

يحتوى هذا الكتاب على دراسة مركزة فى أربعة كتب رائدة ، تنتسب الى أربعة من المؤرخين الأعلام ــ فى دولة المماليك الجراكسة فى مصر ــ كان لها تأثيرها والى مدى بعيد على الكتابة التاريخية فى وقتها ، وهى :

« المختصر فى علم التاريخ » للمحيى الكافيجى (ت ٧٨٩ هـ / ١٤٧٤ م) ، و « **تاريخ الرســـل والملوك** » لابن الفرات ــ الحنفى (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ، و « **الجوهر الثمين فى ســـير الملوك والسلاطين** » لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ، « والمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » للتقى المقريزى » (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ٠

اذ بفضل ظهور الكتاب الأول « المختصـــر فى علم التاريخ » أنشأ « الشمس السخاوى » : « الاعـــلان بالتوبيخ لمـــن ذم أهل التاريخ » ، كما أنشأ « الجلال السيوطى » : « الشـــماريخ فى علم التاريخ » ، فضـــلا عن تأثرهما و « ابن الصـــيرفى الجوهرى » و « عبد الباسط ــ الحنفى » فى منحاهم التاريخى به ٠

كما كان كتابا « ابن الفرات » و « ابن دقماق » موردين موردين رئيسيين لدى من أتى بعدها من المؤرخين ، كالمتقى المقريزى ، وابن حجر العسقلانى ، والبدر العينى ، وابن تغرى بردى ، وقد نقلوا منهما نصا أو ضمنا ٠

أما « المواعظ والاعتبار » ، أو « خطط المقريزى » ، فقد حاز فى وقته ــ وفى وقتنا كذلك ــ اعجابا لا نظير له ، لدى المؤرخين ، الذين وصـــفوا هذا العمل بالتفرد فى بابه ، وعدوه أعجوبة من أعاجيب الكتابة فى حينه ، ونقلوا منه ــ كذلك ــ نصا أو ضمنا ، بحيث لا تخلو كتابة تأريخية واعية عن مصر ــ منذ الفتح العربى لها وحتى سقوط الدولة المملوكية الثانية ــ من منقول أو أكثر منه ٠ بل لقد كان عمدة فى انشاء العديد من المصادر اللاحقة لدى بعض المؤرخين ، ومنهم : « ابن تغرى بردى » ، الذى نقل منه فصولا طويلة فى مؤلفه « البحر الزاخر فى علم الأول والآخر » ، و « ابن أياس ــ الحنفى » ، الذى جعله عمدته فى انشاء كتابيه : « نزهة الأمم فى العجائب والحكم » و « نشق الأزهار فى عجائب الأقطار » ٠

وفضلا عن ذلك ، فهى أربعة من موضوعات الكتابة التاريخية آنذاك ، يمثل أولها (المختصر فى علم التأريخ) فلسفة التاريخ ومنهجيته ، بينما يمثـل ثانيها (تــاريخ الرســل والملــوك) التاريخ العــام ، فيما بين الخليفــة وعصــر مؤلفه ، على حين يمثل ثالثها (الجوهر الثمين) التأريخ للدول من خـــلال تراجم الخلفاء والسلاطين ، ويمثل رابعهـا (خطط المقريزى) التأريخى (لمصر) بجانبيه السياسى والحضارى ، وهى أنماط أربعة من أنماط الكتابة التأريخية ، لاتزال ــ فيما أرى تحتاج الى جهد جهيد فى دراستها والتعريف بها وبمنشئيها ، للافادة فى اعادة صياغة تاريخ مصر ، والتعريف بأعلامه ، والتعرف على سمات المنهج المتبـع ــ آنذاك ــ فى التدوين التأريخى ٠

ويرجع الفضل فى انشاء هذا المؤلف ـ على هذه الكيفية التى يظهر بها الآن ـ بعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ الى ثلاثة من أولى الفضل ، هم على التوالى : أستاذتى الفضلى ، أ٠د ٠ سيدة كاشف ، التى أشرفت على مادة هذا المؤلف ، وكان لها تأثيرها البالغ فى تكوين الفكر التأريخى لدى مؤلفه : وأستاذى الفاضل ، أ ٠ د ٠ عبد العظيم رمضان ـ المؤرخ والناقد الحصيف ـ الذى لولا تشجيعه للعلم والعلماء ولمؤلف هذا المؤلف المتواضع لما خرج هذا المؤلف الى حيز النور ، والى ابنتى الآنسة « ولاء » ، التى كان موتها المفاجىء سببا فى انكبابى على مثل هذه الدراســـة ، مدعاة للتخفف من أحزانى ٠

وعلى الله قصد السبيل ،

محمد كمال الدين عز الدين

(القاهرة ، فى : ديسمبر ١٩٨٩ م٠)

الفصـــل الأول

المحيى الكافيجى وكتابه «المختصر فى علم التأريخ»

المحيى الكـــافيجى (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)

دراســـة حيـــاة

ولد « محيى الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد ابن مسعود(١) ، الرومى ـ الحنفى » ، المعروف « بالكافيجى »(٢)

---

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : ابن تغرى بردى الدليل الشـافى ج٢ ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦ ، المنهل الصافى ج٣ ق ١٠٦ ب ـ ١٠٧ أ ، السخاوى · الضوء اللامع ج٧ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ تر ٦٥٥ ، السيوطى · بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ ـ ١١٩ تر ١٩٨ ، حسن المحاضرة ج١ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ تر ٥٥ ، المنجم فى المعجم ق ٧١ ب ـ ٧٢ ب ، طاشكبرى زادة · مفتاح السعادة ج٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٨ ، ابن العماد الحنبلى · شذرات الذهب ج٧ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ·

(٢) نسبة الى «الكافية» لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م) ، والتى كان يكثر من قراءتها واقرائها ، بزيادة جيم ، كما هى عادة الترك ـ آنذاك فى النسب ·

راجع : السخاوى · الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠ ·

فى بلاد الروم(٣) قبل التسعين وسبعمائة للهجرة ــ تقريبا(٤) ــ ونشأ بها ، متتلمذا على جماعة من العلماء(٥) ، منهم : « البرهان الخافى »(٦) و « الحافظ البزازى »(٧) و « البرهان حيدرة »(٨) و « عبد الواحد الكوتانى » و « الشمس الفنرى »(٩) و « واجد » و « ابن العنزى » و « ابن فرشتا »(١٠) ، وغيرهم · ثم ارتحل الى

---

(٣) تشير مصادر ترجمته الى أنه ولد فى «ككجة كى من بلاد صاروخان» ويقابلها ــ حاليا ــ « كوك جاكى فى الأناضول » ·

راجع : روزنتال · علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ ·

(٤) اشار السخاوى (الضوء اللامع ج٧ ص ٢٥٩) الى ذلك ، موهنا قول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج٣ ق ١٠٦ ب) بأنه ولد سنة « احدى وثمانمائة » للهجرة ·

بينما أرخ السيوطى (المنجم فى المعجم ق ٧١ ب) لمولده جزما بسنة « ثمان وثمانين وسبعمائة للهجرة » ، وتقريبيا (حسن المحاضرة ج١ ص ٥٤٩) بـ « قبل ثمانمائة تقريبا » ·

(٥) لم أهتد الى ترجمة اكثر أساتذته ، كما لم تشأ مصادر ترجمته ان تحصيهم لنا ، او ان تذكرهم ــ غالبا ــ بأسمائهم ·

(٦) هو « أمير حيدر » ، احد تلامذة « التفتازانى ــ راجع . السخاوى · الضوء اللامع ج٧ ص ٢٥٩ ·

(٧) هو « محمد بن محمد ــ الحنفى » ، صاحب الفتاوى ــ راجــع : المصدر السابق ج١١ ص ١٩٠ ·

(٨) ترجمه السيوطى (بغية الوعاة ج١ ص ٥٤٩ تر ١١٥١) باسـم « حيدرة الشيرازى » ، مشيرا الى أنه مات بعد العشرين وثمانمائة ·

(٩) هو « محمد ابن حمزة بن محمد ــ الرومى »(ت ٨٣٤ هـ·/١٤٣١م·) ونسبته الى صنعة « الفنيار » · له ترجمة فى : ابن حجر · انباء الغمر ج٣ ص ٤٦٤ ــ ٤٦٥ تر ١٣ ، السخاوى · الضــوء اللامــع ج١١ ص ٢١٨ ، السيوطى · بغية الوعاة ج١ ص ٩٧ ــ ٩٨ تر ١٥٩ ، طاشكبرى زادة · مفتاح السعادة ج٢ ص ١٢٤ ــ ١٢٦ ·

(١٠) هو « عبد اللطيف بن عبد العزيز » ــ راجع : السخاوى · الضوء اللامع ج١١ ص ٢٦٤ ·

الشام والحجاز – حيث حج أكثر من مرة – والقدس ومصر ، التى دخلها فى أثناء سلطنة « الأشرف برسباى »(١١) (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) ، متخذا من القاهرة موطنا له ، وقد تنزل فى «البرقوقية»، منصرفا الى الاقراء والتدريس والفتوى ، فاجتمع به مشـــاهير علمائها وتلاميذها من سائر المذاهب(١٢) ، كما قصده الطلبة من خارجها(١٣) ، وقد رأوا فيه اجتهادا فى تحصيل العلم ، ودأبا فى تقريره ، وتقدما فى أكثر فروعه ، كالفقه ، والأصول ، والفرائض والكلام ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والصـــرف ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق ، والهيئة ، والهندسة ، والطبيعيات • بحيث عد لدى « السخاوى » : « علامة الدهر ، وأوحد العصر ، ونادرة الزمان ، وفخـــر هذا الـــوقت والأوان »(١٤) ، ولدى « السيوطى » : « اماما كبيرا فى المعقولات كلها »(١٥) ، مما أهله لتولى بعض الوظائف الدينية ، اذ أســـند اليه « الظاهر جقمق »

---

(١١) أشار السخاوى (نفسه ج٧ ص ٢٦٠) الى أن ذلك كان « بعيد الثلاثين وثمانمائة للهجرة » •

(١٢) كابن حجر العسقلانى ، وابن أســـد ، والبدر البلقينى ، والتقى الحصنى ، وابن تغرى بردى ، والسخاوى ، والسيوطى •• اذ كثيرا ما يتردد اسمه فى ترجمات معاصريه من الأعيان والأساتيذ الطلبة •

راجع : ابن تغرى بردى • المنهل الصافى ج٣ ق ١٠٧ أ ، السخاوى • الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠ – ٢٦١ ، السيوطى • التحدث بنعمة الله ص ٢٤٣ – ٢٤٤ ، المنجم فى المعجم ق ٧٢ أ •

(١٣) ابن تغرى بردى • المنهل الصافى ج ٣ ق ١٠٧ أ •

(١٤) السخاوى • الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦١ •

(١٥) السيوطى • بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ ، المنجم فى المعجم ق٧١ ب •

(ت ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) · مشيخة « زاوية الأشرف برسباى »(١٦) فمشيخة الحديث فى تربته(١٧) ، كما أسند اليه « الأشرف اينال » (ت ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م) « مشيخة الشيخونية »(١٨) فظل ــ فيما يبدو ــ على وظائفه تلك الى حين وفاته فى الرابع(١٩) من جمادى الثانية سنة تسع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٤ م) ، بعد تعلل ــ بالزحير(٢٠) وتوالى الاسهال ــ دام نحو الخمسة أشهر ، خالفا

---

(١٦) كان ذلك فى جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة للهجرة (١٤٣٨م·) ، بعد عزل « حسن العجمى » عنها ·

راجع : ابن حجر · انباء الغمر ج٩ ص ٤٧ ، السخاوى · الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠ ·

(١٧) كان ذلك عوضا عن « العلاء الرومى » · ولم يؤرخ لشغله لها كل من السخاوى (نفسه) والسيوطى (بغية الوعاة ج١ ص ١١٧) ·

(١٨) كان ذلك سنة ثمان وخمسين وثمانمائة للهجرة (١٤٥٤م ·) حين أعرض « ابن الهمام » (ت ٨٦١هـ· / ١٤٥٧م·) عنها · راجع : ابن تغرى بردى · حوادث الدهور ج١ ق٢٩٨ ، السخاوى · الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠ ، السيوطى · بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ ، ابن اياس · بدائع الزهور ج٢ ص ٣١٨ ، طاشكبرى زادة · مفتاح السعادة ج٢ ص ٢٧٢ ·

(١٩) أرخ السخاوى (الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦١) لذلك بصبيحة يوم الجمعة ، بينما أرخه السيوطى (بغية الوعاة ج١ ص ١١٨ ، حسن المحاضرة ج١ ص ٥٤٩ ، المنجم فى المعجم ق٧٢ أ) بليلة الجمعة ·

(٢٠) الزحير : ما يصيب المقعدة من أورام صلبة ، مصحوبة بتشققات وقروح ، من جراء الاصابة بالبرد أو البواسير وما اليها · راجع : ابن سينا · القانون فى الطب ج٢ ص ٤٤٧ ــ ٤٤٩ ·

وراء تراثا ضخما(٢١) ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى مترجميه بالفطرة السليمة ، حيث صفاء القلب ، وصحة العقيدة ، وحسن الاعتقاد ، والانهماك فى العبادة ، والصيانة ، والعفة ، والاكثار من الصدقة ، والبذل والكرم ، وحسن العشرة ، وممازحة الصحاب ومداعبتهم وملاطفتهم ، فضلا عن احتمال أذى الأعداء والحلم عليهم، ومزيد الرغبة فى القاء العلم وتقريره(٢٢) ٠

---

(٢١) ذكر السخاوى (الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠) أن تصانيفه زادت على المائة ، واغلبها صغير ٠

بينما أشار السيوطى (بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ ـ ١١٨) الى أن تصانيفه فى العلوم العقلية لا تحصى،وأنه سأله ان يسمى له جميعهاليكتبها فى ترجمته ، فقال : « لا أقدر على ذلك » ، معللا بأن له مؤلفات كثيرة نسيها ، فلا يعرف ـ الآن ـ أسماءها ٠

ولعله لم يترك فى مجال « الكتابة التاريخية » سوى مؤلفين ، هما : « المختصر فى علم التاريخ » ، الذى سوف يعرض له فى الصفحات التالية ، و « النصر القاهر والفتح الظاهر » ، الذى أشار اليه «روز نثال» فى مؤلفه «علم التاريخ عند المسلمين » ص ٣٢٠ ، وهو ما لم أتمكن من العثور عليه ، فضلا عن دراسته وتقويمه ٠

(٢٢) السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٧ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، السيوطى ٠ بغية الوعاة ج١ ص ١١٨ ٠

المختصر فى علم التأريخ

مؤلف لطيف الحجم(١) ، فرغ مؤلفه من تدوينه « ضحى يوم

---

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط · دار الكتب المصرية ، ذات المرقم : « ٥٢٨ ــ تاريخ » ، وتقع فى « احدى وعشرين ورقة » ، مقاسها : ١٤ × ١٨ سم ، ومسطرتها نحو « الخمسة عشر سطرا » ، وقد نسخها « على بن داود الجوهرى » (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م·) بعد ثمانية أيام ــ فقط ــ من انتهاء « الكافيجى » من تحرير مادة الكتاب ·

مع مقابلتها بثلاث نسخ خطية أخرى ، وهى :

فى خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر

(أ) مخط · معهد دمياط الدينى ، ذات المرقم : « ٥٥ ــ تاريخ »، وتقع فى خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وقد نسخها « شرف الدين ، يحيى بن محمد بن على بن محمد بن أحمد الدمسيسى ، الشافعى ، المعروف بسبط الغـــراقى » (له ترجمة فى : السخاوى · الضوء اللامع ج١٠ ص ١٥١ ــ ١٥٢ تر ١٠٢٧) ــ أحد تلامذة « الكافيجى » المختصين به ــ فى الخامس من رمضان ، سنة سبع وثمانين وثمانمائة للهجرة ·

(ب) نسخة ندوة العلماء (لكنو) ، وتقع فى عشرين ورقة ، مقاسها : ٥ر١٣ × ٥ر١٨ سم ، ومسطرتها نحو سبعة عشر سطرا ، يضمها الى غيرها =

مجموع يحمل رقم : « ٣٦١ » ، وقد نسخها « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد ، الديرى الحنفى » (له ترجمة فى السخاوى · الضوء اللامع ج٨ ص ٣٦ تر ١٤) - أحد تلامذة « الكافيجى » وأخصائه - فى الثالث عشر من ذى الحجة ، سنة ثمان وسبعين وثمانمائة للهجرة ·

(جـ) نسخة دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : « ١٨١٤ - تاريخ ، طلعت » ، وتقع فى « احدى وأربعين ورقة » ، مقاسها : ١٦ × ١٢ سم ، ومسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وهى مجهولة الناسخ ، وان أرخت فى آخرها بسلخ جمادى الأولى ، سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة ·

ومع اشتراك هذه النسخ الأربع فى الكثير من الاسقاطات والحذف ، فان النسخة الأولى تعتبر - الى حد ما - سليمة فى معظمها ، فضلا عن أن ناسخها ممن شاركوا فى « الكتابة التأريخية » -تأليفا ونسخا - ولذا كان التعويل فى الاحالة على صفحاتها فى الحواشى دون سواها · وان كان « فرانز روزنثال » قد نشر هذا الكتاب ضمن مادة مؤلفه » علم التأميخ عند المسلمين (راجع : تر ·د· صالح أحمد العلى · بغداد ، ١٩٦٣م · ، ص ٣٢٥ - ٣٧٠) ، اعتمادا على ثلاث مخط · ، هى : مخط · دار الكتب المصرية ذات الرقم · « ٥٢٨ - تاريخ » ، وايا صوفيا رقمى : « ٣٤٠٢ » و « ٣٤٠٨ »

وهى نشرة كثيرة التحريف والحذف ، ويمثل الأول قوله : « ··· وفى أول حكم دور السنة (= السنبلة) ظهر النوع الانسانى » (نفسه ص ٣٥٥) ، بينما يمثل الثانى قوله : « ··· وأول السنة - أعنى المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط ، ولما كان مشتهرا عند القوم اعتبروه ، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات ، فهو يوم الجمعة » (نفسه ص ٣٣٢)، وقوله : « ··· فسميت السنة الأولى من سنى مقام النبى - صلى الله عليه وسلم - (بالمدينة) سنة الاذن بالرحيل ··· » (نفسه) ، وقوله : « ··· فان قلت · هذا الذى ذكرته من علم التاريخ لا يفيد واقعة واحدة بخصوصها بالبديهة ، فضلا عن افادة وقائع كثيرة ، (فيكون)كشجرة لا ثمرة لها » (نفسه ص ٣٣٥) ، وقوله : « ··· وأنت تعلم أن فى (مثل) هذا القول

الثلاثاء ، ثامن رجب سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م »(٢) ، مرتبا له على على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ٠

أما **المقدمة** ، فقد اشتملت على ستة عناصر ، وهى :

١. ـ **الاشادة بفوائد** : « علم التأريخ » ، اذ هو « من جملة العلوم النافعة فى المبدأ والمعاد وما بينهما » ، كما أن « فوائده وغرائبه لا تعد ولا تحصى ، وهو بحر الدرر والمرجان ، لا يحيط بمنافعه نطاق التحديد والتبيان ، وفيه عجائب الملك والملكوت ، وفيه ايصال الى جناب الحق ذى العظمة والجبروت » ٠

٢ ـ **دافعه الى تأليفه** : « ٠٠٠ وقد دعانى الحدب على أهل

=

نوع رمز » (نفسه) ، وقوله : « ٠٠٠ وكذلك كل واحد بخصوصه من كل واحدة من هذه الطبقات معلوم بوجه ، وأما علم كل واحد بعينه من كل واحدة من هذه الطبقات فدون ذلك خرط القتاد ، وشيب الغراب » (نفسه ص ٣٣٨) ، وقوله : « ٠٠٠ ثم دفن بمكة ، فى غار فى جبل أبى قبيس ، (وجبل أبى قبيس) هوأ ول جبل وضع فى الأرض » (نفسه ص ٣٥٤) ، وقوله : « ٠٠٠ وعاشت حواء بعده سنة (واحدة) » (نفسه) ، مسقطا ما بين القوسين ٠ كما لم يفرق فى هذه النشرة بين الشعر والنثر ولذا وردت فيها ثلاثة شواهد شعرية منثورة ، وهى قوله « الرمل »

كل خط ليس فى القرطاس ضاع ... كل سر جاوز الاثنين شاع

وقوله : « الكامل »

والعلم فائدة بلا شبهة ... فا علم ، فعلم المرء ينفعه

وقوله : « البسيط »

ما الفضر الا لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

راجع ص ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٣ من هذه النشرة ٠

(٢) الكافيجى ٠ المختصر فى علم التاريخ ق ٢١ أ ٠

الأدب والأرب الى جمعه فى قوانين الضبط والبيان ، بقدر الوسع والامكان » ·

٣ ــ **عنوان الكتاب** : اتفقت النسخ الأربع على تسميته بـ « المختصر فى علم التاريخ » ، وتطابقت هذه التسمية ــ كذلك ــ وما جاء فى خواتيمها ، وفى ديباجتى نسختى « دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ٥٢٨ ــ تاريخ » و « معهد دمياط الدينى ، ذات الرقم : ٥٥ ــ تاريخ » ، وان أبدل فى ديباجة نسخة « لكنو ، ذات الرقم : ٣٦١ » بقوله : « كتاب علوم التأريخ » ، وديباجة نسخة « دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ١٨١٤ ــ تاريخ » بقوله :« كتاب المختصر المفيد فى علم التاريخ » ، مما يجعل العنوان الأول أولى بالاثبات والتعويل عليه ·

٤ ــ **تنظيم مادة الكتاب** : « ورتبته على ثلاثة أبواب » ·

٥ ــ **الغرض من تأليفه** : « اتحاف الاخوان » ، « راجيا من الله ــ تعالى ــ الذكر الجميل فى الأولى ، والأجر الجزيل فى الأخرى » ·

٦ ــ **الاحتياط لما هو بصدد الكتابة فيه** : اذ أن جمعه لمادته « بقدر الوسع والامكان » ، كما أن جامعه « بمراحل من جانب التصدى لذلك الخطب العظيم الشأن » ·

وأما **الأبواب الثلاثة** ، فقد جعل **الأول** منها « **فى مبادىء علم التاريخ** » ، باحثا فيه نقاطا عشرا ، وهى :

١ ــ **التعريف بلفظة « التأريخ » لغة** : « تعريف الوقت » واصطلاحا : « تعيين وقت لينسب اليه زمان مطلقا ، سواء كان قد مضى ، أو كان حاضرا ، أو سيأتى » ، أو « تعريف الوقت باسناده الى أول حدوث أمر شائع ، كظهور ملة ، أو وقوع حادثة هائلة ،

من طوفان أو زلزلة عظيمة ، ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية » ، أو « مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات اخرى » ·· وتلك تعريفات اصطلاحية ثلاثة للفظة « التاريخ » مقابلا بها معناها اللغوى ، وان لم يترجح أى منها لدى مؤرخنا ، ايمانا منه بأن « كل أحد له أن يصطلح على مايشاء ، كيف يشاء ، لغرض صـــحيح » ، فضلا عن أنه « لكل أحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه » ، فانه لا يدعنا دون التعريف بالتاريخ كعلم : « ··· أما علم التاريخ ، فهو علم يبحث فيه الزمان وأحواله ، وعن أحوال مايتعلق به ، من حيث تعيين ذلك وتوقيته » ، وكان قد انتهى قبل الى أن الفرق بين التاريخين : اللغوى والاصطلاحى « بالعموم والخصوص فاللغوى أعم من التاريخ الاصطلاحى عموم الحيوان من الانسان » ·

٢ ــ **التعريف بالزمان** : « الوقت ، أو مقدار الحـــركة » ، والميقات : « الوقت ، أو الموضع المعين لأمر من الأمور » ، والتوقيت : « تحديد الأوقات » ، والموقت : « مفعل من الوقت » ·· منتهيا الى أن « الزمان » هو الذى يحتاج « أهل التاريخ » الى معرفته ·

٣ ــ **التعريف بأقسام الزمان** ــ لغويا وفلكيا ــ من سنة (شمسية أو قمرية) ، وشهر ، ويوم ، وليل ، ونهار ، وساعة (مستوية أو زمانية) ·

٤ ــ **السبب في اتخاذ المسلمين التاريخ** (الاختلاف زمن عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فى صك محله شعبان ، فلم يدرى أى الشعبان هو) ، والاشارة الى ان لفظة « التاريخ » معربة عن « ماه روز » الفارسية ·

٥ ــ **العلة في التاريخ من لدن الهجرة** : « ·· فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ،

بخلاف وقت وفاته - صلى الله عليه وسلم - وان كان معينا ، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التاريخ ، فان جعله أصلا غير مستحسن عقلا ، لكن جعل وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملة الاسلام ، وتوالى الفتوح ، وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين أصلا أولى ، لأنه مما يتبرك به ويعظم وقعه فى النفوس » ·

وان كان هذا التاريخ مراعاة للسنة - فقط - دون غيرها ، فالهجرة كانت « يوم الثلاثاء ، لثمان خلون من شهر ربيع الأول » وأول السنة هو « المحرم » ·

٦ - **التاريخ لاتخاذ المسلمين « التاريخ » - بعد أن « كانوا** يسمون كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها ، ويؤرخون بها » بسنة « سبع عشرة » للهجرة ·

٧ - **حصر التواريخ المشهورة فى زمن مؤرخنا فى :** « سنة تاريخ الهجرة ، والروم ، والفرس ، والملكى ، واليهود ، والترك » ·

٨ - **تحديد موضوع « علم التاريخ » :** « ··· وأما موضوعه ، فهو أمور حادثة غريبة ، لاتخلو من مصـــالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال ، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد ، وتقرير تعيين ، وتوقيت لغرض صحيح فى ذلك ، كوقائع متعلقة بالأنبياء والرسل ·· وكسائر حوادث الأمور السماوية والأرضية ، من حدوث ملة وظهور دولة وزلزلة وطوفان وموتان ، الى غير ذلك من الحوادث الصائلة العظام ، والأمور الهائلة الجسام » ·

٩ - **التعليل لوجوب الاحتياج الى « علم التاريخ » ، اذ هو** «واجب على سبيل الكفاية ، كوجوب سائر العلوم ، لضبط زمن المبدأ والمعاد وما بينهما » على وجه كلى معتبر فيه ، لدوران الأحكام مع المصالح وجودا وعدما ·

ولا يقدح فى الاحتياج اليه استغناء الأوائل عن تدوينه ، لانسحاب ذلك على غيره من العلوم ، فضلا عن كونهم « فى زمان صدق وصفاء ، عارفين ماسنح لهم من الأمور والوقائع » ، « وقد كانت الحوادث قليلة فى ذلك الزمان ، وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت جدا فى هذا الزمان » .

١٠ ـ **الشروط الواجب توافرها فى المؤرخ** : « ... وينبغى أن يشترط فى المؤرخ مايشترط فى راوى الحديث من أربعة أمور : العقل ، والضبط ، والاسلام ، والعدالة . لكون كل واحد منهما معتمدا فى أمر الدين ، أمينا فيه ، ولتزداد الرغبة فى تأريخه ، وللاحتراز عن المجازفة والافتيات ، فيحصل له الأمن من الوقوع فى الضلالة والاضلال » . وان جوز للمؤرخ رواية « القول الضعيف » فى باب الترغيب والترهيب والاعتبار ، شريطة التنبيه على ضعفه ، واصطحابه بمستند له فيه ، من سماع أو اقراء أو اجازة أو مناولة أو كتابة أو وجادة .

بينما جعل **الباب الثانى « فى أصول علم التاريخ ومسائلة »** ، وقد أشير من خلاله الى أن مقصود المؤرخ نوعان : « نوع مقصود أصلا وبالغرض » ، وهو ضبط الانسان فى طبقاته الثلاث : العليا (الأنبياء والرسل) والوسطى (الأولياء والمجتهدين والأبرار) والسفلى (من عداهما) على وجه معتبر ، و « نوع مقصود تبعا وبالغرض » ، فاذا أراد المؤرخ تأريخ واحد بعينه من كل واحدة من هذه الطبقات يحصل له ـ حينئذ ـ عنده اعتبارات ممكنة عقلا ، وحالات محتملة ، سواء كانت واقعة فى نفس الأمر أو ليست بواقعة ، وسواء كانت ممكنة الاجتماع فى الواقع أولا . وتلك الاعتبارات يمكن حصرها استقرائيا على سبيل غلبة الظن فى خمسة أوجه ، وهى :

(أ) اعتبار وجه الحضور والعيان ٠

(ب) اعتبار وجه العلم واليقين ٠

(جـ) اعتبار وجه غلبة الظن ٠

(د) اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح ، وفيه يكون التأريخ مع التنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ، وتكون العلة فى تأريخه منحصرة فى الرغبة فى الاطلاع على ما فيه ، اذ « العلم فائدة بلا شبهة » ، و « السعى والاجتهاد انما هو بحسب الطاقة والامكان » ، و « مالا يدرك كله لا يترك كله » ، فقد يظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد وان لم يترجح فى حينه ، اذ انتفاء التصديق به لا يستلزم انتفاء تصديق به فى الجملة ، فضلا عن انتفاء تصوره ٠

(هـ) اعتبار وجه غير هذه الوجوه الأربعة السالفة ، وهو ممالا ينصح « الكافيجى » بتأريخه ـ نفيا أو اثباتا ـ « للاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت » ، ولئن أرخ بين حاله بأنه مجهـول عنده ، مع الاعتراف بالعجز عنه ، « اذ ربما يحصل الاطلاع عليه فيما بعد وان لم يحصل الاطلاع عليه فى الحالة الراهنة » ، كما ذكر فى الذى قبله ٠

تلك هى « نظرية الكافيجى » فى « علم التأريخ » ، وهى مما شاء أن يدونه مختصرا ، وقد اقتضبت عناصرها فيما هو أشبه برؤوس الموضوعات ، مع تنبه الى ذلك وتوكيد عليه : « ٠٠٠ ولولا خوف سآمة الخواطر من الاطناب لذكرنا ههنا غرائب وعجائب تسر بها خواطر أولى الألباب ، لكن فيما ذكرنا كفاية لكل ذهن سـليم وقاد ، وارشاد لكل طبع مستقيم نفاذ » ٠

ولايدعنا « الكافيجى » بصدد نظرية مجردة ، دون أن يوجد لها التطبيق الذى تضطرد معه وتقاس به ، « فاذا فرغنا من تقرير

القواعد والأصول ، فلنشرع لايضاحها فيما يتعلق بها من رجال الطبقات الثلاث ، على سبيل الأنموذج والايجاز » ، جاعلا من باقى مادة الباب الثانى مادة لهذا « الايضاح » ، حيث تطرق الى ذكر الأنبياء ، من خلال التحدث عن ثلاثة منهم ، وهم : « آدم » و « نوح » و « محمد » ـ صلوات الله عليهم ـ وان تخللت مادة الحديث عن أولهم استطرادات عديدة ، اشتملت على : بيان الأمور السبعة المخصوصة بالأنبياء (القربان ، والسفينة ، والسلسلة ، والنار ، والصاع ، والحفرة ، والقلم) ، خلق الكون وتاريخه ، التفرقة بين الجان والجن ، قصة ابليس فى طوريه ، ملك الموت وقبض الأرواح المؤمنة والكافرة ، التعليل للاختلاف بين البشر فى الألوان والأخلاق .. ثم تبع ذلك بالتاريخ المقتضب جدا(٣) لدولة الخلافة الراشدة ، والتعريف بائمة المذاهب السنية الأربعة .

أما الباب الثالث ، فقد جعله « فى بيان شرف أهل العلم ، وفى فضل العلم ، وفى بيان مايفيد التذكير والاعتبار » ، مدللا على صحة المقصد الأول بالقرآن ـ الكريم ـ والسنة والأثر والمعقول ، منتهيا الى « أن لذة العلم أعظم اللذات ، كما أن ألم الجهل أشد الآلام » ، مقرنا ذلك بقصتين قصيرتين تأتيان فى باب « التذكير والاعتبار » ، مع سهولة مأخذهما ، والوقوف على مغزاهما ، وهما :

(١) قصة « العنقاء » ـ طير معروف الاسم مجهول الجسم ـ مع سليمان ـ عليه السلام ـ ومغزاها أن الايمان بالقضاء والقدر أمر حتمى لا مفر منه .

---

(٣) اذ اكتفى فى التأريخ للخلفاء بذكر الأسماء مجردة ـ دون تتبع سلسلة نسبهم ـ والتنبيه على صحة خلافتهم ، وتقدير أعمارهم حال الوفاة .

(ب) قصة « ذى القرنين » و « درفائيـــل » ، والبحث عمـا يسمى : « عين الحياة » ــ وهى عين « من شرب منها شربة لا يموت حتى يكون هو السائل للموت » ــ ومغزاها دفع ماجبلت عليه النفس الانســـانية من النهم والرغبة فى التملك وحيازة الدنيا ، وتوكيدا لقوله عليه السلام : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » ٠

ولذا يؤكد مؤرخنا تلو هذا فى عنصر مستقل على « أن كل أحد ينتقل من هذه العوالم الجســمانية الملكية الى جناب تلك العوالم الروحانية النورانية البرزخية الملكوتية ، ويحيى أثره ، ويبقى ذكره فى هذا العالم بالتأريخ والحديث ، ولاشىء يدوم » ، فلا أقل من أن يكون « حديثا جميـــل الذكر » ٠٠ متطرقا الى مزية « التأريخ » وضرورة الاحتياج اليه بما هو أدخل فى مجال المدح له ، خاتما هذا الباب بالاشادة بمصر ، وبيان ما اختصت به من الأمن والبركة ، وما أضفاه عليها موقعها بصدد ذلك ٠

وأما الخاتمة ، فقد شغلت عدة سطور ، أريد بها التأريخ لفراغ مؤلفه من تحريره ، على نحو ما نبه اليه قبل ٠

أســـلوب الـــكتاب :

أسلوب الكتاب ــ فى غالبه ــ سليم الى حد كبير ، وهو أدخل فى المجال « العلمى المتأدب » منه فى مجال « الأدب » ، بحيث تداعت فيه معطيات العلم والأدب ، توكيدا لنظرية « الكافيجى » وتقريرا لعباراتها ، فبان « الكافيجى » من خلاله صـــاحب مهـــارات ٠

تفسيرية(٤) ، حديثية(٥) ، فقهية ، كلامية ، وعظية ، أدبية(٦) ، لغوية(٧) ، نحوية ، بلاغية ، فلكية ، الى جانب مهاراته التاريخية ٠

مصـــــادر مادة الكتاب :

لم يشأ مؤرخنا أن يصرح بمصادر كتابه فى خطبته ، أو أن ينسب اليها من خلال مادته ، اللهم الا فى ثلاثة مواضع ـ فقط ـ نسب فى أولها الى « الشيرازى » (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) ، صاحب كتاب « نهاية الادراك فى دراية الأفلاك » ،وفى ثانيها الى « السيف الآمدى » (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) ، صاحب كتاب « أبكار الأفكار » ، وفى ثالثها الى « الجوهرى » (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) ، صاحب كتاب « الصحاح فى اللغة » ٠

لكن استقراء مادة الكتاب يشير الى اعتماده ـ فضلا عن ذلك ـ على « عرائس المجالس » للثعلبى ، و « فضائل مصر »(٨) لعمر بن

---

(٤) اذا استشهد فى مواضع متفرقة من الكتاب بثلاثة وأربعين آيـــة قرآنية ، أو جزء من الآية ، مقرنا بعضها بآراء تفسيرية ٠
راجع : المصدر السابق ق٧ أ ، ١٠ ب ، ١٣ أ ٠

(٥) اذا استشهد بخمسة عشر حديثا نبويا ـ على اختلاف درجاتها ـ فى مواضع متفرقة من الكتاب ٠
نفسه ق٦ ب ، ٩ ب ، ١١ ، ١٥ أ ، ١٧ ب ، ٢٠ ب ٠

(٦) اذ استشهد بتسعة شواهد شعرية فى مواضع متفرقة من الكتاب ٠
نفسه ق ٣ ، ٨ ب ، ١١ أ ، ١٧أ ، ١٨ ٠

(٧) اذ كان حريصا على اقتران المعنى الاصطلاحى بالمعنى اللغوى ٠
نفسه ق ٣ ب ، ١٢ أ ٠

(٨) نقل « الكافيجى » عنه فى الباب الثالث من الكتاب ، فيما تعلق بالاشادة بمصر وبيان ما حبيت به من ميزات (المختصر ق٢٠ ب ـ ٢١ أ = ابن الكندى ٠ فضائل مصر ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٤٥) ٠

محمد بن يوسف الكندى ، بالاضافة الى القرآن ــ الكريم ــ والحديث النبوى ــ الشريف ــ وما اتصل بهما من معارف ٠

تقــويم مــادة الــكتاب :

يعد هذا الكتاب ــ وان اقتضبت مادته اقتضابا جعلها فى كثير من جوانبه أشبه برؤوس الموضوعات ــ مهما فى بابه ، لكونه الكتاب التراثى الوحيد ــ فيما أعلم ــ المؤلف فى « مصطلح علم التاريخ » مستوفيا لجانبيه النظرى والتطبيقى ، اذ ما سبقه لايعدو كونه فصولا مطولات فى صدر بعض الموسوعات التأريخية ، على النحو الوارد فى كتابى « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « الوافى بالوفيات » للصفدى ، وما أثبته « ابن خلدون » فى مقدمته ٠

كما كان فاتحة للتأليف المستقل فى موضوعه ــ مع الفارق فى استيفاء عناصر الموضوع ــ بحيث ألف « الســخاوى » كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » ، وألف « السيوطى » كتابه « الشماريخ فى علم التاريخ » ، استمدادا منه ، واضافة الى عناصر مادته ٠

ومهما قيل فى تضــعيف أكثر أمثلة الجانب التطبيقى منه ، وتفاهة موضوعاتها(٩) ، وقرب مأخذها ، فان اثباتها على هذه الكيفية كان موجها بمنهج علمى مدرك لدى مؤرخنا ، أريد به التأريخ لرجال الطبقات الثلاث (العليا ، والوسطى ، والســفلى) بتلك الوجوه الخمسة المبحوثة فى الجانب النظرى من الكتاب ، مع معالجة صيغ الكتابة المقترنة بها ٠

---

(٩) راجع : روزنتال ٠ علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ ٠

الفصـــل الثـــانى

ابن الفرات وكتابه «تاريخ الرسل والملوك»

ابن الفرات

(٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ / ٤ ـ ١٣٣٥ ـ ١٤٠٥ م)

دراســـــة حيـــــاة

ولد « ناصر الدين ، محمد(١) بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد »(٢) ، المعروف بابن الفرات ، المصرى ، الحنفى سنة (٧٣٥ هـ / ٥ ـ ١٣٣٥ م) ٠ فى مصر ، لعائلة ذات مكانة محترمة فى مجتمعها ٠

---

(١) ترجمته ـ هنا ـ ماخوذة عن : ابن حجر ٠ انباء الغمر ج٢ ص ٣١٢ تر ٢٣ ، ذيل الدرر الكامنة ق ١٨٧ ، المجمع المؤسس (مخط ٠ مكتبة بلدية الاسكندرية) ق١٧٠ ، ابن فهد المكى ٠ لحظ الألحاظ ص ٢٤٢ ، ابـن تغرى بردى ٠ الدليل الشافى ج٢ ص ٦٣٦ تر ٢١٨٧ ، المنهل الصافى ج٢ ق١١٩ ، السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٨ ص ٥١ تر ٥٨ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج١ ص ٥٥٦ تر ٢٢ ، ابن العماد الحنبلى ٠ شذرات الذهب ج٧ ص ٧٢ ٠

(٢) استفيد هذا المنسب مما ذكره مؤرخنا (التاريخ ج٨ ص ٢١٨ ، ج٩ ص ٣٦٣) فى سياق نسب بعض أقاربه ٠

فجده لأبيه «نور الدين ، أبو الحسن ، على»(٣) (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م) • كان مسند رحلة ، يحدث عن « القطب القسطلانى»(٤) بقطعة من جامع « الترمذى » •

كما كان شقيقه « شمس الدين ، محمد بن الحســن » (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م) ــ عم أبيه(٥) ــ عالما بصناعة التوقيع ، يكتب ويوقع عن قضاة القضاة فى الديار المصرية •

وكان أبوه « عز الدين ، عبد الرحيم »(٦) (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م) • فقيها محــدثا ، اشــتغل بتدريس الفقة الحنفى فى « الحسامية »(٧) ، والاعادة فى « المنصورية »(٨) ، وناب فى الحكم عن بعض قضاة القضاة فى الديار المصرية ، وشهر بالاجادة والتمهر فى الشروط والفتيا •

---

(٣) له ترجمة فى ابن رافع • الوفيات ج١ ص ٤١٣ ــ ٤١٤ تر ٣١٢ ، ابن حجر • الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٠ تر ٩١ •

(٤) هو « قطب الدين ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن على بن محمد ابن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون ، التوريزى ، المصرى »(ت ٦٨٦هـ• /١٢٨٧م •) •

راجع : ابن الفرات • التاريخ ج٨ ص ٥٩ ــ ٦١ •

(٥) له ترجمة فى : ابن الفرات • نفسه ج٨ ص ٢١٨ •

(٦) له ترجمة فى : ابن رافع • الوفيات ج١ ص ٣٩١ تر ٢٨١ ، القرشى الجواهر المضية ج٢ ص ٤١٤ تر ٨٠٣ ، المقريزى • السلوك ج٢ ص ٥٥٣ ، ابن حجر • الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٥٨ تر ٢٣٩٧ ، ابن تغرى بردى • النجوم الزاهرة ج٩ ص ٢٢٦ •

(٧) مر التعريف بها ، راجــع : ج١ ص ٣٣٥ ، حاشــية ٣ من هذا البحث •

(٨) نسبة الى المنصور قلاوون ، راجع : المقريزى • الخطط ج٢ ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ •

وكان عمه « صدر الدين ، عبد الخالق »(٩) (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م) مدرسا للفقه المالكى فى « المنكوتمرية »(١٠) ، ومعيدا فى « القبة المنصـــورية »(١١) ، واماما فى ايوان المالكية بالمدرســة الصالحية(١٢) ، وموقعا عن قاضى القضاة الشــافعية فى الديار المصرية ٠

أما مؤرخنا « ناصر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا أنه أسمع حدثا على « أبى الفرج بن عبد الهادى »(١٣) و « أبى الفتوح الدلاصى »(١٤) و « أبى بكر بن الصناج »(١٥) و « أبى بكر بن

---

(٩) له ترجمة فى ابن الفرات ٠ التاريخ ج٩ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ٠

(١٠) نسبة الى الأمير منكوتمر الحسامى (ت ٦٩٨هـ٠/١٢٩٨م٠) ، وكانت محلا للتدريس فى فقهى المالكية والحنفية ٠
راجع : المقريزى ٠ الخطط ج٢ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ٠

(١١) نسبة الى المنصور قلاوون ـ راجع : المقريزى ٠ الخطط ج٢ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ٠

(١٢) نسبة الى الصالح نجم الدين أيوب ، وكانت محلا لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة ٠
راجع المقريزى ٠ الخطط ج٢ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ٠

(١٣) هو « عبد الرحيم بن محمد بن عبد الهادى » ـ راجع : ابـن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج٣ ق١١٩ ٠

(١٤) هو « نجم الدين ، أبو المحاسن ، يوسف بن محمد بن محمد بـن أبى الفتوح القرشى ، المعروف بالدلاصى » ، مؤذن جامع عمرو بن العاص ، وكان السماع عليه فى شوال سنة (٧٤١هـ/١٣٤١م) راجع . ابن الفرات ٠ التاريخ ج٩ ص ٣٩ ، ٣٦٣ ٠

(١٥) هو « أبو بكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف بن على بـن داود بن حمد » (ت ٧٤١هـ٠ / ١٣٤٠م ٠)
له ترجمة فى : المصدر السابق ج١ ص ٣٥١ تر ٢٣٦ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج١ ص ٤٦٩ تر ١٢٦٣ ٠

الرضى »(١٩) و « ابن قامتيت »(١٧) ، وأجيز من « المزى »(١٨) و « البندنيجى »(١٩) و « الذهبى »(٢٠) ، كما سمع شـــيخا على

---

(١٦) هو « أبو بكر بن محمد بن الرضـــى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار ، المقدسي ، الصالحى ، القطان » (ت ٧٣٨هـ٠ / ١٣٣٧م٠) ٠

له ترجمة فى : الذهبى ٠ دول الاسلام ج٢ ص ٢٤٤ ، ذيل العبر ص ٢٠٠ ، معجم الشيوخ ج٢ ص ٤١٦ تر ١٠٢١ ، اليافعى ٠ مرآة الجنان ج٤ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، ابن رافع ٠ الوفيات ج١ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ تر ٨٢ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج١ ص ٤٥٩ تر ١٢٣٤ ٠

(١٧) هو « أبو العباس ، أحمد بن محمد بن حسن اللواتى » ٠ راجع : ابن الفرات ٠ التاريخ ج٩ ص ٣٦٣ ٠

(١٨) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن على ، المزى ، الدمشقى » (ت ٧٤٢هـ٠ / ١٣٤١م٠)

له ترجمة فى : الذهبى ٠ تذكرة الحفاظ ج٤ ص ١٤٩٨ ـ ١٥٠٠ ، معجم الشيوخ ج٢ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ تر ٩٨٥ ، المعجم المختص ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ تر ٣٨٠ ، الحسينى ٠ ذيل العبر ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، الاسنوى ٠ طبقات الشافعية ج٢ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ تر ١١٤٨ ، ابن رافع ٠ الوفيات ج١ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج١٤ ص ١٩١ ـ ١٩٢ ، ابن قاضى شهبة ٠ طبقات الشافعية ج٢ ص ٩٩ ـ ١٠١ تر ٦٣١ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠ تر ١٢٦١ ، النعيمى ٠ الدارس ج١ ص ٣٥ ، ابن الطولونى ٠ القلائد الجوهرية ج٢ ص ٤٥١ ـ ٤٥٣ ٠

(١٩) هو « شمس الدين ، أبو الحسن ، على بن محمد بن ممدود بن جامع ، البغدادى ، الصوفى » (ت ٧٣٦هـ٠ / ١٣٣٥م٠) له ترجمة فى : الذهبى ٠ دول الاسلام ج٢ ص ٢٤٣ ، ذيل العبر ص ١٨٩ ، اليافعى ٠ مرآة الجنان ج٤ ص ٢٩٢ ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج١٤ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، المقريزى ٠ السلوك ج٢ ص ٢٠٦ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٣ ص ١١٩ ـ ٣٢١ تر ٢٧٢ ٠

(٢٠) مر التعريف به ، راجع : ج١ ص ٣٠٤ ، حاشية ١ من هذا البحث ٠

« البرهان الأميوطى »(٢١) ، وتتلمذ على جماعة ، منهم : « الزين بن البسطامى »(٢٢) ، و « العز ابن جماعة »(٢٣) ، وحدث بصحيح مسلم ، والمتقى من مسند أبى العباس السراج ، والشفاء للقاضى عياض ، ودلائل النبـــوة للبيهقى · وتولى خطابة « المدرســـة المعزية »(٢٤) ، و « عقود الأنكحة » ، وناب فى الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية ، فى حانوتى « الملك » و « حدرة البقرة » ، ظاهر القاهرة(٢٥) ·

ويبدو أن هذه الوظائف ظلت بيده الى حين وفاته ليلة عيد الفطر سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) · خالفا وراءه سيرة حسنة ، نعت فيها « بالخير ، والدين ، والسلامة »(٢٦) ، وتراثا ضخما ،

---

(٢١) هو « ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن يحيى بن أبى المجد ، اللخمى ، الأميوطى » (ت ٧٩٠ هـ· / ١٣٨٨م·) وكان السماع عليه لصحيح البخارى ، بقراءة « البرهان الحلاوى » فى مجاورة مؤرخنا فى الحرم المكى سنة (٧٨٣هـ· / ١٣٨١م·) · راجع : ابن الفرات · التاريخ ج٩ ص ٤٠ ، ٤٧٦ ، ابن حجر · انباء الغمر ج١ ص ٣٥٦ تر ٣ ، الدرر الكامنة ج١ ص ٦٠ ـ ٦١ تر ١٦١ ، والمجمع المؤسس ق ١٧ ·

(٢٢) راجع · ابن الفرات · التاريخ ج٧ ص ٢٥٧ ، ج ٨ ص ٢٠٦ · وراجع : ابن الفرات · المصدر السابق ج٧ ص ٧٠ ·

(٢٣) نفسه ج٩ ص ٣٦٣ ، ابن حجر · انبـــاء الغمر ج٣ ص ٣١٣ ، المجمع المؤسس ق ١٧٠ أ ·

(٢٤) نسبة الى « المعز أيبك التركمانى » ، راجـع : ابن دقمـــاق · الانتصار ج٤ ص ٩٢ ـ ٩٣ ·

(٢٥) راجع : ابن الفرات · التاريخ ج٩ ص ٤٧ ، ٢٩١ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ ·

(٢٦) راجع : ابن حجر · المجمع المؤسس ق ١٧٠ ، السخاوى · الضوء اللامع ج ٨ ص ٥٩ ·

جديرا بدراســـته والانتفاع به ، وابنا(٢٧) عالما ، أجيز بالتدريس والفتيا من نحو ثلاثين ومائتى شيخ ، وناب فى الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية كأبيه ، وحدث ، فكان رحلة زمانه ، بحيث رام تلامذته أن يتفرغ لهم من أول النهار الى الزوال ، نظير « مال له وقع » يساعدونه به فى نفقة عياله ، فامتنع قائلا : « لا آخذ على التحديث جعلا » ٠

مجهوداته فى الكتابة التاريخية

أشار « ابن حجر العســـقلانى » الى أن مؤرخنا « كان لهجا بالتاريخ ، لا يزال مكبا على كتابته ، وقد جمع فيه كتابا كبيرا جدا ، بيض منه المئين الثلاثة الأخيرة فى نحو عشرين مجلدا ٠٠ وقد بيع مسودة لعدم اشتغال ولده بذلك ، وكان لا يحسن الاعراب ، فيقع بخطه اللحن الفاحش ، الا أن كتابه كثير الفائدة ، من حيث الفن الذى هو بصدده ، وآخر ماكتبه من تاريخه الى آخر سنة ثلاث وثمانمائة »(٢٨) ٠

كما لم تنسب المصادر الى مؤرخنا مؤلفا غير هذا التاريخ ، الذى لم تسمه ، وان تفاوت تقديرها لعدد مجلداته بين ستين(٢٩)

---

(٢٧) هو « عز الدين عبد الرحيم » (ت ٨٥١هـ٠ / ١٤٤٨م٠ له ترجمة فى : ابن تغرى بردى ٠ حوادث الدهور ج١ ق ٦١ ، الدليل الشافى ج١ ص ٤١٠ ــ ٤١١ ، المنهل الصافى ج٢ ق٢١٦ ، النجوم الزاهرة ج١٥ ص ٥٢٤ ، السخاوى ٠ التبر المسبوك ص ١٩٢ ــ ١٩٤ ، السيوطى ٠ نظم العقيان ص ١٢٧ ــ ١٢٨ تر ١١ ٠

(٢٨) ابن حجر ٠ المجمع المؤسس ق ١٧٠ ٠

(٢٩) ابن حجر ٠ نفسه ق ١٧٠ أ ٠

ومائـــة(٣٠) ، بيض منهـــا بين عشرين(٣١) وخمس وعشـــرين مجلدة(٣٢) ٠

وهكذا ، فان مؤرخنا قد اقتصرت مجهوداته التاليفية - فيما يرجح - على مؤلف واحد ، هو التاريخ ، الذى سوف يعرض له بالدراسة فى الصفحات التالية ٠

---

(٣٠) ابن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج٣ ق ١١٩ ب ، السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٨ ص ٥١ ٠
(٣١) ابن حجر ٠ المجمع المؤسس ق ١٧٠ أ ٠
(٣٢) ابن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج٣ ق ١١٩ ب ٠

تاريخ الدول والملوك

عنـــوان الكتـــاب

حملت الأجزاء المتقدمة من الكتاب اسما ، هو : « الطريق الواضح المسلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » ، بينما حملت الأجزاء المتأخرة منه اسما آخر ، هو « تاريخ الدول والملوك » ، وليس هذان عنوانين لكتابين مختلفين ، وانما هما تسميتان لمؤلف واحد ، اتخذ له « ابن الفرات » ـ مؤرخنا ـ فى الابتداء عنوانا مسجوعا ، لايكشف عن محتواه ، ثم عمد فى الأجزاء المتأخرة منه الى تعديل العنوان ليطابق المحتوى ، فأتى التعديل ملازما للأجزاء المتأخرة والمبيضة من الكتاب ، بينما أهمل تدوين هذا التعديل فى الأجزاء المتقدمة ، ولعله لو قدر لمؤرخنا أن يفرغ من تبييض مادة كتابه لعدل العنوان فى الأجزاء المتقدمة ، لتكون مطابقة وماورد فى أجزائه المتأخرة ، اذ كان تبييض الكتاب يتم بطريقة زمنية عكسية على النحو المفهوم من قول ابن حجر العسقلانى :

« ... كان لهجا بالتاريخ ، فكتب تاريخا كبيرا جدا ، بيض بعضه ، فأكمل منه المائة الثامنة ، ثم المائة السابعة ، ثم السادسة ،

ثم هكذا صنع فى نحو من عشرين مجلدا ، ثم شرع فى الخامسة ، وشرع فى تبييض المائة الرابعة ، فأدركته الوفاة ، وكتب شيئا يسيرا من أول القرن التاسع »(٣٣) ٠

محتـــواه وتنظيمـــه :

تبعثرت مجلدات هذا التاريخ فى كثير من مكتبات العالم ، وفقدت بعض أوراقه ، كما اختل ترتيبها فى بعض الأجزاء ، بينما لم يكشف بعد عن مظان وجود أكثر مجلداته ، ولذا فان جل معلوماتنا عن هذاالتاريخ قد انحصرت فى الالمام بمحتوى ثمان عشرة مجلدة منه ــ فقط ــ حفظت فى مكتبات : باريس ، ولندن ، والفاتيكان ، وفيينا ، وتركيا ، وتونس ، بيانها كالتالى :

ــ **مخط ٠ المتحف البريطانى ، وهو جزء من الكتاب ، يحمل** اسم : « الطريق الواضـــح المســـلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك ، » ويشتمل على الفترة من « شيث » الى « اسحاق » عليهما السلام(٣٤) ٠

ــ **مخط ٠ مكتبة « حسين شلبى »** ــ فى تركيا ــ ويشتمل على أربعة أجزاء من الكتاب ، حملت اسم :« الطريق الواضح المسلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك» ــ كذلك ــ هى بحسب تجزىء المؤلف : السادس ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ٠

أما السادس ، فقد استفتح بمبحث فقهى فى « حكم الساحر المسلم » ، لعله تتمة لحديث سابق عن « موسى ــ عليه السلام ــ

---

(٣٣) ابن حجر ٠ انباء الغمر ج٢ ص ٣١٣ ٠

(٣٤) د٠ قسطنطين زريق ٠ مقدمة تحقيق ج٩ من تاريخ ابن الفرات ٠ بيروت ، الجامعة الامريكية ، ١٩٣٦ ، ص « ك » ٠

أتبع بالحديث عن « يونس » و « شعيا » و « زكريا » و « مريم » و « ويحيى » و « عيسى » ــ عليهم السلام ــ ومن عاصرهم من ملوك « بنى اسرائيل » ، وقد نوقشت من خلال ترجماتهم بعض القضايا الفقهية والتفسيرية ، كالتبتل وطلب الولد ، والاختلاف فى معنى أخوة « مريم » لهارون ، الواردة فى قوله تعالى ، « يا أخت هارون » (٢٨ : مريم) ، وجواز لعن شريف النسب ان كفر ، وموقف الفقهاء من التعريض الذى يقوم مقام التصريح ·

وقد نص فى آخره على أن الجزء التالى (السابع) سوف يخصص للحديث عن الرسل الثلاثة المذكورين فى سورة « يس » عند قوله تعالى :

« اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، فقالوا : انا اليكم مرسلون » (١٤ : يس) ·

وأما التاسع : فقد ترجم فيه لشـــعراء الجاهلية بترجمات قصيرة ، متعجلة المادة ، أتبعت بالعديد من النماذج الشعرية الممثلة لأدبهم ، وقد اقترنت بما يفسر غريب لغتها ·

بينما خصص العاشر للتعريف بأيام العرب ــ فى الجاهلية ــ والتأريخ لحياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل البعثة ، معرفا بأبويه ، وجده (عبد المطلب) ، مؤرخا لمولده ، مشيرا الى رضاعه ، متبعا ذلك بالتأريخ للحوادث المعاصرة ــ فيما بين المولد والمبعث ــ من خلال العديد من الحوليات المتتابعة ، مع التنبيه الى الحوليات الخالية مما يستحق التدوين ، كنحو قوله :

« ··· سنة احدى واثنتين وثلاث وأربع وعشرين من مولده ــ عليه السلام ــ لم يجر ما يكتب ، فأسقطت ذلك » ·

وقوله :

« ... وفى سنة سبع وثلاثين من مولده ـ عليه السلام ـ لم يقع ما يكتب ، فأسقطت ذلك » .

وفى **الجزء الحادى عشـــر** ، يتابع « ابن الفرات » التأريخ للسيرة النبوية ، ابتداء بالمبعث وانتهاء بغزوة « بنى النضير » ـ فى أثناء السنة الثالثة للهجرة ـ من خلال ست عشرة حولية متتابعة ، أرخت بالمبعث فالهجرة يسبقها مبحث فى اختلاف العلماء فى تحديد أول من أسلم من الرجال ، وقد أشير فى آخره الى أن الجزء التالى (الثانى عشر) سوف يبدأ بغزوة « قرقرة الكدر » .

ـ **مخط . المكتبة الأهلية** ـ فى باريس ـ ويشتمل على مجلدتين حملت احداهما عنوانا هو « الأول من تاريخ ابن الفرات » واستفتحت بديباجة ، هى :

« ... يقول جامعه ، محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن ابن الفرات الحنفى ، عامله الله بلطفه الخفى :

باب فى ذكر الحوادث التى وقعت بعد وفاة سيدنا ونبينا محمد، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القرن الأول .

أعلم أن ابتداء القرن الأول حين هاجر سيدنا ونبينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة المشرفة ، وآخره سلخ السنة المكملة لعدد مائة سنة من حين الهجرة النبوية ، وقد قدمت ماوقع من الحوادث من ابتداء هذا القرن الى حين وفاة سيدنا ونبينا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسأذكر فى هذا الباب ماحدث بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى آخر هذا القرن ، كل سنة على حدتها ، خلا من توفى فى هذا القرن من أصحاب سيدنا ونبينا محمد ، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضى عنهم ، من التابعين ، فانى أذكره فى باب على حدة ، بعد تمام ذكر ماحدث فى

هذا القرن ان شاء الله ـ تعالى ـ ليكون أسهل على من أراد النظر فى ذلك ، وأسأل الله أن يوفقنى لاتمامه ، ويعيننى على اختتامه ، انه على كل شىء قدير ، وبالاجابة جدير » ·

متبعا هذه الديباجة بالتأريخ لخلافتى أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ من خلال عدد من الحوليات المتتابعة ، ابتداء بحولية احدى عشرة للهجرة ، وانتهاء بحولية تسع عشرة للهجرة ، حيث انخرم هذا الجزء فى أثنائها ، لتنضم اليه عدة أوراق من « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير ·

أما المجلدة الثانية ، فقد حملت عنوانا ، هو : « الطريق الواضح المسلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » « وقد خصصت لأخبار الملوك الساسانيين ، ونبه فى آخرها الى ابتداء الجزء التالى بأخبار شعراء الجاهلية ، مما يشير الى أنها تمثل الجزء « الثامن » من الكتاب ، حسب تجزىء مؤلفه ، والى أنها تنتمى الى مجموعة « مكتبة حسين شلبى » السابق التعريف بها ·

ـ مخط · **دار الكتب الوطنية** ـ فى تونس ـ ويقع فى مجلدة واحدة ، حملت اسم : « أسماء الصحابة » ، وتحتوى على عدد من الترجمات المنظمة على حروف المعجم ، ابتداء بابراهيم بن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهاء بترجمة حزم بن أبى كعب ، ضمن الباب المعقود لذكر من توفى من الأعيان فى القرن الأول للهجرة ·

ـ مخط · **فينا** ، ويشتمل على تسعة مجلدات ، رقمت ترقيما حديثا ، بيانها كالتالى :

المجلد الأول : ويحتوى على الحوليات من ٥٠١ : ٥٢١ هـ ·

المجلد الثانى : ويحتوى على الحوليات من ٥٢٢ : ٥٤٣ هـ ·

المجلد الثالث : ويحتوى على الحوليات من ٥٤٤ : ٥٦٢ هـ ·

المجلد الرابع : ويحتوى على الحوليات من ٥٦٣ : ٥٩٩ هـ ٠

المجلد الخامس : ويحتوى على الحوليات من ٦٠٠ : ٦٢٤ هـ ٠

المجلد السادس : ويحتوى على الحوليات من ٦٦٠ : ٦٧١ هـ٠

المجلد السابع : ويحتوى على الحوليات من ٦٧٢ : ٦٨٢ هـ ٠

المجلد الثامن : ويحتوى على الحوليات من ٦٨٣ : ٦٩٦ هـ ٠

المجلد التاسع : ويحتوى على الحوليات من ٧٨٩ : ٧٩٩ هـ ٠

وقد اختل ترتيب أوراق بعض هذه المجلدات ، فضلا عن احداث العديد من الثلم ، مما أفقدها الكثير من المعلومات ، التى يمكن اجمالها على النحو التالى :

أولا : اختلال ترتيب الأوراق المحتوية على حوادث حولية ٥٢٩ هـ) من المجلد الثانى ، والمحتوية على حوادث حولية (٥٤٥ هـ) من المجلد الثالث ، والمحتوية على وفيات حولية (٥٩٩ هـ) من المجلد الرابع ، لتأتى بعد حولية (٦٠٠ هـ) فى أثناء المجلد الخامس ٠

ثانيا : انخرام المجلد الثانى فى عدة مواضع ، أفقدته حوادث حوليتى (٥٣٢ هـ) و (٥٣٣ هـ) ، وحولية (٥٣٦ هـ) بأكملها ، وأول وفيات حولية (٥٣٧ هـ) ، وآخر حوادث حولية (٥٤٠ هـ) ووفياتها ، وأول حوادث حولية (٥٤١ هـ) ، ووفيات حولية (٥٤٣ هـ) ٠

وانخرام المجلد الثالث ، مما أفقده حولية (٥٦١ هـ) كلها ٠

وانخرام المجلد الرابع ، مما أفقده سبع عشرة حولية ؤ حصرت فيما بين سنتى ٥٦٨ و ٥٨٥ هـ ، وبالاضافة الى أول حوادث حولية (٥٨٦ هـ) ، وحوادث حوليتى (٥٨٩ هـ) و (٥٩٠ هـ) ، ووفيات

حولية (٥٩١ هـ) ، وأواخر حولية (٥٩٢ هـ) ووفياتها ، وحولية (٥٩٣ هـ) ، وأواخر حوادث حولية (٥٩٤ هـ) ٠

كماتوجد فجوة بين المجلدين الخامس والسادس ، وأخرى بين المجلدين الثامن والتاسع ٠

— مخط ٠ الفاتيكان : ويحتوى على مجلد واحد ، يشتمل على الحوليات من ٦٣٩ : ٦٥٩ هـ (٣٥) ٠

ولم يطبع من الكتاب — فيما أعلم — سوى المجلدات : الرابع والخامس بتحقيق د ٠ « حسن محمد الشماع » ، والسابع والثامن والتاسع بتحقيق د ٠ « قسطنطين زريق » منفردا ، أو بالاشتراك مع د ٠ « نجلاء عز الدين » ٠

وتلك نشرات تحتاج الى اعادة نظر وتدقيق ، فقد وقع د٠زريق وزميلته فى خطأ تمثل فى تحويل ما استدركه « ابن الفرات » فى الهامش مضببا على عبارة المتن ، الى حواشى النص المحقق ، مما قطع سياق النص ، وأخل بعبارته ، فضلا عن اهمالهما رد النقول الواردة فى المتن الى مصادرها المعروفة ، أو تحقيقها بمصاحبتها ليأمنا التصحيف أو التحريف ٠ بينما أتت نشرة د ٠ « الشماع » مثالا لسوء التحقيق ، لما اعتراها من تصحيف وتحريف ، فضلا عن التبييض للكثير مما انغلق عليه فهمه من عبارة النص ، والجهل بمصادر مادة ما كان بصدد تحقيقه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

« ٠٠٠ وفى المحرم من هذه السنة (٥٦٣ هـ) تسلم الأمير مجد الدين ابن الداية نائب السلطة (= السلطنة) بحلب ٠٠٠ »

وقوله :

---

(٣٥) د٠ قسطنطين زريق ٠ مقدمة تحقيق مج٩ من تاريخ ابن الفرات ٠ ص « ى » ٠

« ... سمع أبا سعيد بن حشيش (= خشيش) وثابت بن بندار وابن النظر (= البطر) وغيرهم » .

وقوله :

« ... ولما مات أخرج هو وولده ، فدفنا عند رباط الزورى (= الزوزنى) المقابل لجامع المنصور » .

وقوله :

« ... أخبرنى الأمير شـــهاب الدين أحمد ابن الأمير جمال (= جمال الدين) بن عبد الله السهير (= الشهير) الأوحدى (= بالأوحدى) ، وقال : زرت العرافة (= القرافـــة) ، عرافة (= قرافة) مصر المحروسة » .

وقوله :

« ... تفقه على أسعد المهيتى (= الميهنى) ، وبرع فى المناظرة » .

وقوله :

« ... يكنى أبا جعفر السماك (= السباك) » .

وقوله :

« ... وولى القضاة (= القضاء) بعزبة (= بقرية) عبد الله ابن واسط » .

وقوله :

« ... ســـمعت منأبى الخطاب نصر بن أحمد بن النظــر (= البطر) وأبى عبد الله الحســـين بن أحمد بن طلحة الثعالبى (= النعالى) » .

وقوله :

« ·· ·وصلى عليها الجامع (= بجامع) القصر » ·

وقوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد (= لبيدة) الأزجى » ·

وقوله :

« ··· وسمع من أبى (= ابن) خيرون » ·

وقوله :

« ··· وكانت جماعة من نحاة بغداد يفضلونه على ابى الفارسى (= أبى على الفارسى) » ·

وقوله :

« ··· وحدثنى عبد الحيانى (= عبد الله الجبائى) » ·

وقوله :

« ··· وببغداد من أبى العزيز كادس (= أبى العز ابن كادش » ·

وقوله :

« وكيف دين الفرض (= الرفض) مذهبه » ·

وقوله :

« عبد الكريم بن هوزان القشنوى (= ابن هوازن القشيرى »

وقوله :

« ··· وصنف كتابا فى المذاهب (= المذهب) مشهورا » ·

وقوله :

« ... عبد الواحد بن الشيخ .. (=أصيل خراسان) أبى الحسن على ابن الامام علم الزهاد أبى عبد الله محمد بن حمويه بن محمد بن حمويه ، الحموى النيسابورى الجوينى .. (= الحموئى النيسابورى) » .

وقوله :

« محمد (= محمود) ابن أبى نصر محمد بن أحمد » .

وقوله :

« ... سمع الحديث من شيخ الشيوخ أبى البركات اسماعيل ابن أبى سعيد (=سعد) النيسابورى وغيره » .

وقوله :

« عبد الله بن اسماعيل بن أبى بكر .. (= الكنانى الأغماتى) الفقيه » .

وقوله :

« ... والفقيه أبى طـــاهر بن عون زيد (= بن عوف ، وبدمشق) بن (= من) الحافظ أبى القاسم ابن عساكر ، وبالقاهرة من أبى عمـــرو عثمان بن ســـعيد بن فرع ... ((= ابن فــرح العبدرى) » .

وقوله :

« الحسن بن نصر بن عقيل بن أحمد بن على على العبيدى (= العيدى) الواسطى » .

وقوله :

« ... وكتب بخطه ... (= وخرج التخاريج والأصول) » .

وقوله :

« ... وسمع من أبى (= ابن) الحصين ، وأبى عبد الله البارع ، وأبى بكر المرزوقى (= المزرفى) » .

وقوله :

« ... انتهى ما قاله ابن السباعى (= الساعى) » .

وقوله :

« ... وكان أحد .. (= الطواشية) المشار اليهم » .

وقوله :

« ... الشيخ المستند (= المسند) » .

وقوله :

« عبد الله بن خلف بن رافع بن ريش (= ريس) بن عبد الله المكى (= المسكى) الأصل » .

وقوله :

« ... وغنموا (= وكمنوا) قطعة وافرة منهم ، وسرحوا جماعة .. (= تراءوا) لأهل جبلة » .

وقوله :

« ابراهيم بن ثابت (= نابت) بن عيسى ... (= الربعى القناوى) ، المصرى » .

وقوله :

« ... لحظ (= يترى كخط) بين هدب جفونه » ..

وقوله :

« ... وشيئا من الروض الأريض مرفرفا (= مزخرفا) » .

وقوله :

« ... ينضو على أعلام جوشن (= جوشر) مرهفا » .

وقوله :

« وحللت بالوادى المقدس ... (= قابسا) » .

وقوله :

« وبدا (= وغدا) غياث الدين مبتهجا بها » .

وقوله :

« والملك قد كادت (= قرت) قواعده بكم

... بشموسها (= مذ غرتم لشموسه) أن تكسفا

... أيكة أو ميدت (= ماغردت أيكية أو صيدت)

أيدى النسيم من الأوائك (= الأراكة) معطفا » .

وقوله :

« ... وكان ... (= ممولا) غير أنه كان عاميا تاجرا » .

وقوله :

« ... ونازل حصنا يعرف بقربوس (= بغرقوس) » .

وقوله :

« ... وحد المواضى بالـ ... (= وخد المواضى بالنجيع) موردا » .

وقوله :

« ... ووكل الملك العادل فى التزويج شمس الدين ابن .. (= التنبى) » .

وقوله :

« ... مايحمله خمسون بغلا ومائة ... (= بختى) » .

وقوله :

«ابو جعفر ، وهو شرف الدين ابن البلدى (= ابو جعفر ، احمد ابن ابراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى) » .

وهكذا ، فان « ابن الفرات » قد أرخ فى تاريخه لفترة طويلة ، امتدت من مبدأ الخليقة حتى آخر سنة (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) ، منوعا فى منهجه التنظيمى لمادته حسب الموضوعات المتناولة فيه ، حيث انشأ الكتاب على الترجمات ، مرتبا لها ترتيبا زمنيا ، ثم عمد الى التأريخ حسب الموضوعات ، كما فى شعراء الجاهلية ، وأيام العرب ، وملوك الساسانيين ، والسيرة ، ثم عمد الى التأريخ الهجرى حسب القرون ، فاصلا فى الأجزاء المتقدمة بين الحوادث والترجمات ، جامعا بينهما فى الأجزاء المتأخرة ، حيث أتت الحوادث فى صدر الحوليات معنونة بقوله : « ذكر الحوادث فى سنة ... » مردفا اياها بترجمات وفياتها ، وقد فصل بينهما بقوله : « ذكر من توفى فى هذا العام ، وبعض أخبارهم » .

أما الحوادث المعاصرة ، فقد أتت فى حولياتها متتابعة حسب

تاريخ وقوعها ، وقد نظمت على الأيام فى الشهور الواقعة فيها ، وان أتت بعض الحوادث مؤرخة بأوائل أو أواخر أو وسط الشهر الواقعة فيه ، كنحو قوله :

« ••• وفى أوائل شهر ربيع الآخر ، الشهر المذكور ••• »

« ••• وفى أواخر شهر الله المحرم ، الشهر المذكور ••• »

« ••• وفى العشر الأوسط من شهر رمضان ••• »

« ••• وفى العشر الأخير من شهر رمضان ، الشهر المذكور ••• »

أو مؤرخة بالشهر ، أو السنة ــ فقط ــ وقد أثبتت تلو الحوادث المؤرخة تأريخا تاما ، فى نهاية حوادث الشهر أو الحولية ، كنحو قوله :

« ••• وفى ذى القعدة ، الشهر المذكور ••• »

« ••• وفى هذه السنة ••• ، وفيها ••• ، وفيها ••• » •

وهى حوادث متنوعة ، أرخ فيها للنواحى السياسية(٣٦) •

---

(٣٦) كالعلاقة بين دولة المماليك والمغول والفرنج والروم وملوك أو أمراء اليمن ودهلك وماردين وبسطام ، وقد اشير من خلالها الى ما كان بينهم من حروب ، أو مكاتبات وسفارات (راجع . المصدر السابق ج٩ ص ١١ ــ ١٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٢٢١ ، ٣٤٢ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩) ، وصراع العربان مع السلطنة (نفسه ج٩ ص ٢٠ ، ٢٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٠ ــ ٤٤١) ، وما يحدث فى مصر والشام من انقلابات عسكرية ، تطيح ببعض السلاطين أو النواب (نفسه ج٩ ص ٥٩ ــ ١٦٩) ، حيث أحداث الفتنة « اليلبغاوية المنطاشية » •

والادارية[٣٧]) والاقتصـــادية(٣٨) والاجتمـاعية(٣٩) والدينية(٤٠) ، فضلا عن بعض الظاهرات الكونية(٤١) ، ليس فى مصر وحدها ، وانما فى الشام والحجاز والعراق واليمن وبلاد المغرب العــربى كذلك ،مما حقق للكتاب شمولين : نوعى ومكانى ، وان استأثرت حوادث « دولة المماليك » فى مصر والشام بالحيز الكبير من حوليات الكتاب ، باعتبار أنها دولة الخلافة ، وباعتبار انتماء « ابن الفرات » اليها بالمولد والنشأة والوفاة ٠

والملحوظ أن مكان الصدارة فى تلك الحوليات لم يفرد لنوع بعينه من الحوادث ، وانما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر أنواعها،

---

(٣٧) من ذلك الاشارة الى العديد من الاســتقرارات الوظيفية ، وما يلحقها من تعديلات ، وما يتبع ذلك (فى الوظائف العسكرية) من تغاير على الاقطاعات ، مما لم تخل حولية منه ٠

(٣٨) كتتبع أحوال النيل ــ زيادة ونقصانا ــ وما يرتبط به من ارتفاع أو انخفاض فى الأسعار (نفسه ج٩ ص ٧،٨،٢٥،٢٧،٣١،،٣٨٧،٤١٢،٤١٣، ٤١٥،٤٢٨،٤٣٨،٤٣٩،٤٥٧) ، وما يكون من صك أو استحداث بعض العملات (نفسه ج٩ ص ٦) ، وابطـــال بعض المكوس (نفسه ج٩ ص ٦٠،٨٥،٨٦، والمصادرات (نفسه ج٩ ص ١٦ ، ٤٣١) ٠

(٣٩) كالتكافل الاجتماعى أثناء النكبات المصاحبة لانخفاض النيـل أو تفشى الطواعين والكثير من الأمراض الحارة (نفسه ج٩ ص ٢٧ ــ ٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) ، والتأريخ لبعض الزيجات (نفسه ج٩ ص ٣٤ ، ١٤٥) ، والضرب على أيدى المفسدين (نفسه ج٩ ص ٩) ٠

(٤٠) كالتأريخ للحج (نفسه ج٩ ص ٣٥١ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠) ، والمولد النبوى (نفسه ج٩ ص ٣٦٥) ، وما يكون فيهما كل عام من الاحتفـــال ، والمجالس المعقودة بالعلماء للتعجيل بأخذ المزكاة (نفسه ج٩ ص ١٢ ــ ١٣) ، أو بحث أمور الأوقاف (نفسه ج٩ ص ١٠ ــ ١١ ، ٢٠) ٠

(٤١) كالتأريخ لسقوط بعض الأمطار ، وما يصاحبها من رعد وبرق ، أو تزلق فى الطرقات ، وظهور بعض النجوم والكواكب ، أو ما يحدث للقمر من خسوف (نفسه ج٩ ص ٩ ، ١٠،٢٥٤،٤٤١،٤٦٣) ٠

اللهم الا أن تكون للحوادث المفردة بالصدارة ، أو الطاغية بمادتها على سائر العناصر غلبة على العصر ، لما لها من تاثير على الرأى العام ـ آنذاك ـ كما هو الشأن فى احداث الفتنة « اليلبغـاوية ـ المنطاشية » ، المتوسطة لفترتى حكم « الظاهر برقوق » ، والمثبتة فى حوليتى احدى واثنتين وتسعين وسبعمائة للهجرة ٠

وأما الترجمات ، فلم تقتصر على الوفيات ، وانما ترجم فيها الى جانب ذلك للعديد ممن لم تقدر وفياتهم فى الحوليات المنتظمة لترجماتهم ، على النحو المدرك من قول مؤرخنا :

« ٠٠٠ ومن لم أقف له على تاريخ وفاة ، ووقفت على تاريخ مولد ، من أول هذا القرن الى سبعين سنة منه ذكرته فيه ، ومن لم اقف له على تاريخ مولد أو وفاة وله ذكر فيه أو مع أحد من أهل هذا القرن ذكرته فيه » ٠

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن يحيى بن مقلد القوصى ضمن وفيات حولية أربع وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على الفخر ، أبى عبد الله محمد بن ابراهيم :

« ٠٠٠ ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، وانما ذكرته هنا ، فانه مذكور فى هذه السنة ، فلذلك ذكرته فيها ، والله أعلم بحاله » ٠

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن نابت القناوى فى حولية اثنتين وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على بعض الشيوخ :

« ٠٠٠ ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، ووجدت له ذكرا فى هذه السنة ـ سنة اثنتين وستمائة ـ فلهذا ذكرته هنا ، والله أعلم بحاله » ٠

وتلك الترجمات مرتبة فى حولياتها على حروف الهجاء فى الاسم العلم ، مع الفصل بين ترجمات الرجال وترجمات النساء ، حيث أتت الثانية تلو الأولى فى الترتيب ، وقد ترجم فيها للأعلام المشاهير فى الجنس ، أو فى الأصل ، أو فى الديانة ، أو فى المذهب ، أو فى المنصب أو الحرفة أو الوظيفة ، بمايجمع بين كل فئات الناس فى مجتمعه ـ غالبا ـ « من الملوك ، والأمراء ، والفرسان الشجعان ، والشعراء ،ورواة الحديث النبوى ، والقضاة ، والعلماء ، والفقهاء، والنحاة ، ، والادباء » ، وغيرهم ٠

وهى ترجمات يمكن تصنيف عناصـــرها ـ بعد دراســتها مجتمعة ـ على النحو التالى :

(أ) الاســـم :

ويتصدر الترجمة ـ دائما ـ وقد تسلسل ـ فى مواضــع يسيرة ـ ليحتوى على اسم المترجم له ، فوالده ٔ فأجداده ، كنحو قوله :

« عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن فرج » ٠

أو يرد ثلاثيا ، وقد احتوى على اسم المترجم له ، فوالده ، فجده ، كنحو قوله :

« يحيى ابن الشريف صدر الدين مرتضى ابن الشريف جلال الدين يحيى الحسينى » ٠

أو يرد ثنائيا ، ليحتوى على اسم المترجم له فأبيه ، وكثيرا ما يكون ، ومنه قوله :

« أحمد بن مطيع المصرى » ، و « اسماعيل ابن الشيخ يوسف الامبابى » ٠

أو يأتى أحاديا ، وقد اشتمل على اسم المترجم له دون سواه ، ومنه قوله :

« أحمد القبانى » ، و « محمد الصفدى » .

وقد تأتى بعض الترجمات خلوا من هذا العنصـــر ، كنحو قوله :

« والدة الملك الصالح حاجى ، ابن الملك الأشرف شعبان ابن الملك الأمجد جمال الدين حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون ، الألفى ، الصالحى ، النجمى ، زوجة الأمير صلاح الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير الكبير سيف الدين تنكز الحسامى » .

(ب)اللقب :

ويرد مع مايضاف اليه ، كنحو قوله : « ... يلقب صارم الدين » و ، ... ويلقب شهاب الدين » ، و « ... ويلقب سيف الدين » ، وليس : الصارم ، والشهاب ، والسيف .

(جـ) الكنيـــة :

وترد ، وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب ، كنحو قوله :
« ... يكنى أبا العبـــاس » ، و « ... يكنى أبا على » ، و « يكنى أبا اليمن » .

(د) اسم الشـــهرة :

وقد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ، وقد تكون شهرته بـ « ... » أو « يشهر بـــ ... » أو « الشهير بـ ... » ، كنحو بغير لقبه أو كنيته ، ولذا ورد اسم الشهرة مسبوقا بقوله : « يعرف قوله :

« ··· ويعرف بزادة » ·

« ··· يشهر بابن ريشة » ·

« ··· الشهير بالمكينى » ·

وهو حريص فى مواضع متعددة على تفسيره ، كنحو قوله :

« ··· يعرف باللازوردى ، لأنه كان يصنع اللازورد » ·

(هـ) النسبة :

وتكون بنسبة المترجم له الى الجنس ، كنحو قوله : « ··· التركى الأصل » ، أو الى المذهب ، كنحو قوله : « المالكى » أو « الشافعى المذهب » ، أو « الحنبلى » ·

وقد تتوالى النسب الى المواضع ، ليكون المقصود بالانتساب الى الأول تحديد الأصل الذى انحدر منه المترجم له ، وبالثانى الى الموضع الذى ولد فيه أو نشأ به ، أو توفى فيه ، كنحو قوله :

« ··· السكندرى الأصل ، المصرى الدار والوفاة » ، و « ··· الزرعى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة » ·

(و) الألقاب العلمية والصفات الأصيلة :

كنحو قوله :

- « ··· رئيس المغنين فى وقته » ·

- « ··· رئيس المشببين فى زمانه » ·

- « ··· الفقيه المالكى ، قاضى القضاة المالكى بالديار المصرية » ·

ـ « ··· الأديب الفاضل ، شاعر العصر ، الناظم الناثر » ·

ـ « ··· الكاتب الأديب ، الشاعر المشهور » ·

ـ « ··· الفاضل العلامة ، أوحد الزمان ، فريد العصر والأوان ، كاتب السر الشريف بالشام المحروس » ·

ـ « ··· المحدث ، المسند الصالح ، الزاهد ، الناسك الخاشع » ·

(ز) المولد :

ويرد مؤرخا بالشهر فالسنة ، أو بالسنة فقط ، أو على وجه التقريب ، كنحو قوله :

« ··· (ولد) فى شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة » ·

« ··· مولده كان بدرب الأتراك بقرب الجامع الأزهر داخل القاهرة ، فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » ·

« ··· ولد ـ تقريبا ـ سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه » ·

« ··· ولد ـ فيما كتب بخطه ـ فى سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه » ·

(ح) تقدير عمر المترجم له :

وغالبا ما يجتهد فى تقدير عمر المترجم له حال الوفاة ، وان ورد هذا التقدير لديه تقديريا فى أحوال كثيرة ، ومنه قوله :

« ··· وله خمس وسبعون سنة » ·

« ·· وتقدير عمره خمس وعشرون سنة » ·

« ... قارب المائة سنة أو جاوزها » .

« ... وقد ناهز الخمسين سنة » .

« ... كانت وفاته عن نيف وستين سنة » .

(ط) الوفــــاة :

وهى مؤرخة لديه فى مواضع كثيرة على ســـبيل الاكتمال ، باليوم من الأسبوع ، ومن الشهر ، فالشهر ، فالسنة ، كنحو قوله :

« ... توفى بالقاهرة ، قبل طلوع الشمس من يوم الجمعة ، سابع عشـــر شعبان المكرم سنة احدى وتسعين وســـبعمائة ، هذه السنة » .

أو مؤرخة بأوائل ، أو منتصف ، أو آخر ، أو سلخ الشهر ، كنحو قوله :

« ... توفى فى أوائل شـــهر صـــفر سنة احدى وتسعين وسبعمائة » .

« ... توفى فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة » .

« ... توفى فى العشر الأخير من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وسبعمائة » .

« ... توفى فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وسبعمائة » .

وقد تأتى الوفاة مؤرخة بالشهر أو السنة فقط ، كنحو قوله :

« ... توفى فى المحرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة » .

« .. توفى فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة » .

وهو معنى — فى مواضع كثيرة — بذكر موضع الوفاة ، كنحو قوله :

« ... توفى بداره بحارة الكافورى بالخرنفش . داخل القاهرة المحروسة » .

« ... توفى بمنزل سكنه بالدار المعروفة ببهادر المنجكى ، بقرب المشهد الحسينى ، داخل القاهرة » .

« .. قتل بجب السقا وخان شيخو ، مابين معرة النعمان وكفر طاب » .

وكثيرا مايعنى بتحديد كيفية الوفاة ، من موت طبيعى ، أو قتل ، والعلة المتسببة عنها الوفاة ، كنحو قوله :

« ... توفى قتيلا موسطا بحلب » .

« ... توفى خنقا باذن السلطان » .

« ... توفى قتيلا ، مسمرا ، موسطا فى المحائر ، بظاهر القاهرة المحروسة » .

« ... توفى بالطاعون » .

« ... ضــــرب ضربا عظيما مرة بعد أخرى الى أن توفى بخزانة شمائل » .

« ... توفى تحت العقوبة والضرب » .

« ... توفى من جراحاته » .

وكذا حال المترجم له عند موته من العمل والاشــتغال ، أو التبطيل والعزل ، كنحو قوله :

« ... تعطل فى آخر عمره » ..

« ... أقام في بيته بالقاهرة المحروسة بطالا » .

« ... انقطع في آخر عمره بدمشق ، وترك الاقطاع والوظائف وبقي يتردد الى الجامع الأموي أوقات الصلوات ، ويحضر الخانقاه السميساطية ، ويواظب تلاوة القرآن العزيز » .

« ... توفي وهو متولي قضـــاء قضـــاة الحنفية بالديار المصرية » .

أو من حيث الاهانة والتعذيب ، كنحو قوله :

« ... وأقام في المصادرة والعقوبة قريب الســـنة ، وتوفي بخزانة شمائل » .

أو من حيث التمريض والضعف ، أو الموت الفجاءة ، كنحو قوله :

« ... حصل له في آخر عمره رمدة عظيمة ، انقطع بها مدة » .

« ... حصل له مرض شـــديد الى أن اختل عقله ولحقه سرساب » .

« ... حصل له استسقاء ومرض اليرقان وطال به » .

« ... خرج متصيدا ، فحصل له ضعف ، فأعيد الى منزله محمولا في محفة ، وأشاع بعض الناس أنه سقي ، وأشاع بعضهم أنه حصل له رجفة من السلطان .. توفي من ضعفه هذا » .

« ... مرض يوما واحدا وتوفي » .

« ... كانت وفاته فجاءة » .

« ... توفـي فجاة بعد أن صلى عشاء الآخرة » .

أو ما يكون عرض له في حياته من آفة ، كنحو قوله :

« ... كف في آخر عمره » .

مع الاعتناء بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن ، مفصحا عن موضع الدفن ، ووقع الوفاة على أنفس الناس فى وقته ، كنحو قوله :

« ... توفى يوم الجمعة ، خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، هذه السنة ، وصلى عليه بالجامع الحاكمى ، ودفن بزاويته التى بدرب الزراق بالحكر ، بالقرب من سويقة الريش، بظاهر القاهرة المحروسة » .

« ... خرجت جنازته فكانت حفلة ، مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق فمن دونه من أعيان الأمراء بالديار المصرية الى تربة ابن عم السلطان بالقرب من قبة النصر ، ودفن بها ، وأمر السلطان أن تبنى له تربة بالشارع خارج بابى زويلة أحد أبواب القاهـرة المحروسة ، فانشئت له هناك تربة نقل اليها » .

« ... أخرجت جنازته ، وحضرها جماعة من جيران منزله ، من سوقة وغيرهم ، ولم يحضرها أحد من الأعيان ، فسبحان من بيده ملكوت كل شىء ويعز ويذل ، ويحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير » .

« .... وكانت جنازته حفلة بالفقراء وغيرهم ، وفى هذا اليوم عمل الملك الظاهر برقوق مولده ، وتأسف من حضره على سليمان المذكور وما فاته ، لأنه كان رسمه فى مثل هذا المولد ألف درهم » .

وما يتبع الوفاة من التصرف فى تركته أو وظيفته ، كنحو قوله :

« ... وأهينت زوجته بعد وفاته ، من جهة المواريث وغرامة و « نالها » اخراق كثير » .

« ... وتولى عوضا عنه باستيفاء أوقاف السيدة نفيسة القاضى علم الدين ابن وجيه الطلبة » .

(ى) النشـــأة والتكوين :

وتختلف المادة المشكلة لهذا العنصر تبعا للاختلاف فى نوعية المترجم لهم ، ومن ذلك قوله مترجما بزلار الناصرى :

« ... أصله مملوك الملك الناصر حسن ، ابن الملك المنصورقلاوون الصالحى . كان الناصر حسن رباه صغيرا مع أولاده ، ثم تنقل فى الاقطاعات والامريات الىأن صـــار نائب الســـلطنة بدمشـــــق المحروسة » .

وقوله مترجما سودون المظفرى :

« ... نشأ بحلب عند مخدومه الأمير قطلوبغا المظفرى ـ أحد مقدمى الألوف بها ـ وتنقلت به الأحوال الى أن تولى نيابة السلطنة بحماه ، ثم ولى نيابة حلب » .

(ك) منزلة المترجم له ومكانته :

ويأتى هذا العنصر فى عبارات ناعتة للمترجم له ، كنحو قوله :

« ... صار فى مذهبه مفتى الفرقة ، أوحد العلماء ، علامة العصر ، نادرة الوقت ، نسيج وحده ، ووحيد عصــــره فى فنون عديدة ، منها : الحديث والنحو واللغة والأصول والميقات ، وغير ذلك من العلوم » .

« ... كان أميرا محترما ، مكرما ، ذا وجاهة بين أرباب الدولة » .

« ... لم يزل أميرا كبيرا ، محترما عند الناس وعند السلطان الى أن مات » .

« ... كان رئيس القراء التلايين ، وشيخ الوعاظ المتكلمين ، وكان قد انتهت اليه رياسة أهل جوق المقرئين ، وكان لو اجتمع جميع الجوق لم يقرأ أحد قبله ، ولم يتقدم عليه أحد ، وكان معظما عند أرباب الدولة من الأمراء وغيرهم .. ولم يزل مستمرا على رياسته الى أن توفى » .

« ... كان من العلماء الأكابر ، وانتهت اليه رياسة السادة الشافعية ببغداد ، ولم يكن – يومئذ – ببغداد من يماثله ولايضاهيه فى علومه ورياسته وعلو مرتبته » .

« ... وبموته انقطعت الولاية بكتابة السر من بيتهم ، بعد أن أقامت فيهم تسعة وستين سنة » .

« ... كان وجيها عند السلطان الظاهر برقوق ، وعند أكابر أمراء الأعيان » .

« ... له وجاهة عند الناس » .

(ل) وظـــــائفه :

كنحو قوله :

« ... تولى تدريس الحنفية بالمدرسة الأشرفية التى بالمقرب من المشهد التقيسى ، وتولى مشيخة خانقاة الركنى بيبرس داخل القاهرة المحروسة ، وتولى بعد وفاة أكمل الدين مشيخة الخانقاة الشيخونية ، ودرس الحنفية بجامع الأمير سـيف الدين شيخون العمرى » .

« ... تولى نظر ديوان الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، وقضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية ، ولم تجمع هاتان الوظيفتان مع غيره فيمن تقدم فيما نعلمه » .

(م ـ مهـــــاراته :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ كان عاملا ، عارفا فيما يتعلق بالجندية والفروسية ولعب الرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف ولعب الكرة والصيد بالجوارح من الطير ، وغير ذلك من مهمات الامرية » ٠

« ٠٠٠ كان عارفا بصناعة الكتابة ، ويكتب خطا حسنا » ٠

« ٠٠ ويكتب مليحا » ٠

« ٠٠٠ ويعرف علم الحساب والكتابة الجيدة » ٠

(ن ـ أعمـــــاله :

ويقتصر فى هذا العنصر على أهم الأعمال ، وهى مختلفة ، تبعا للتباين فى الوظائف ، ونوعية المترجمـــين ، ومن أمثلة ذلك قوله :

« ٠٠٠ أحسن الى الناس فى مباشرته (وكالة الورثة) ، ورفع عنهم كلف الثبوت ٠٠ ووجد الناس بذلك رفق عظيم ، وشكروه فى مباشرته » ٠

« ٠٠٠ كان له نظم ونثر » ٠

« ٠٠٠ حصل مال جزيل ، لأنه كان أعزب ، فاشـــترى ربعا وأوقفه ، وشرط ريعه لمدرس شافعي وعشرة طلاب يحضرون فى وقت الدرس بجامع الأزهر ، داخل القاهرة » ٠

« ٠٠٠ كان مجتهدا فى فعل الخير ، وعمارة المساجد والسبل وجهات المعروف ، وله آثار حسنة بالديار المصرية والبلاد الشامية »

(س) ـ السجايا والصفات :

وفى هذا العنصر يعنى مؤرخنا بذكر ما يتصل بالمترجم له من هيئة ،أو أخلاق ونعوت ، ومقدرة عقلية ، ودين ، كأن يكون حسن الوجه » ، لطيف الذات ، جميل الهيئة ، محبوب الصورة ، طوالا من الناس ، أو أن يكون مقداما ، شجاعا ، ذا همة عالية ، ومروءة ، وكرم ، أو متقشفا ، أو أن يكون ذكيا ، وافر العقل ، فطنا ، متيقظا سيوسا ، جيد التركيب ، ملسانا ، أو ذا سكون وتواضع وانقطاع عن الناس ، أو خفيف الحركات ، أو دمث الأخلاق ، محتشما ، خيرا ، دينا ، يحب العلم وأهله ، طاهر اللسان والفرج ، أو ذا أخلاق شرسة ، « مولعا بسلب أعراض الناس ، مستهزئا بأقوال الأكابر من العلماء والصلحاء ، مواظبا على النفاق والاساءة واخلاف الوعد ، ومعاداة الأحباء بسوء ظنه وتخيله الفاسد » ، « كثير الخباط واللباط. والفن ، وسوء الرأى والتدبير فى كل وقت » أو حادا عند الغيظ يبسا فى المعاملات .

(ع) ـ علاقاته بمؤرخنا :

كما لم يغفل « ابن الفرات » اثبات علاقاته بالمترجم لهم ديه ، كنحو قوله :

« ... كان لى به أنس عظيم » .

وقوله :

« ... كان رفيقا بحانوت الحنفية بحدرة البقر » .

النسق التعبيرى

« ابن الفرات » عامى العبارة ، كثير الأخطاء النحوية واللغوية، لايعنى بتنميق اللفظ ، أو حبك العبارة ، وهو مع ذلك قريب المأخذ ، واضح اللفظ ، مفهوم القول .

ومن تلك الأخطاء الشائعة فى مؤلفه قوله :

« ... وليولى (= يول) أحدا من النواب »(٤٢) .

« ... وهم خمس (= خمسة) نواب »(٤٣) .

« ... وصل الخواتين الذين حضروا (= اللاتى حضرن) ة القان أحمد »(٤٤) .

« ... رأت امرأة النبى – صلى الله عليه وسلم – وكانت ا يوجعا وجعا شديدا ، حتى أن الكحالين حاروا فيها ، فلما النبى – صلى الله عليه وسلم – شكت اليه ما بها ،فقال لها : ، الى المكان الفلانى ، وأشار الى مكان بسفح الجبل المقطم ، ى من الحصـــا الذى هناك واعمليهم كحل وتكحلى تبرأى ، هت الى المكان الذى أشار اليه النبى – صلى الله عليه وسلم – ت من ذلك الحصا وعملته كحل ، واكتحلت به ، فبرأت ، وحصل شفاء ، فعرف الناس ، فاهرعوا الى ذلك المكان ، وأخذوا من لحصا واكتحلوا به فنفعهم »(٤٥) .

كما أنه كثير التضمين للأمثال الشائعة ، ومن ذلك قوله :

« ... ورحل الفرنج عائدين الى بلادهم بخفى حنين » (٤٦) .
وقوله :

« ... ما أحسن قول القائل : معاداة العاقل ولا مصـــاحبة ل »(٤٧) .

---

(٤٢) المصدر السابق ج٩ ص ٢٢١ .
(٤٣) نفسه ج٩ ص ٢٩٨ .
(٤٤) نفسه ج٩ ص ٣٦٨ .
(٤٥) نفسه ج٩ ص ٣٨٦ – ٣٨٧ .
(٤٦) نفسه ج٤/١ ص ٢٨ .
(٤٧) نفسه ج٩ ص ١٤٧ .

وقوله :

« ... فكان جركس الخليلي كما قيل : باحث عن ظلفه بظلفره »[48] .

وقوله :

« ... لكن المقدورات لا ينفع معها الحذر »[49] .

وقوله :

« ... فكان كما قيل : من لم يمت بالسيف مات بغيره »[50] .

---

(٤٨) المصدر السابق ج٩ ص ٦١ .
(٤٩) نفسه ج٥ ص ١١٧ .
(٥٠) نفسه ج٩ ص ٦٦ .

مصـــادر مادة الكتـــاب

اولا : انواع المصـــــادر :

اعتمد « ابن الفرات » فى بناء مادة كتابه على اربعة انواع من المصادر ، وهى :

(أ) المشـــاهدة والمشـــاركة :

ويمثلها قوله مترجما « منهاج الدين العجمى » :

« ... ومن حين رأيناه يحضر جامع (ابن) طولون لم نسمعه يدرس فيه شيئا من الفقه ، وانما كان بعض الجماعة يقرأ عليه فى كراس بعض شىء من أصول الفقه ، ويستحسن هو ما يقرأه القارىء ، ويتكلم فى بعض الأحيان بكلام لا يفهمه » .

وقوله مشيرا الى « الشرف الدمامنى » ناظر الجيش :

« ... وفى يوم الثلاثاء ، ثامنه (ربيع الآخر سنة ٧٩٩ هـ) شاهدت القاضى شرف الدين الدمامنى ناظر الجيوش المنصـورة بالديار المصرية راكب فى موكبه وهو لابس فوقانية خضراء ، صوف وعذبته مسبلة عليها ، فعجبت من ذلك ، لأننا لم نعهد فى زماننا هذ

نشأنا أن أحدا من قضاة القضاة ولا من أعيان المتعممين من كتاب السر ونظار الجيوش والوزراء وغيرهم اذا ركبوا يلبسوا صوف ملون من فواقين أو فراجي ، اونما يلبسوا الصوف الأبيض خاصة ، ثم شاع أن السلطان قال لكاتب السر : لأى شيء أنتم ماتطلعوا قدامي الا بهذا القماش الأبيض خاصة ؟ فقال : بمرسوم مولانا السلطان يلبسوا الملوك • فقال : نعم • وشاع أن السلطان أمر المتعممين أن يلبسوا الصوف الملوك ، فسألت من قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم ابن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلي عن ذلك ، فأخبرني أن السلطان أمر بذلك ، فقلت له : وقضاة القضاة ؟ فقال : نعم ، فقلت : أمركم بذلك مشافهة ؟ فقال : لا الا على لسان كاتب السر » •

وهكذا ، فان مؤرخنا لم يكتف باثبات مشاهدته وما صاحبها من التعجب ، وانما قرن ذلك بما يفسرها استمدادا من الرواية الشفهية كذلك •

(ب) المشافهة :

وتكون عن رفاقه أو شيوخه ، ويمثلها قوله مترجما « الزمخشري » :

« ••• وسمعت جماعة من مشايخي يقولون : انه تاب عن مذهب الاعتزال قبل وفاته ، والله أعلم أى ذلك كان » •

وقوله مترجما « الشهاب القرشي » :

« ••• وسمعت برهان الدين ابراهيم ابن نور الدين على ابن الحلواني الواعظ يقول : القرشي بفتح القاف ، منسوب الى قرشة ، قرية من قرى الشام ، والله أعلم » •

وقوله وقد عمر « جسر الشريعة » بطريق الشام :

« ... أخبر القاضي أوحد الدين عبد الواحد ابن القاضي تاج الدين اسماعيل ابن زكي الدين ياسين الحنفي ، كاتب السر الشريف بالديار المصرية بأن طوله مائة وعشرون ذراعا في عرض عشرين ذراعا » .

وقوله في حوادث شعبان من حولية (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) :

« ... وأخبرني العدل تاج الدين محمد الزرعي ، الفقيه الحنبلي ، وكان ساكن بربع الخطيري ببولاق انه رأى يلبغا الناصري دخل جامع الخطيري وهو متكيء على اثنين ، وصلى يلبغا — المذكور — الصبح بجامع الخطيري مسفرا في هذا اليوم ، وتسلمه رئيس الحراقة مقيدا ليوصله الى ثغر اسكندرية » .

وقوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة للهجرة :

« ... وسمعت ابن أبي الرداد القياس يقول : انتهت الزيادة في هذه السنة الى عشرين أصبع من عشرين ذراع ، ثم تناقص على جاري العادة » .

وقد تكون المشافهة عن أقارب المترجم له ، ومنها قوله مترجما « ابن الزمردي » :

« ... توفي كما أخبرني أخوه السيد الشريف ناصر الدين محمد — أحد رجال الحلقة المنصورة — في يوم الثلاثاء ، ثامن جمادى الأولى سنة تسعين ، هذه السنة » .

(جـ) الوثائق والخطوط :

ولعل أهم ما يميز تاريخ « ابن الفرات » استمداده الكثير من المعلومات التاريخية من هذا النوع من المصادر ، وحرصه على اثبات

العديد من النصوص الواردة فيها، سواء كان الاطلاع عليها فى صورتها الأصلية أم نقلا عن المصادر المتقدمة الموردة لنصوصها ، ومن ذلك قوله :

« ... وفى يوم الاثنين ، سابع شوال — الشهر المذكور — رأيت كتاب من بعض المجردين الى الشام ، بعثه الى أهله ، فقرأته ، فكان من جملة ما ذكر فيه ... » .

وقوله :

« ... وأريت بخط أقضى القضاة موفق الدين أحمد ابن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى ، حين وصل كتاب والده اليه من غزة يخبره فيه بوصولهم اليها ، ومضمون خط القاضى موفق الدين .. » .

وقوله :

« ... والذى سمعته من بعض الاخوان قال : فى يوم الاثنين ، سادس صفر المذكور ، وصل الى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل بريدى من جهة الأمير علاء الدين على الطشلاقى متولى قطيا ، وصحبته كتاب عليه خط الملك الظاهر برقوق ، كان أرسله الى الأمير علاء الدين — المذكور — وأوصاه بحفظ الطرقات ، وأن يقبض على كل من من ممن انهزم من العساكر المصرية ، ومضمون الكتاب بعد البسملة الشريفة والعلامة السلطانية ما صيغته .. » .

وقوله :

« ... وفى يوم الخميس ، تاسع صفر المذكور ، بلغنى أن كتاب من جهة الأمير سيف الدين طوغان — آستادار العالية — وصل الى بعض أصحابه ، فسألته عنه ، فأحضره الى ، ونقلت منه ما صيغته ... » .

وقوله :

« ... وفى جمادى الأولى المذكور ، وصل كتاب السـيد الشريف صاحب الينبع ، فيه تهنئة السلطان بعوده الى مملكته ، ومن مضمونه ... »

وقوله :

« ... وفى العشر الأخير من شهر رمضان المذكور ، رأيت كتاب مطالعة من متولى البقاعين ، ناصر الدين محمد ، الى ملك الأمراء مضمونه ... »

وقوله :

« ... وأشيع أن عمر وأبو بكر ولدى الأمير نعير — أمير العرب — وجماعة من عربه فارقوه لما طال عليهم الهجاج فى البلاد ، ودخلوا فى طاعة السلطان الظاهر ، وأن ولدى نعير حضرا الى نائب السلطنة بدمشق المحروسة وسألاه أن يشفع فيهما عند السلطان بأن يرضى عنهم ، وأن الأمير سيف الدين تنم — نائب السلطنة بدمشق — أرسل صحبة الأمير عامر بن طاهر ، ابن أخى نعير كتب الى السلطان تتضمن الشفاعة فى ولدى نعير ومن معهما ، وأرسل نائب الشام وولدى نعير كتب الى الأمراء بالديار المصرية ، يسألوهم الشفاعة عند السلطان بأن يرضى عنهم. »

فأما المطالعات المختصة بالسلطان فانى لم أقف عليها ، وأما كتاب نائب الشام الأمير سيف الدين بتخاص حاجب الحجاب بالديار المصرية ، فانى وقفت عليه ، ومن مضمونه .. وأما كتاب أولاد نعير الى الأمير بتخاص حاجب الحجاب ، فانى وقفت عليه — أيضا — ومن مضمونه .. » .

وقوله مترجما أبا الفتح الكنانى :

« ... ولد فيما كتب بخطه فى سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه » .

وقوله مترجما ابن الطرز :

« ... ولد ـ تقريبا ـ سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه » .

(د) المؤلفات السابقة :

وتعد البنية الأساسية ، والمورد الرئيسى لمادة الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب ، فضلا عن مشاركتها فى بناء مادة القسم المعاصر ، ويمكن اجمالها على النحو التالى :

ـ الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) .

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض (ت ٥٤٤ هـ ـ ١١٤٩ م) .

ـ الأنساب للسمعانى (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .

ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ /١١٧٦ م) .

ـ المنتظم لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .

ـ معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب لابن أبى طى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) .

ـ تاريخ ذى الرياستين لابن دحية (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) .

ـ التاريخ المظفرى لابن أبى الدم الحموى (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) .

ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) .

ـ تاريخ الجمال اليغمورى (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) .

ـ محاسن الفنون وحدائق العيون لابن الساعى (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) ٠

ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ٠

ـ مفرج الكروب لابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) ٠

ـ صلة الصلة لابن الزبير الغرناطى (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)

ـ ذخيرة الكاتب لابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ٠

ـ زبدة الفكرة لبيبرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ٠

ـ ذيل مرآة الزمان للقطب اليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)

ـ المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ٠

ـ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الأكابر الأعيان من أبنائه للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ٠

ـ الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ٠

ـ مشتبه النسبة للشمس الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ٠

ـ الوافى بالوفيات للصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ٠

ـ المختصر الكبير فى سيرة البشير النذير للعز ابن جماعة (ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) ٠

ـ الاحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت ٧٦٦ هـ / ١٣٧٤ م) ٠

ـ درة الأسلاك فى دولة الأتراك لابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ٠

ـ طبقات الفقهاء لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) ٠

ـ الدر المنضد فى وفيات أمة محمد ، ونزهة الأنام فى تاريخ الاسلام لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ٠

ـ خطط الأوحدى (ت ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م) ٠

ـ نظم السلوك فى تاريخ الخلفاء والملوك للبسطامى (ت ٨٤٣ هـ / ٣٩ ـ ١٤٤٠ م) ٠

فضلا عن :

التاريخ المنصورى لابن نظيف الحموى ٠

ـ جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام لأبى الغنائم ٠

ـ الجوهر المنتخب فى اخبار أهل العلم والأدب ، لأبى الحسن على ابن أبى العلاء بن غالب البلدى ٠

ـ نزهة المقلتين فى تاريخ الدولتين (الفاطمية والأيوبية) لأبى محمد ، عبد السلام بن الحسن القهرى ، القيسرانى ٠

ـ وصاحب المعجم ، الذى لم يشأ « ابن الفرات » أن يفصح عن تمام تسميته ، أو يشير الى مؤلفه باسمه ٠

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

لم تكن طريق « ابن الفرات » فى الاسناد الى المصادر واحدة وانما كانت مختلفة متنوعة ، يمكن اجمالها فى الآتى :

(١) الاسناد الى المصدر القريب المنقول لديه عنه :

ويمثله قوله مترجما « الشهاب القناوى » :

« ٠٠٠ قال الشيخ كمال الدين الادفوى ماصيغته : رأيت سماع ابراهيم سنة اثنتين وستمائة ، وقد كتب له الخطيب أبو الرضى : سمع على الامام العالم النحوى شهاب الدين ، انتهى ما قاله » ٠

ويقابله لدى الادفوى فى « الطالع السعيد » قوله :

« ... رأيت سماعة سنة اثنتين وســـتمائة ، وقد كتب له الخطيب أبو الرضى : سمع على الامام العالم الندوى شـــهاب الدين » .

(ب) الاسناد الى المصدر الرئيسى ، مع التصريح بالمصدر القريب المنقول لديه عنه :

ويمثله ماورد في الجزء الثاني من مخط . (فينا) ، من الاسناد الى « بيبرس الدوادار » ، وقد اقترن بابن الاثير ، بينما لم يطلع « ابن الفرات » على ثانيهما .

(جـ) الاسناد الى المصدر الرئيسى ، اهمالا للمصدر القريب المنقول لديه عنه :

كنحو قوله فى حوادث حولية سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة :

« ... وقال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد شـــهدتهم (الفرنج فى حرب عسقلان) وفى ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة مغروزة ، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر من الرجالة مستريح ، يمشى على جانب البحر لا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء المقاتلة وأثخنهم الجراح ، قام مقامهم القسم المستريح ، واستراح القسم العمال . هذا والخيالة فى وسط الرجالة ، لايخرجون عنهم الا وقت الحملة لا غير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك العتيق اللعين جفرى وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، واللعين الانكلتير ، والافرنسية معه فى الوسط ، وأولاد الست أصحاب طبرية وطائفة أخرى فى الساقة ، وبرج القوم فى وسطهم على عجلة ، وعلمهم يسير فى وسطهم ــ أيضا ــ كالمنارة العظيمة على عجلة ،

وسار السلطان صلاح الدين فى جيوشه مساوقاً لهم ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين ، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رفيقا الى أن أتوا المنزلة ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلة الظهر عندهم ٠

وطاف الجاليش عليهم ولزوهم بالنشاب ، وكلما ضعف قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضهم بعضا ، والمسلمون محدقون بهم من ثلاثة جوانب » ٠

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » ـ المصدر القريب المنقول لديه عنه ـ قوله :

« ٠٠٠ قال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد شاهدتهم وفى ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة مغروزة ، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر من الرجالة مستريح يمشون على جانب البحر ، لا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء وأثخنهم الجراح قام مقامهم القسم المستريح ، واستراح القسم العمال ، هذا والخيالة فى وسط الرجالة لايخرجون عنهم الا فى وقت الحملة لاغير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك العتيق جفرى ، وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، والانكلتير والافرنسيسة فى الوسط ، وأولاد الست أصحاب طبرية وطائفة أخرى فى الساقة ، وبرج القوم فى وسطهم كالمنارة العظيمة على عجلة ٠

وسار السلطان فى جيوشه ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رقيقا ، الى أن أتوا المنزل ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلة الظهر

عليهم ، وطاف الجاليش حولهم ولزوهم بالنشاب ، وكلما ضـــعف قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضـــهم بعضا . والمسلمون يرمونهم من ثلاثة جوانب » .

(د) الاســـناد الى مبهم :

كنحو قوله :

« قال صاحب المعجم : .. » .

وقوله :

« ... وهذه خلاط من أعظم الممالك ، وذكر بعض المؤرخين أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما ملكها التتر » .

وهو منقول عن مفرج الكروب » لابن واصل ، وقد ورد النص فيه على النحو التالى :

« ... وهذه خلاط كانت من أعظم الممالك ، وذكر أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا ، ويعرف اقليمها بأرمينية ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما ملكها التتر » ..

وقوله :

« ... قال علماء التاريخ : فى هذه السنة وصل السلطان غياث الدين كيخسرو بن قلج أرســـلان السلجوقى الى مرعش ، ليقصد بلاد ابن لاون ، فأرسل الملك الظاهر ـ صاحب حماه ـ اليه جماعة من عسكره يكونون فى خدمته مع الأمير سيف الدين بن علم الدين جندر والأمير عز الدين أيبك فطيس ، فسار السلطان غياث

الدين كيخسروا ، ودخل بلاد ابن لاون وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه ، وشيد عمارته ، وشحنه بالرجال ، وفتح قلاعا أخرى وخربها ٠

ثم رجع السلطان غياث الدين الى بلاده ، لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيرا من الحصون » ٠

ويقابله لدى « ابن واصل » ــ المصدر المأخوذ لديه عنه ــ قوله فى « مفرج الكروب » :

« ٠٠ وفى هذه السنة وصل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى ــ صاحب بلاد الروم ــ الى مرعش ، لقصد بلاد ابن لاون ملك الأرمن ٠ فأنفذ اليه الملك الظاهر جماعة من عسكره ، يكونون فى خدمته مع سيف الدين بن علم الدين بن جندر ، وعز الدين أيبك فطيس ٠ فدخل غياث الدين بلاد ابن لاون ، وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه وشيد عمارته ، وفتح قلاعا أخرى وخربها ٠

ثم رجع غياث الدين لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيرا من الحصون » ٠

(هـ) اهمال الاسناد الى المصدر :

حيث وجد أن « ابن الفرات » لم يصرح فى مواضع كثيرة من كتابه بالنقل عن مصادره ، وان كان النقل فى كثير منها عن المصدر نقلا متتابعا ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ وفى هذه السنة (٥٦٣ هـ) وصل الحاج العراقى سالمين ، فخرج عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة ، فقطعوا قطعة من الحاج ، فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » ٠

ويقابله لدى ابن الجوزى فى « المنتظم » قوله :

« ... فمن الحوادث فيها أن الحاج وصلوا الى العراق سالمين، فخرجت عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة فقطعوا قطعة من الحاج ، فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » .

وقوله :

« ... وفيها (٦٠٠ هـ) كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد ، مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل والعراق ، ويقال : انها بلغت الى سبتة من أقصى المغرب ، والله أعلم » .

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » قوله :

« ... وفى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر البلاد : مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل والعراق ، ويقال : انها بلغت سبتة من أقصى المغرب » .

وصاحب هذا التنوع فى « طريق » الاسناد الى المصادر التنوع فى صيغ الاسناد الى المصادر كذلك ، بحيث يمكن اجمال هذه الصيغ على النحو التالى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم الكتاب دون مؤلفه : ويمثله قوله :

« قال صاحب التاريخ المظفرى .. » مهملا الاشارة الى ابن أبى الدم الحموى مؤلف الكتاب .

وقوله :

« قال صاحب كتاب الجوهر المنتخب فى أخبار أهل العلم والأدب ما صيغته .. » ، مغفلا التصريح بأبى الحسن البلدى .

(ب) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف دون كتابه :

ويمثله قوله :

« قال جمال الدين يوسف اليغموري ، ومن خطه نقلت ، ما صيغته ·· »

(جـ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف وكتابه :

ويمثله قوله :

« ·· وقال الشيخ جمال الدين ، محمد بن سالم بن نصر بن واصـــل الحموى ، فى تأليفه مفرج الكروب فى أخبار دولة بنى أيوب ·· » ·

وقوله :

« ··· قال أبو الغنائم ، فى كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ··· » ·

وهو حريص مع ذلك ـ فى مواضع كثيرة من كتابه ـ على تحديد بدايات النقول ونهاياتها ، ومن ذلك قوله :

« ··· وذكره القاضى صلاح الدين الصفدى ، فقال : ··· انتهى كلام القاضى صلاح الدين » ·

وقوله :

« ··· وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ·· انتهى كلامه » ·

وقوله :

« قال الشيخ محمد بن نظيف الحموى ماصـــيغته ·· انتهى كلامه » ·

ثالثا : طـــرق النقـــل :

لم يلتزم « ابن الفرات » ـ غالبا ـ بعبارة مصادره التزاما صارما ، اذ نادرا ما تكون عبارته مطابقة وعبارة المصدر المنقول لديه عنه ، وانما هو متصرف فى النسق التعبيرى لمنقوله عن مصدره مع الحفاظ على النسق الترتيبى المصاحب له ، أو هو متصرف فيهما معـــا ٠

ومن نماذج التطابق لديه قوله :

« قال علماء التاريخ رحمة الله عليهم : فى هذه السنة تحرك الفرنج ـ لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم ـ الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشق المحروسة ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » ٠

ويقابله لدى ابن واصل ـ المصدر المنقول لديه عنه ـ قوله فى « مفرج الكروب » :

« ٠٠٠ وفى هذه السنة تحركت الفرنج الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشـــق ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » ٠

وقوله :

« دخلت هذه السنة ، والسلطان صلاح الدين على شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع حيفا ، والبدل متصل الدخول الى عكا » ٠

ويقابله لدى « ابن واصل » قوله في مفرج الكروب :

« ... ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، والسلطان على شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع نهر حيفا ، والبدل متصـــــل بالدخول الى عكا » .

ويقترب منه قوله :

« ... وفى ثامن صفر ، الشهر المذكور ، عبر العيارين من الجانب الغربى من بغداد الى الجانب الشرقى الى الحاج ، وقد تحصنوا فى داخل البلد ، فأخذوا أموالهم ، وانحدروا فى السفن يضربون الطبل ، ولم يطلبوا ، ثم وقع منهم أقوام ، وظهر عليهم شىء يسير » .

ويقابله لدى « ابن الجوزى » ـ المصدر المنقول لديه عنه ـ فى المنتظم قوله :

« ... وفى ثامن صفر عبر العيارون من الجانب الغربى الى الشرقى الى الحاج ، وقد تحصنوا بالبيوت داخل البلد ، فأخذوا أموالهم ، وانحدروا فى السفن يضربون الطبل ، ولم يطلبوهم ، ثم وقع منهم أقوام ، فظهر عليهم شىء يسير » .

وهكذا ، فان التطابق بين عبارتى « ابن الفرات » ومصدره لا يعنى الالتزام الصارم بعبارة المصدر المنقول لديه عنه ، وانما يعنى النقل عنه باللفظ ـ اسقاطا أو اضافة ـ مع الحفاظ على النســق الترتيبى المصاحب له فى المصدر .

ومن نماذج التصرف فى النسق التعبيرى قوله :

« ... وقال الشيخ محمد بن نظيف الحموى ماصيغته : وفى سنة احدى عشرة وستمائة عاد الملك العادل الى الديار المصرية وصحبته كليام » .

ويقابله لدى « ابن نظيف » قوله :

« ... وفيها عاد الملك العادل الى الديار المصرية ، وكليام لا يفارقه » .

وقوله :

« ... وفى ليلة النصف من شعبان من شهور هذه السنة اتفقت ببغداد حادثة عجيبة ، وهى أن انسانا كان قاعدا عند عطار ، بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط يلعب بقوارير النفط ، فخرجت من يده بغير اختياره ، فتعلقت بثياب الرجل ، فلم ينزع ثيابه حتى انسلخ جلده من عنقه الى مشد سرواله ، وهرب النفاط ، ومات الرجل » .

ويقابله لدى « ابن الجوزى » فى « المنتظم » قوله :

« ... وفى ليلة النصف من شعبان اتفقت حادثة عجيبة ، وهى أن انسانا كان قائما عند دكان عطار بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط يلعب بقارورة النفط ، فخرجت من يده بغير اختياره ، فأهلكت ما فى الدكان كله ، وتعلقت بثياب ذلك الرجل القائم هناك الى أن نزع ثيابه ، انسلخ جلده من عنقه الى مشد سراويله ، وأخذ النفاط فحبس ، وجرت فتنة ، فتخلص النفاط » .

وهكذا ، فان « ابن الفرات » قد نقل فى هذا الموضع عن مصدره بالفكرة .

ومن نماذج التصرف فى النسق الترتيبى قوله مترجما أبا العباس الأزجى :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد الأزجى البغدادى ، يكنى أبا العباس ، قرأ القرآن — العزيز — بالقراءات ، وسمع من أبى

خيرون وابن السلال وابن الحصين وأبى منصور القزاز ، وكان فيه خير . توفى فى طريق مكة المشرفة ، وكان خرج الى الحج فى سنة خمس وستين هذه السنة ، ودفن بزبالة » .

ويقابله لدى « ابن الجوزى » قوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد ، أبو العباس ، الأزجى . قرأ القرآن ، وسمع من أبن الحصـــين ، وابن خيرون ، والقزاز ، وابن السلال ، وغيرهم . وكان فيه خير ، خرج الى مكة فتوفى فى الطريق ، ودفن بزبالة فى هذه السنة » .

النقـد التـاريخى

المطلع على مادونه « ابن الفرات » فى تاريخه يجده مؤرخا على درجة كبيرة من الوعى التاريخى ، كما يلحظ له اتجاها نقديا من خلال ما أثبت فيه من حوادث ، يمكن تصنيف عناصره فى المجالات الآتية :

(أ) وصف الحوادث بالتفرد فى بابها :

ويمثله قوله معقبا على مناداة المشاعلية فى القاهرة ومصر وظواهرهما بجلوس « الظاهر برقوق » للحكم بين الناس يومى الأحد والأربعاء :

« ... وهذا لم يعهد من ملك قبله ممن أدركناه ، ولا سمع به من مشايخنا » ..

(ب) استحسان التصرف فى بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ... وفى صفر ـ الشهر المذكور ـ رتب القاضى نجم الدين الطنبدى محتسب القاهرة المحروسة جماعة من الفقهاء ، فى كل

سوق من أسواق القاهرة وظواهرها فقيه ، يعلم التجار وأصحاب الصنائع والمتعيشين سورة الفاتحة وغيرها من السور ، ليقرأوا ذلك، وجعل لكل فقيه على كل من يعلمه فلسين جدد ، وهذا ترتيب حسن لابأس به » ٠

(جـ) التهكم ، أو السخرية من التصرف في بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وفى يوم الاثنين ، سابع عشر صفر ـ الشهر المذكور ـ أرسل الملك الظاهر برقوق الى الأمير سيف الدين اينال اليوسفى ـ أتابك دمشـــق ـ تقليد ابنيابة حلب ، عوضا عن الأمير يلبغا الناصرى ، فكان كما قيل :

وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل » ٠

وتعقيبه على تولية « جركس الخليلى » لحسين بن باكيش نيابة غزة ، قائلا :

« ٠٠٠ فكان شر العشرة على أهل الديار المصرية ، ومن يصل اليه من جملتهم ، وكان عونا عظيما لمن يصل اليه من جهة الأمير يلبغا الناصرى ، وخامر معه ، فكان جركس الخليلى كما قيل : باحث عن ظلفه بظفره ، فلا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم » ٠

(د) تفسير بعض الحوادث ، بالكشف عن العلة فيها :

كنحو قوله معقبا على زواج « الجمال ، محمود القيصرى » بابنة ابن الطولونى :

« ٠٠٠ ولم يسمع حصل لأحد غير القاضى جمال الدين عقد نظير هذا العقد ، والأغلب أن ذلك جميعه فعل اكراما لابن الطيلونى ، لا لأجل جمال الدين محمود ، والله أعلم بجلية الحال » ٠

(هـ) الكشف عن مواطن العبرة والعظة في الحوادث :

كنحو قوله معقبا على طواعين مصر ، وفتن الشام :

« ··· وكان قد اجتمع فى أهل مصر وعسكرها فى هذا الشهر الطاعون بمصر والطعن بالشام ، فكان كما قيل :

من لم يمت بالسيف مات بغيره » ·

وقوله :

« ··· ثم أسفرت العاقبة أن الأمير الكبير منطاش طلب مماليك الملك الظاهر برقوق الذين قاتلوا معه (أى مع منطاش خذلانا لأستاذهم) ليحضروا النفقة ، فلما حضروا وصاروا بالاصطبل أغلق باب السلسلة ، وقبض على تقدير مائتى مملوك منهم ، ورمى مماليك منطاش من سور الاصطبل على الغلمان بالنشاب ، فهربوا فكان كما ورد :

من أعان ظالما سلط عليه » ·

وتعقيبه على ما تردد من أن « النور الحاضرى » قال لصديقه « الحسام الكورانى » – والى القاهرة – وقد ذكر اسم « برقوق » : « ان كتبه تأتى الى جماعة بالقاهرة ، وتعود أجوبتها » ، ونبه عنه لمنطاش ، الذى استجوبه ، فلما أنكر معرفته بذلك ضرب وعصر حتى أشرف على الموت ، ثم حبس ، قائلا :

« ··· هذا فائدة كثرة الفضول فيمالا يعنى الانسان ، ما أحسن قول القائل : معاداة العاقل ولا مصاحبة الجاهل » ·

(و) الافصاح عن عاطفته تجاه بعض الحوادث :

وهى عاطفة دينية قوية ، مجلة للسلطة ، متأسفة لما يصيب المسلمين من انقسام الكلمة فى الداخل ، أو يفرض عليهم من مكوس،

ولما يلحقه بهم الأعداء من هزائم ، داعية لجيوش الاسلام بالنصر . وللمسلمين باجتماع الكلمة وصـــلاح الأمور ، ولجيوش أعدائهم بالخذلان واللعنة ٠

ومن ذلك قوله فى أحداث الفتنة « المنطاشية » ـ جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م ـ وقد حضر القضاة الأربعة الى مشهد السيدة نفيسة لقراءة تقليد ابن الخليفة بولاية النظر عليه :

« ٠٠٠ وشاع أن القضاة بعد الفراغ من قراءة تقليد ابن الخليفة مضوا الى المكان الذى به آثار سـيدنا ونبينا محمد رســـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بظاهر مصر المحروسة ، وقرأوا هناك صحيح البخارى ، ودعوا الله ـ عز وجل ـ بالنصر للسلطان وعسكره فالله ـ تعالى ـ يحسن العاقبة ، ويؤلف الكلمة ، ويصلح أحوال المسلمين ، فانهم فى ضيق عظيم بسبب هذه االفتنة التى لـم نـر مثلها فى زماننا ، فانا لله وانا اليه راجعون » ٠

وقوله فى خروج الأمراء مطلبين لمـــلاقاة الخـارجين على « الظاهر برقوق » فى الشام ، فى الأحداث ذاتها :

« ٠٠٠ ثم خــرج بعد طلب الأمير جركس طلب المســاليك السلطانية ، وكان عليهم من الهيبة والوقار ما اقشعرت منه الجلود، وحصل لى أسف عظيم ، حيث رأيت هذه الأطلاب كيف لم يكن خروجها لجهاد الكفار ونصرة دين الملك القهار ، فانا لله وانا اليه راجعون » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وفى هذا اليوم (الأربعاء ، سابع جمادى الآخرة سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) أعيد جميع المكوس على ما كانت عليه ، فانا لله وانا اليه راجعون » ٠

وقوله ، وقد أخذ « الفرنج » جربة :

« ... وفى هذا اليوم (الاربعاء ، سادس عشـر صفر سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) . اشيع أن وردت الأخبار الى الملك الظاهر بأن الفرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ أخذوا جزيرة جربة من المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وقوله ، وقد خرج الأمراء لملاقاة المغول فى الشام :

« ... وسافر الأمراء الأربعة المقدمين الألوف وأتباعهم الى الشام ، فالله ـ تعالى ـ يصحبهم بالسـلامة ، ويعينهم على ماهم بصدده ، ويحسن عاقبتهم ، ان شاء الله تعالى » .

واقترن لفظتى « الفرنج » و « التتر » لديه ـ فى غير موضع ـ بقوله :

« لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم » .

ونعته كبار شخصيات « الفرنج » باللعين ، كنحو قوله :

« ... اللعين ملك الألمان » ، (... اللعين مرى » : « ... ملك الانكلتير لعنه الله » ، « ... اللعين ملك الانكلتير » ، « ... اللعين ابن لاون » .

فضلا عن الدعاء عليهم بالهلاك ، ومنه قوله :

« ... فعن لملك الألمان أن يسبح فى النهر ، فسبح ، فعرض له مرض شديد ، أداه الى الموت ، عجل الله بروحه الى النار ، وأراح المسلمين منه » .

تقويم مـادة الكتـاب

تضاءلت القيمة الفعلية لمادة الكتاب فى غير الأجزاء المعاصرة والتى لم يبق منها سوى الجزء التاسع من « مخط · فينا » ، الحاوى للحوليات فيما بين سـنتى (٨٧٩ هـ / ١٣٨٧ م · و ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م) ، حيث لم يكن « ابن الفرات » فيها سوى ناقل عن مصادره وكفى ، اللهم الا فى مواضع يسيرة جدا ، قابل فيها بين منقولين فى الحدث الواحد عن مصـدرين متعارضـين ، كابن واصل وابن نظيف(٥١) ، مرجحا أولهما على ثانيهما ، دون اقتران الترجيح لديه بعلة ترجع الى الحدث ذاته ، أو الى المصـدر الراجح أو المرجوح ·

كما كان النقل لديه ـ فى هذه الأجزاء غير المعاصرة ـ عن بعض المصادر نقلا متتابعا ، والاعتماد عليها فى بنـاء الكثير من

---

(٥١) راجع : ابن الفرات · التاريخ ج ١/٥ ص ٢٤ (= ابن واصل · مفرج الكروب ج٣ ص ١٧٢ ، ابن نظيف · التاريخ المنصورى ق ٢٥٣ ـ ٢٥٤) ، ج ١/٥ ص ١٧٣ (= ابن واصل · مفرج الكروب ج٣ ص ١٩٠ ، ابن نظيف · التاريخ المنصورى ق ٢٦٢ ـ ٢٦٣) ·

أجزاء الكتاب اعتمادا رئيسا ، بحيث ظهرت الى جانبها المصادر الأخرى المصرح بالأخذ عنها مصادر ثانوية ، ومن ذلك الاعتماد فى بناء مادة الجزء السادس من « مخط · حسين شلبى » على تفسير القرطبى ، وفى الجزء الحادى عشر منه على المنتظم لابن الجوزى ، وفى « مخط · باريس » ، المعنون « بالأول من تاريخ ابن الفرات » على التاريخ المظفرى لابن أبى الدم الحموى والمنتظم لابن الجوزى ، وفى « مخط · تونس » على الدر المنضد فى وفيات أمة محمد لابن دقماق ، وفى الأجزاء الثلاثة الأولى من « مخط · فينا » على زبدة الفكرة لبيبرس الدوادار ، وفى الجزءين الرابع والخامس منه على مفرج الكروب لابن واصل ·· وهكذا ·

أما الجزء المعاصر ، فقد انتظم الكثير من حوادث الفترة التى عاشها مؤرخنا ، وسجلها بتفصيلاتها ، فكان بذلك مصدرا رئيسا ، اكتسب سمة الأصالة ، مما جعله موردا رئيسا للمؤرخين المعاصرين، كالمقريزى ، وابن حجر ، والبدر العينى ، الذين نقلوا عنه مباشرة أحداث تلك الفترة فى بعض مؤلفاتهم التاريخية ، نصا أو تلخيصا ·

وهكذا ، فان الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب لا تكتسب قيمتها العلمية الا بقدر حفاظها على الكثير من النصوص المنقولة عن بعض المصادر التى لم يكشف بعد عن مظان وجودها ·

على أنه ليس صحيحا ما ردده بعض المحدثين الباحثين ، من أن ابن الفرات » لم يكتف بنقل ما جمعه ــ (فى هذه الأجزاء غير المعاصرة) ــ ولكنه صحح جوانب تاريخية مهمة ، كان سابقوه قد أغفلوها ، كما شرح كثيرا مما دونه وأحكم ما سجله ، ونفى ما ظنه بعيدا عن الأخبار التاريخية الصادقة »(٥٢) ، اذ المتردد فى تلك

---

(٥٢) د· أحمد الشامى · دراسة فى مخطوط تاريخ الدول والملوك (مجلة الدارة مج ١٠ ، ج٢ ، ص ٧٤ ·

الأجزاء غير المعاصرة من جوانب النقد التاريخي وما شاكله منقول ـ غالبا ـ عن مصادره ، وليس لمؤرخنا فيه أدني ابتكار أو ابداع ، ومنه نقده لمذهب بعض المتصوفة في طلب الولد ، قائلا عقب قوله تعالى : « هنالك زكريا ربه ، قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، انك سميع الدعاء » (٣٨ : آل عمران) :

« ... ودلت هذه الآي على طلب الولد ، وهى سنة المرسلين والصديقين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » . وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قال : أراد عثمان ـ رضى الله عنه ـ أن يتبتل ، فنهاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا . وخرج ابن ماجه عن عائشة ـ رضى الله عنهما ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتى ، فمن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ، ومن كان ذا طول فلينكح ، ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فانه له وجاء . وفى هذا رد على بعض جهال المتصوفة حيث قال : الذى يطلب الولد أحمق ، وما عرف أنه هو الغبى الأخرق ، قال الله ـ تعالى ـ مخبرا عن الخليل ابراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ، وقال عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » . وقد ترجم البخاري ـ عفا الله عنه ـ على هذا باب طلب الولد . قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى طلحة حين مات ابنه : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم . قال : بارك الله لكما فى غابر ليلتكما . قال : فحملت . وفى البخارى : قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن . وترجم ـ أيضا ـ باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ، وساق حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قالت أم

سلمة(٥٣) : يارسول الله ، (خادمك أنس) ، ادع الله له • فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته • وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين • خرجه البخارى ومسلم • وقال صلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فانى مكاثر بكم الأمم • أخرجه أبو داود • والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، تحث على طلب الولد وتندب اليه ، لما يرجوه الانسان من نفعه فى حياته وبعد موته • قال صلى الله عليه وسلم : اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث ، فذكر من جملته : أو ولد صالح يدعو له ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية » •

ويقابله لدى القرطبى قوله :

« ••• دلت هذه الآية على طلب الولد ، وهى سنة المرسلين والصديقين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » • وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : أراد عثمان أن يتبتل ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا • وخرج ابن ماجه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتى ، فمن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فانه له وجاء • وفى هذا رد على بعض جهال المتصوفة حيث قال : الذى يطلب الولد أحمق ، وما عرف أنه هو الغبى الأخرق ، قال الله – تعالى – مخبرا عن ابراهيم الخليل : « واجعل لي لسان صدق فى الآخرين » ، وقال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » • وقد

---

(٥٣) كذا فى الأصل ، وصحته : « أم سليم » •

ترجم البخارى على هذا باب طلب الولد · وقال صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة حين مات ابنه : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم · قال : بارك الله لكما فى غابر ليلتكما · قال : فحملت · فى البخارى : قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن · وترجم – أيضا – باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة . وساق حديث أنس بن مالك ، قال : قالت أم سلمة : يارسول الله ، خادمك أنس ، أدع الله له · فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته · وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين · خرجه البخارى ومسلم ، وقال صـــلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فانى مكاثر بكم الأمم · أخرجه ابو داود · والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، تحث على طلب الولد وتندب اليه ، لما يرجوه الانسان من نفعه فى حياته وبعد موته · قال صلى الله عليه وسلم : اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث . فذكر : أو ولد صالح يدعو له · ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية » ·

وقوله ناقدا أسامة بن منقذ ، من خلال الحديث عن قطب الدين، مودود :

« · · · وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ، ذكر فيه من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين – المذكور – توفى سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وليس بصحيح، فان أخاه الملك العادل نور الدين ، كان فى الموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور – كما سنذكره ان شاء الله تعالى – ولم يتوجه الملك العادل نور الدين اليها الا بعد وفاة أخيه السلطان قطب الدين » ·

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

« ... وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ذكر فى من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين - المذكور - توفى سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ، وليس بصحيح ، فان أخاه نور الدين كان بالموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشـــهر المذكور ، ولم يتوجه نور الدين اليها الا بعد وفاة أخيه قطب الدين » .

وقوله :

« ... حكى القاضى عماد الدين الأصفهانى الكاتب ، قال . لما كثرت الأخبار بمصر ، بما يعتمده ضياء الدين ابن الأثير - وزير الملك الأفضل صاحب دمشق - من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة بالشام ، تحركت عزائم الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ، ووعد بازالة ضياء الدين بن الأثير وطرده عن البلاد ، واصـــلاح ما فسد من الأحوال .

والظاهر أن الشيخ عماد الدين الكاتب - رحمه الله تعالى - انما ذكر ذلك تقية فى ذلك الوقت ، وخوفا من الملك العادل ، والا فالذى ذكره جماعة من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم الى دمشق نجدة للملك الأفضل ،ورأى من نكبة الملك الأفضل ماراى ، حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، فلما قصد الملك العزيز بلاد الشام بعســـاكره - كما قدمنا شرحه - توصل الملك العادل الى تحصيل عزمه ، بايقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية وبين الأسدية والملك العزيز ، ونفر كلا منهما من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز الى مصر » .

ويقابله لدى ابن واصل قوله :

« ... لما كثرت الأخبار بمصر بما يعتمده ضياء الدين بن الأثير - وزير الملك الأفضل - من الأحوال الرديئة والسيرة المذكومة

بالشام ، تحركت عزيمة الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ، ووعد بازالة ضياء الدين ابن الأثير وطرده عن البلاد ، واصلاح ما فسد من الأحوال ٠

قلت : هكذا حكى عماد الدين الكاتب ٠ وعندى أنه ربما ذكر ذلك تقية فى ذلك الوقت ، وخوفاً من الملك العـــادل ، والا فالذى أعتقده وبلغنى من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم دمشق نجدة للملك الأفضل ، ورأى من ربكة الملك الأفضل ما رأى ، حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، ولما قصد الملك العزيز البلاد بعساكره ، توصل الملك العادل الى تحصيل غرضه بايقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية ، وبين الأسدية والملك العزيز ، ونفر كلاً منهم من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز الى مصر » ٠

وقوله :

« ٠٠ واشار جماعة من الأمراء على الأمير عز الدين اسامة بتسليم كوكب وعجلون ، الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضا عنهما ، فما فعل لم يطرأ عليه ما طرأ ـ مما سنذكره ـ من الاعتقال وأخذ الأموال ٠ لكن المقدرات لا ينفع معها الحذر » ٠

ويقابله لدى ابن واصل ـ أيضا ـ قوله :

« ٠٠٠ وقد قيل : ان جماعة من الأمراء كانوا أشاروا على اسامة بتسليم كوكب وعجلون الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضا عنهما ، فما فعل ، ولو فعل لم يطرأ ما طرأ من الاعتقال وأخذ أمواله ، وكانت جميع أمواله وذخائره بكوكب ، فاستصفيت جميعها » ٠

الفصـــل الثــالث

ابن دقماق وكتابه «الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين»

ابن دقماق «ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧م»

دراسة حياة

هو « صارم الدين ، ابراهيم(١) بن محمد بن أيدمر العلائى » ، المعروف بابن دقماق(٢) .

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : المقريزى . درر العقود الفريدة ق ٢٢ ب ـ ٢٣ ب ، ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ٢٣٤ ، ٣٦٠ تر ١ ، ذيل الدرر الكامنة ق ٨٧ ، المجمع المؤسس ق ٢٠٠ أ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج١ ص ٢٥ تر ٦٣ ، المنهل الصافى ج١ ص ١٣٨ ـ ١٤٠ تر ٦٤ ، الصيرفى . نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص ٢٣٧ تر ٤٥٨ ، السخاوى . الضوء اللامع ج١ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج١ ص ٣٢١ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج٧ ص ٨٠ .

(٢) أخطأ كل من : ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج١ ص ١٢٠ تر ٦٣ ، الدليل الشافى ج١ ص ٢٥ تر ٦٢) ، والسخاوى (الضوء اللامع ج١ ص ١٤٥) عندما أشارا الى أن « دقماق » ـ ومعناه المطرقة ـ هو جد أبيه ، وان مؤرخنا هو « محمد بن أيدمر بن دقماق » ، ذلك أن «دقماق» هو «أيدمر» جد مؤرخنا لأبيه ، كما هو مثبت فى كنز الدرر للدوادارى ج٩ ص ٣٥٩ ، ودرر العقود الفريدة للمقريزى ق ٢٢ ب ، والدرر الكامنة لابن حجر ج٣ ص ٣٩٤ .

تدرج جده لأبيه « عز الدين ، أيدمر » ــ أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون ــ فى وظائف الدولة المملوكية الى أن ولى نقابة الجيوش المنصورة عوضا عن « شمس الدين المهمندار » (٧٣٢ هـ ــ ١٣٣٢ م) · سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجرة ، وظل شاغلا لهذه الوظيفة الى حين وفاته فى سادس رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة للهجرة(٣) ·

أما والده « بدر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا أنه توفى بالعقبة سنة احدى وستين وسبعمائة للهجرة(٤) ·

على حين ولد مؤرخنا « صارم الدين ، ابراهيم » فى حدود الخمسين وسبعمائة ، ونشأ فى طبقة أولاد الناس ، وتزيا بزى الجند، وتفقه على المذهب الحنفى ، واشتغل بالعلم ، وأسندت اليه وظيفة خزن الكتب فى الخانقاة الصلاحية(٥) ، كما تولى قبل وفاته ولاية « دمياط » ، فلم ينتج أمره فيها ، وعزل ، وعاد الى القاهرة ، فمات بها بعد قليل ، لليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة تسع وثمانمائة ، عن نحو الستين عاما(٦) ·

---

(٣) الدواداري · كنز الدرر ج٩ ص ٣٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج١ ص ٤٣٠ تر ١٣٢ ، السخاوى · الضوء اللامع ج١ ص ١٤٥ ·

(٤) ابن حجر · الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٩٤ تر ١٠٤٣ ·

(٥) أشار « ابن الفرات» (التاريخ ج٩ ص ٤٠٦) الى أنه استقر فى هذه الوظيفة يوم الخميس ، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٩٧هـ·/١٣٩٥م·) ·

(٦) ابن حجر · المجمع المؤسس ق ٢٠٠ أ ، ابن تغرى بردى · المنهل الصافى ج١ ص ١٢١ ، السخاوى · الضوء اللامع ج١ ص ١٤٥ ·

أخــــــــلاقه :

أشار « المقريزى » الى أنه « كان جميل العشرة ، فكه المحادثة ، كثير التودد ، حافظا للسانه من الوقيعة فى الناس ، لاتراه يذم أحدا من معارفه ، بل يتجاوز عن ذكر ماهو مشهور عنهم مما يرمى به أحدهم ، ويعتذر عنه بكل طريق »(٧) ٠

ثقــــــــــافته :

طلب العلم وتفقه يسيرا بجماعة ، وأحب الأدب واشتغل به ـ على الرغم من كونه عريا عن العربية ، عامى العبارة ـ ثم حبب اليه التاريخ ، فانكب عليه حتى كتب فيه نحو مائتى سفر من تأليفه وغيره(٨) ٠

مكانته بين علمـــــاء عصــــره :

أشار « المقريزى » ـ وقد صحب « ابن دقماق » مدة وتجاورا عدة سنين ـ الى أنه « كان عارفا بأمور الدولة التركية » مذاكرا بجملة أخبارها ، مستحضرا لتراجم امرائها ، ويشارك فى أخبار غيرها مشاركة جيدة »(٩) ٠

ونعته « ابن حجر العسقلانى » بمؤرخ الديار المصــرية فى زمانه(١٠) ، وجـــاراه على ذلك « الســـيوطى » فى حســــن المحاضرة(١١) ٠ وأشار « ابن حجر » فى صدر كتابه « الانباء » الى

---

(٧) المقريزى ٠ درر العقود الفريدة ق ٢٣ أ ٠
(٨) نفسه ق ٢٢ ب ، ابن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج١ ص ١٢١ ٠
(٩) المقريزى ٠ درر العقود الفريدة ق ٢٣ أ ٠
(١٠) ابن حجر ٠ المجمع المؤسس ق ٢٠٠ أ ٠
(١١) السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج١ ص ٥٥٦ ٠

انه اجتمع به كثيرا ، وغالب ماينقله فى الانباء من خطه ، ومن خط « ابن الفرات ـ الحنفى » عنه(١٢) ، وعاد الى توكيد ذلك بما أورده فى « ذيل الدرر الكامنة » من ترجمته(١٣) ٠

كما أشار « ابن تغرى بردى » فى المنهل الصـــــافى الى أن « تصانيفه جيدة مفيدة ، واطلاعه كثير ، واعتقاده حسن ، ولم يكن عنده فحش فى كلامه ولا فى خطه » (١٤) ٠

واعتمده كل من « ابن الفرات » (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ، و « التقى المقريزى » (ت ٨٤٥ هـ / ١٣٤١ م) ٠ ، و « ابن حجر » (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، و « البدر العينى » (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) ، وغيرهم مصدرا هاما فى كتاباتهم التاريخية ، ونقلوا عنه نصا وتلخيصا ٠

---

(١٢) ابن حجر ٠ انباء الغمر ج١ ص ٤ ٠
(١٣) ابن حجر ٠ ذيل الدرر الكامنة ق ٨٧ ٠
(١٤) ابن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج١ ص ١٢١ ٠

مجهوداته فى الكتابة التاريخية

على الرغم من غزارة كتابات « ابن دقماق » فى التاريخ ، فانه لم يبق لدينا من مؤلفاته أو عنواناتها الا القليل ، المبعثر فى مكتبات العالم ، أو المثبت اسمه لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، والتى يمكن اجمالها على النحو التالى :

١ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار(١٥) ·

٢ ـ ترجمان الزمان فى تراجم الأعيان(١٦) ·

---

(١٥) ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج١ ص ١٧٤) ، مشيرا الى انه فى عشره مجلدات ، نشر منه «فولرز» المجلدين الرابع والخامس عن مخط · دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ١٢٤٤ ـ تاريخ ، وهى بخط مؤلفه ·

(١٦) كتاب فى التاريخ ، مرتب على حروف الهجاء فى التراجم ، توجد منه أجزاء من نسخة بخط المؤلف ، كتبت سنة ٧٨١هـ · ، وهى : السابع ، والحادى عشر ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث ـ تركيا ، تحت رقم : ٢٩٦٧ ·

٣ ـ الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين[١٧] ٠

٤ ـ الدر المنضد فى وفيات أمة محمد[١٨] ٠

٥ ـ عقد الجواهر فى سيرة الملك الظاهر[١٩] ٠

٦ ـ فرائد الفوائد[٢٠] ٠

٧ ـ الكنوز المخفية في تراجم الصوفية[٢١] ٠

---

(١٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، منها نسخة كتبت سنة ٨٦٠هـ ٠ ، تحتفظ بها مكتبة حكيم أوغلى ـ تركيا ، تحت رقم : ٧٣٧ ، وتقع فى ١٣٠ ورقة ، مقاسها ١٣ × ١٧ سم ، ونسخة كتبت سنة ٩١٠هـ ٠ ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث ـ تركيا ، تحت رقم ٢٩٨٤/٢ ، وهى مشكولة ، وبخط نسخ حسن ، وان كانت كثيرة الاسقاطات والحذف والتبديل والتعديل ، ونسخة ثالثة كتبت سنة ٨٧٣هـ٠ برسم الأمير «فرج» نجل المقر «بردبك» أمير آخور الظاهرى ، وتحتوى على ١٣٠ ورقة ، وتحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث تحت رقم : ٢٩٠٣ ، ونسخة تقع فى حوالى ٢٢٠ ورقة ، مقاسها ١٥ × ٢٠ سم ، تشترك مع سابقتها فى المواصفات ، تحتفظ بها دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٤٩٢ ـ تاريخ ، تيمور ٠ وسوف نعرض له بالدراسة فى الصفحات التالية ٠

(١٨) استمد منه ابن الفرات ـ الحنفى (التاريخ مخط ٠ تونس) مصرحا فى عدة مواضع ٠

(١٩) أحال عليه ابن دقماق (الجوهر الثمين ، مخط ٠ حكيم أوغلى ق ١١١ ب) ٠

(٢٠) كتاب في « التعبير والرؤيا » ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج١ ص ٢٨٠) ، وبيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٢٨٠ ، « مادة : ابن دقماق ») ٠

(٢١) ذكره بيدرسن (نفسه) ٠

٨ ـ نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام(٢٢) ٠

٩ ـ نظم الجمان فى طبقات أصحاب امامنا النعمان(٢٣) ٠

١٠ ـ ينبوع المزاهر فى سيرة الملك الظاهر(٢٤) ٠

---

(٢٢) مرتب على السنين ، انتهى به مؤلفه عند سنة ٧٧٩هـ٠ ، ويقع فى نحو اثنتى عشرة مجلدة ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج١ ص ٦٢) ، ويوجد منه :

● مجلد بخط مؤلفه ، ناقص من أوله ، وأول ما فيه حوادث سنة ٦٢٨هـ٠ ، وينتهي بوفيات سنة ٦٥٩هـ٠ ، تحتفظ به المكتبة الأهلية ـ باريس ، تحت رقم : ١٥٩٧ ٠

● مجلد يبتدىء بسنة ٢٧٩ ، وينتهى أثناء وفيات سنة ٤٢٢هـ٠ ، مع تداخل سنوات ٤٣٦ : ٤٩٩ فى أثناء ذلك ، كتب سنة ٨٠٩هـ٠ ، بخط «أحمد بن عبد الحميد بن محمد المصرى» ، وتحتفظ به مكتبة فيض الله ـ تركيا ، تحت رقم : ١٤٥٩ ٠

(٢٣)يقع في أربعة أجزاء ، تناول في أولها مناقب الامام «ابى حنيفة» ، بينما ترجم فى باقيها لأصحابه ٠

ذكره المقريزى (درر العقود الفريدة ق ٢٢ ب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون ج٢ ص ١٩٦١) ٠

ويوجد منه الجزء الثانى ، ويبتدىء بترجمة « ابراهيم بن أدهم » وينتهى بترجمة « نصر بن بشر » ، وهو ناقص الآخر ، تحتفظ به مكتبة أحمد الثالث ، تحت رقم : ٢٨٣٢ ٠

(٢٤) أشار حاجى خليفة (كشف الظنون ج١ ص ٢٧٨) الى انه مختصر من « عقد الجواهر » ، وتابعه على ذلك بيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٢٨٠) ٠

الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (٢٥)

محتـــواه وتنظيمه :

احتوى هذا المؤلف على مقدمة قصيرة(٢٦) ، أشار مؤلفه فيها الى انه جمعه باشارة السلطان « الظاهر برقوق » ، تتبعها ترجمات سريعة ، متعجلة المحتوى ، كتبت بأسلوب عامى العبارة ، لايعنى من قريب أو بعيد بقواعد اللغة أو فقهها ، وانما هو مثبت لما توارد على الفكر ورددته الألسن(٢٧) ، مما جعله يغفل الكثير من تفصيلات الحوادث ، وما يجرى فى حياة المترجمين لديه ، فضلا عن اغفال اثبات بعض الحوليات ، واهمال التاريخ للممالك الاسلامية المستقلة فى المغرب والأندلس (شبه جزيرة أيبيريا) ، أو الكثير من الدول

---

(٢٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوطات الكتاب السابق الاشـــارة اليها ، مع الاحالة الى صفحات « مخط · حكيم أوغلى » ·

(٢٦) راجع : ابن دقماق · الجوهر الثمين ق ٢ أ ·

(٢٧) مثل قوله : « أخلع = خلع » ، و « غلق = أغلق » ، و «أرماه = رماه» ، و «أبيع = بيع» ، و «مسك = أمسك» ، بالاضافة الى الكثير من الأخطاء النحوية ، وهى سمة عامة فى الكتاب ·

المستقلة فى المشرق الاسلامى ، من أمثلة الغزنوية والسلجوقية والسامانية والديلمية ٠٠ على الرغم من ادراك « ابن دقماق » لتأثيرها فى الخلافة العباسية فى طورها الثانى ، ونصه على ذلك فى ثنايا ترجمات الكثير من خلفاء بنى العباس ـ مكتفيا باثبات ترجمات الخلفاء الراشدين ، وخلفاء الدولة الأموية فالعباسية فالفاطمية ، فسلاطين الأيوبيين والمماليك الى سلطنة « الظاهر برقوق » الثانية ٠

لكنه مع ذلك يبقى مادة أساسية لدارسى التاريخ الاسلامى ، لا غنية لهم عنها ، باعتباره الكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفات « ابن دقماق » مكتملا ، مما يعد أنموذجا فريدا فى التعريف بمنهجه فى الكتابة التاريخية ومفهومه لها ، فضلا عن اعطاء صورة سريعة ، أو خطوط عريضة ، لحال الدولة الاسلامية فى أطوارها المختلفة ، وعلى مدى ثمانية قرون من الزمان ، وان قصر فى اكمال هذه الصورة ٠

ثم ان القسم الأخير منه ، والذى رتبه على الحوليات المتعاقبة الواردة فى ثنايا ترجمات سلاطين المماليك يعد مادة أساسية ، استقى منها عمداء الكتابة التاريخية فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، من أمثال « ابن الفرات » و « التقى المقريزى » و « ابن قاضى شهبة » و « ابن حجر العسقلانى » و « ابن اياس » ، على نحو ماسوف ينبه اليه ٠

منهجه :

يمكن اجمال منهج « ابن دقماق » فى الجوهر الثمين فى النقاط الآتية :

أولا : الترجمة لبعض الشخصيات ذات التأثير الفعال فى جوانب الحياة المصاحبة للشخصيات المترجم لها ضمن ترجمات الكتاب الرئيسية ، وفى اطار محتواها ٠

ومن أمثلة ذلك الترجمة « للحجاج بن يوسف الثقفى » ، فى أثناء الترجمة « للوليد بن عبد الملك » ، بل لقد أتت هذه الترجمة الفرعية أكثر طولا واستيعابا من الترجمة الرئيسة ، وكذا الترجمة « للموفق طلحة » ضمن الترجمة « للمعتمد العباسى » ، والترجمة للسلطان « طغر لبك السلجوقى » ضمن الترجمة « للقائم العباسى ». والترجمة « لنور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر » ، ضمن الترجمة « للناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى » .

ثانيا : ومع ذلك ، فان ترجمته « لابن المعتز » الخليفة العباسى، قد أتت مندمجة فى ترجمة « المقتدر العباسى » ، وربما لكونه ملك يوما واحدا ، مما يعد انقلابا فاشلا ، لم يحقق غايته ويرسخ بقدم صاحبه فى السلطة .

أما ترجمات الخلفاء والسلاطين ، فقد اعتنى فيها بالابانة عن العناصر الآتية :

(أ) اللقب والكنية والاسم ، كنحو قوله : « الهادى موسى ، هو أبو محمد ، موسى بن المهدى محمد بن عبد الله المنصور » .

(ب) المولد ، كنحو قوله فى ترجمة هارون الرشيد : « ... ومولده بالرى ، لثلاث بقين من ذى الحجة ، سنة تسـع وأربعين ومائة ، فى خلافة المنصور » .

(جـ) تقدير عمر المترجم له حال توليه الخلافة أو الوفاة ، كنحو قوله مترجما المقتدر : « ... اجتمع رأى أصحاب العقد والحل عليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثلاثة أيام » ، وقوله مترجما محمد الأمين : « ... عاش سبعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر » .

وقد يقترن ذلك بتحـديد تاريخ ولايته ، كنحو قوله مترجما محمد المعتز : « ... بويع بالخلافة يوم السبت ، لست خلون من المحرم ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين » .

(د) مدة الخلافة أو السلطنة ، كنحو قوله مترجما المعتضد : « ... وكانت خلافته عشر سنين ، وتسعة أشهر ، وثلاثة أيام ، وقيل : تسع سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما » .

(هـ) أهم أعماله : من فتوحات ، أو رد مفسدة ، أو بناء مدينة أو مسجد ... الخ ، كنحو قوله مترجما عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ... فتوحاته : افتتح دمشق على يد أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فى سنة ثلاث عشرة ، وفتح الجابية ، وفتح بيت المقدس فى سنة ست عشرة ، وفتح القادسية من بلاد العجم على يد سعد بن أبى وقاص ، وفتح سروج والرها ونصيبين والرقة والجزيرة وعين التمر على يد عياض بن غنم فى سنة ست عشرة ، وفتح قيسارية على يد معاوية بن أبى سفيان ، وفتح مدائن كسرى فى سنة تسع عشرة ، وفتح مصر والاسكندرية ودمياط وبرقة على يد عمرو بن العاص ، وفتح نهاوند على يد النعمان بن مقرن فى سنة احدى وعشرين ، وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر ، وفتح طرابلس الغرب – وهى أول مدن الغرب – على يد عمرو بن العاص ، وفتح كور الأهواز واصطخر على يد أبى موسى الأشعرى ، وفتح همدان وأصبهان على يد عبد الله الخزاعى ، وفى أيامه دخل معاوية – رضى الله عنه – أرض الروم حتى بلغ عمورية ، وفتح خراسان وأعمالها فى سنة ثلاث وعشرين ، وفتح فلسطين وعسقلان وفى أيامه زالت دولة الفرس » .

وقوله مترجما عمر بن العزيز رضى الله عنه : « ... ومنع من لعن الامام على بن أبى طالب آخر الخطبة ، وجعل مكانه : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (٩٠ : النحل) » .

وقوله مترجما عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ... وعمر فى أيامه البصرة والكوفة فى سنة ست عشرة ، وعمرت الجيزة

بمصر بالجانب الغربى فى سنة احدى وعشرين ، وعمر مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووسعه فى سنة تسع عشرة » ٠

وقوله مترجما أبا جعفر المنصور : « ٠٠٠ وفى أيامه شــكا الناس اليه ضيقة المسـجد الحرام ، فكتب الى زياد بن عبد الله الحارثى أمير مكة أن يشترى المنازل التى تلى المسـجد الحرام ويخربها حتى يزيد فيه ضـعفه ، فأمتنع الناس من البيع ، فذكر المنصور ذلك للامام جعفر الصادق ، فقال : سلهم ، أهم نزلوا على البيت أم هو نزل عليهم ؟ فكتب بذلك الى زياد ، فقال لهم ، فقالوا : نحن نزلنا عليه ، فقـال جعفر بن محمد : ان للبيت فناء ، فكتب أبو جعفر الى زياد بهدم المنازل التى تليه ، فهدمت المنازل ، وأدخلت عامة دار الندوة فيه ، حتى زاد ضعفه ، وكانت الزيادة مما يلى دار الندوة وناحية باب بنى جمح ، ولم يكن مما يلى الصفا والوادى، وكان البيت فى جانب الحرم ، وكان ابتداء العمارة فى سنة ثمان وثلاثين ومائة ٠

وهو الذى عمر مسجد الخيف بمنى ، وصيره على ماهو عليه من السعة ، وحج سنة أربعين ومائة لينظر ما زيد فى المسـجد الحرام » ٠

وقوله مترجما المستنصر بالله العباسى : « ٠٠٠ عمر ببغداد المدرسة المستنصرية ، ووقفها على المذاهب الأربعة ، ولم يكن بنى على وجه الأرض مثلها ، لأنها بالعراق مثل جامع بنى أمية بالشام ، وأوقف عليها الكتب النفيسة » ٠

وقوله مترجما الظافر بالله اسماعيل : « ٠٠٠ وهو الذى عمر جامع الفكاهين بالشوايين » ٠

(و) سجاياه ، وصفاته ، كنحو قوله مترجما المتوكل : « ٠٠٠ وكان أسمر رقيقا ، مليح العينين ، خفيف اللحية ، ليس بالطويل ،

أحيا فى أيامه السنة وأمات البدعة ، ولكنه كان فيه انهماك على اللهو والشراب ـ سامحه الله تعالى ـ وكان فيه كرم زائد » .

وقوله فى ترجمة المنتصر : « ... كان مربوعا ، سمينا ، اقنى الأنف مليحا ، مهيبا ، كامل العقل ، يحب الخير » .

(ز) الوفاة من حيث تاريخها ، وكيفيتها ، والعلة فيها ، وموضع الدفن ـ أحيانا ـ ومن امثلة ذلك قوله مترجما المعتضد « ... وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ ليلة الثلاثاء ، لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين ببغداد ، وقيل : سنة تسع وثمانين .. ودفن فى دار محمد بن عبيد الله بن طاهر ، فقبره فى حجرة الرخام بها » .

وقوله مترجما محمد المنتصر : « ... وكان سبب موته أنه اصابته علة الخوانيق ، وقيل : بل سم فى كمثرى ، وقيل : أصابه ورم فى معدته ، وقيل : فصد بمبضع مسموم ، وقيل : بل وجد علة فى رأسه فقطر طبيبه ابن طيفور فى أذنه دهنا فورم رأسه ومات » .

(ح)وزراؤه وكتابه وقضاته ، كنحو قوله مترجما أبا بكر الصديق رضى الله عنه : « ... كاتبه : عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قاضيه : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حاجبه : سديد مولاه » .

(ط) بعض الطرائف او الحكايات الغريبة المتعلقة بالمترجم له، كنحو قوله مترجما الحسن بن على رضى الله عنه :

« ... ومن طريف اخباره ما ذكره ابو العباس المبرد : أن مروان ابن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبى عتيق : ان دفعتها اليك ، اتقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال : اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ، ثم أمسك

عن الحسن ، فلمنى على ذلك ، فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، فان له ماليس لأحد ؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ، ودفعها اليه » .

وقوله مترجما المهدى :

« ... ومن أغرب الحكايات أن المهدى رأى رجلا فى المنام يخبره بهدم قصره ، فمات بعد ذلك بعشر ليال » .

وقوله مترجما جعفر المتوكل :

« ... ومن العجب العجيب أنه قدم الى المتوكل سيفا قاطعا لا يكون مثله فى السيوف أبدا ، فطلبه منه سائر أهل مملكته ، فأبى ان يعطيه لأحد منهم ، وقال : هذا ما يصلح الا لساعد باغر ، فأعطاه له دون غيره ، فقتل باغر ـ المتوكل بذلك السيف » .

(ى) العناية باثبات الأوليات والأخريات المتعلقة بالمترجم له. كنحو قوله مترجما يزيد بن معاوية :

« ... ويزيد هذا أول من اتخذ المغانى والندماء ، وجلس فى المحفة » .

وقوله فى ترجمة المهدى :

« ... وهو أول من مشوا بين يديه بالسيوف المسللة والقسى والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالأكرة والصولجان فى الاسلام » .

وقوله فى ترجمة المقتدر بالله العباسى :

« ... وهو أول من ولى من بنى العباس وهو غير بالغ » .

وقوله مترجما أحمد الراضى بالله :

« ... والراضى آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة » .

(ك) لكنه مع ذلك يسلم ببعض الخرافات ، ومنها ما جاء فى معــرض حديثه عن هدية « دهمى » ملك الهنـــد الى « المأمون العباسى » من قوله : « ... وكانت هديته .. وفرش من جلد حية تبتلع الفيل ، ونقش جلدها نقط سود كالدراهم فى أوساطها نقط بيض ، لايتخوف من جلس عليها مرض السل » .

وقد ترد هذه العناصر بهذا الترتيب فى الترجمات ، وقد يختل ترتيبها ، وقد تحتوى الترجمة الواحدة على هذه العناصر مجتمعة ، وقد تحتوى على جملة منها ، وقد يطول الكلام فى العنصر الواحد ليطغى على سائر العناصر ، وقدتشغل الترجمة الواحدة أكثر من ورقتين ، بينما لا تتعدى ترجمة أخرى السطور القلائل .

وأما الحــــوليات ، فان « ابن‌دقماق » لم يقتصر فيها على الحوادث السياسية ، وانما تناول معها الكثير من الأوضاع الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. حيث أشار الى العديد من الاستقرارات الوظيفية ، وما يطرأ عليها من تغاير ، وترق أو عزل الأمراء والجند .

كما أورد الكثير مما تعلق بالناحية السياسية ، سواء فيما يخص علاقات الدولة المملوكية بالمغول والصـــليبيين (الفرنج) والنوبة وأولاد الكنز واليمن والعـــراق والمغرب العربى والتكرور بالاغارة الحروب ، أو بالسفارات وتبادل الهدايا والزيارات أو فيما يتعلق بالأوضاع السياسية الداخلية ، وما يطرأ عليها من هزات تودى بحياة بعض السلاطين ، مشيرا الى اطاعة الولاة للسلاطين أو تطاولهم عليهم ، وما يتبع ذلك ــ عادة ــ من تصدى السلاطين لمثل هذه الحالات ، وانزال الكثير من أنواع العقوبات بهم ، ومصادرة

بعضهم ، وما يتبع ذلك بالضرورة من التغاير فى كثير من المناصب والوظائف الادارية · وكذا مايقع فى دولهم من اغارات العربان ، وتصديهم لها ، مايكون فى عهودهم من فتوحات ·

كما اهتم بابراز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء ، سواء ببناء المدارس أو الجوامع والمساجد أو البيمارستانات أو الخوانق أو القصور أو الجسور والقناطر أو الأحواش والميادين ·

كما لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين وذويهم ، ذاكرا لمواكبهم ، وما يقع لهم أو لأولادهم من الزيجات ، أو انجاب ذكران الأولاد ، وعمل المهمات لطهورهم (ختانهم) ، ولعبهم ، وما الى ذلك ·

وأهتم ـ كذلك ـ بذكر بعض المراسم الصـــادرة عن الادارة المملوكية ، فيما يتعلق بابطال بعض المكوس والضمانات(٢٨)، أو الحكم والقضاء بين الناس(٢٩) ، أو ابطال الضرب بالمقارع فى مصر والشام ، فضلا عن أحكام أهل الذمة ·

كما اهتم بتسجيل الأحوال الاقتصادية والصحية ، مشيرا الى سك (ضرب) بعض العملات ، وما يعترى فيضان النيل من توقف

---

(٢٨) المصدر السابق ق ٦٢ ب (فيما تعلق بابطـــال ضـــمان المـوز وجهاته) ، ق ٦٣ أ (فيما تعلق بابطال ضمان الحشيش) ، ق ٨٠ (فيمـا تعلق بابطال حقوق الغلة ، والعرصات ، والمسامحة بنصف السمســـرة ، ورسوم الولاية ، والمقدمين ، وكتاب الولاة ، وحقوق السجون وضماناتهـا وقود الخيل ، وعداد النخل ، واتيان المعاصر ، ومقرر الملاهى ، والمناشر ، وما يطلب به الحى عن الميت ، والحاضر عن الغائب ، والمحدث على بركـة الحبش ، والبرطيل من الولاية والنظار وأرباب الوظـــائف) ، ق ١٠٠ أ (فيما تعلق بابطال ضمان المغانى) ·

(٢٩) نفسه ق ٩٤ ب (فيما تعلق بوكلاء باب الشرع الشريف) ، ق ١٠٩ أ (فيما تعلق بحكم السلطان الظاهر برقوق بنفسه بين الناس) ·

أو وفاء ، ومايتبع ذلك من رخص أوتمايز فى أسعار بعض المأكولات، كالقمح والشـــعير والفول والخبز ، وما يحدث فى بعض الأزمات الاقتصادية (أو المجاعات) من تكافل اجتماعى(٣٠) ، وما ينزل بالبلاد من الطواعين والأوبئة ٠

كما سجل بعض الظاهرات الطبيعية(٣١) ونبه على بعض المفاسد الاجتماعية ، كظهور « خناقة » ، أو احتيال بعضهم للايهام بوجود الجان ، أو الاختلاس والسرقات ٠

كما اهتم بأمر الحج ، ومايكون من اصلاح لطرقه ومناسكه ٠

ونبه من خـــلال هذه الحـــوليات الى وفيات كثير من الملوك والسلاطين والأمراء والخلفاء والعلماء فى مصر وفى خارجها ٠

وهكذا ، فان « ابن دقماق » لم يرد بمادة الكتاب الترجمـــة البحتة لسلاطين المماليك ، اقتصارا على العناصر المدروســـة فى ترجماتهم(٣٢) بعيدا عن مايحوطهم من حوادث ــ على اختـــلاف أنواعها ــ هادفا من وراء ذلك الى قياس مراكز دولهم ، لما فيه من أهمية فى تقويمهم ٠

---

(٣٠) نفسه ق ٦٢أ، حيث أشار الى ذلك فى حولية ستين وستمائة قائلا :
« ٠٠٠ وفيها ، غلت الأسعار ، وعدمت الغلة ، فجمع السلطان الحرافيش وعدهم وقسمهم ، فأخذ لنفسه خمسمائة ، ولولده الملك السعيد خمسمائة ، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمائة ، وفرق البقية على الأمراء ، ورسم أن يعطى لكل حرفوش فى كل يوم رطلين خبزا ، فما رئى أحد يسأل بالديـــار المصرية من الفقراء » ٠

(٣٠م) نفسه ق ٦٣ ب ، ٨٨ ب ، ٨٩ أ ٠

(٣١) المصدر السابق ق ٧٧ أ ، حيث أشار الى بعض الزلازل ، قائلا :
« ٠٠٠ وفيها (سنة ٧٠٢هـ٠) زلزلـــت الأرض الزلزلـــة العظمى ، وتساقطت البيوت ، وتشققت الجبال ، وتشعثت الأسوار ، وخرجت النساء حاسرات الى الطرقات ، وكان تأثيرها بالاسكندرية أشد وأعظم » ٠

(٣٢) وان أراد ذلك فى ترجمات الخلفاء والسلاطين الأيوبين السابقين عليهم ، ربما لانتمائه الى هذه الدولة ، فضلا عن بقائها أو معاصرتها ٠

مصـــادر مادة الكتـــاب

اولا : أنواع المصـــــادر :

(أ)المشافهة : ويمثلها قوله مترجما « الظاهر برقوق » :

« ٠٠٠ أخبرنى بذلك قاضى القضاة ، عماد الدين العامرى الأزرقى ، وذكر لى أنه ٠٠ »

(ت) المؤلفات السابقة ، وتتمثل فى :

١ ـ صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) ٠

٢ ـ الطبقات لمسلم القشيرى (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) ٠

٣ ـ تاريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) ٠

٤ ـ الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) ٠

٥ ـ التاريخ لابن أبى مريم (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) ٠

٦ ـ التاريخ لثابت بن قرة (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) ٠

٧ ـ الجليس الصـــالح الكافى والأنيس الناصـــح الشافى للمعافى بن زكريا النهروانى (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) ٠

٨ ـ سيرة أحمد بن طولون للبلوى ٠

٩ ـ الاستيعاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ٠

١٠ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م)

١١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ٠

١٢ ـ ذيل مرآة الزمان لليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) ٠

١٣ ـ نهاية الأرب للنويرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) ٠

١٤ ـ تاريخ الاســـلام ودول الاسلام للذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ٠

١٥ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (ت ١٣٦٣/٧٦٤ م)٠

١٦ ـ الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية للنويرى السكندرى (كان حيا سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م) ٠

١٧ ـ درة الأسلاك فى دولة الأتراك للحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ٠

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « ابن دقماق » فى الاسناد الى المصادر على النحو التالى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا بعنوان واسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ ذكر مسلم فى الطبقات من حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : ٠٠٠ »

وقوله :

« ··· حكى القاضى أبو الفرج المعافى فى كتابه الجليس والأنيس ، قال : ··· »

(ب) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف دون عنوان الكتاب :

ويمثله قوله :

«قال أبو عمر بن عبد البر : ··· »

وقوله :

« ··· وحكى الشيخ محمد بن شـــاكر الكتبى ـ فيما رآه مكتوبا بخط الامام العالم العلامة علم‌الدين البرزالى ـ قال : ··· »

(جـ) الاسناد الى المصدر البعيد ، مع اغفال ذكر المصدر القريب المأخوذ لديه عنه :

ويمثله قوله :

« ··· وقال قتادة : كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يلبس جبة صوف مرقوعة بأدم ، ويطوف فى السوق ، ومعه الدرة يؤدب بها الناس » ·

ويقابله فى « دول الاسلام » للذهبى قوله :

« ··· وقال قتادة : كان عمر يلبس جبة صوف مرقوعة بأدم ، ويطوف فى السوق ، معه الدرة يؤدب الناس بها » ·

وقوله مترجما الحسن بن على رضى الله عنه :

« ··· ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان بن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقـال له ابن أبى عتيق : ان دفعتها اليك تقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال :

نعم ، قال : اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ، ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، فان له ماليس لأحد ؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ودفعها اليه » .

ويقابله لدى « ابن خلكان » قوله :

« ... ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان ابن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن عتيق : ان دفعتها اليك اتقضى لى ثلاثين حاجة ؟! قال : نعم ، قال : فاذا اجتمع الناس عندك العشية ، فانى آخذ فى مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض فى أولية قريش ، قال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، وله فى هذا ماليس لأحد ؟ قال : انمـــا كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد ، فلما خرج ليركب تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها اليه » .

(د) اغفــــال الاسناد الى المصدر :

كما وجد أن « ابن دقماق » قد نقل الكثير من مادة كتابه عن «وفيات الأعيان » لابن خلكان ، و « دول الاسلام» للذهبى ، غير مصرح فيها بالنقل عنهما ، ومن ذلك قوله :

« ... وكان نور الدين الشهيد ملكا عادلا ، كثير الصدقات ، زاهدا ، عابدا ، مستمسكا بالشـــريعة ، مائلا الى أهل الخير ،

مجاهدا فى سبيل الله - تعالى - بنى المدارس بأكثر بلاد الاسلام الكبار : دمشق وحلب وحماه وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة ، وبنى بالموصل الجامع النورى ، وبحماه الجامع الذى على نهر العاص ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، والمارستان بدمشق ودار الحديث بدمشق » .

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

« .. وكان ملكا عادلا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، مستمسكا بالشريعة ، مائلا الى أهل الخير ، مجاهدا فى سبيل الله تعالى ، كثير الصدقات ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار ، مثل : دمشق وحلب وحماه وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة ... وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ، ورتب له ما يكفيه ، وبحماه الجامع الذى على نهر العاصى ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، وبيمارستان دمشق ، ودار الحديث بها - أيضا - وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف » .

وقوله :

« وكان (القادر بالله) أبيض ، كبير اللحية ، يخضبها ، وكان كثير التهجد بالليل ، كثير الصدقات » .

ويقابله لدى « الذهبى » قوله :

« ... وكان أبيض ، كبير اللحية ، يخضبها ، وكان دائم التهجد ، كثير الصدقات » .

ثالثا : طرق النقل :

راوح « ابن دقماق » فى « الجوهر الثمين » بين النقل الحرفى عن مصادره - قدر الامكان - والنقل عنها متصرفا فى عباراتها ، ويمثل الاتجاه الأول قوله مترجما « الناصر ، صلاح الدين الأيوبى »

« قال الشيخ شمس الدين ابن خلكان : سمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصح » .

وهو قول مطابق وقول مصدره :

« ... وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصح ، رحمه الله تعالى » .

بينما يمثل الاتجاه الثانى قوله فى « الحجاج بن يوسف الثقفى » :

« حكى القاضى أبو الفرج المعافى فى كتابه الجليس والأنيس قال :

لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة الى مكة ـ شرفها الله تعالى ـ خطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمدا ابنى ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الأنصار ، فانه أوصى : أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وانى أوصيت عليكم : أن لا يقبل من محسنكم ولايتجاوز عن مسيئكم ، ألا وانكم قائلون بعدى كلمة لايمنعكم من اظهارها الا الخوف : لا أحسن الله الصحابة ، ألا وانى معجل لكم الجواب : وأنتم ، لا أحسن الله لكم الخلافة » .

ويقابله لدى « النهروانى » قوله :

« حدثنا الحسين بن أحمد الكلبى « قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثنى أبى ، قال : أراد الحجاج الخروج من البصرة الى مكة،فخطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد

استخلفت عليكم محمدا ابنى ، واوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الأنصار ، فانه أوصى فى الأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، ألا وانى قد أوصيته فيكم ألا يقبل من محسنكم ولايتجاوز عن مسيئكم ، ألا وانكم قائلون بعدى كلمة ليس يمنعكم من اظهارها الا الخوف ، الا وانكم قائلون : لا أحسن الله له الصحابة ، وانى معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة » .

وبالمقابلة بين النصين نجد أن « ابن دقماق قد تصـــرف فى منقوله عن مصدره ، فى بعض مواضع ، يمكن اجمالها على النحو التالى :

النهروانى	ابن دقماق
أراد	لما أراد
الحجاج	الحجاج بن يوسف
مكة	مكة شرفها الله تعالى
فخطب	خطب
فانه أوصى فى الأنصار	فانه أوصى
قد أوصيت فيكم الا يقبل	أوصيت عليكم أن لا يقبل
ليس يمنعكم	لا يمنعكم
ألا وانكم قائلون	×
لا أحسن الله له الصحابة	لا احسن الله الصحابة
وانى معجل	الا وانى معجل
لا أحسن الله عليكم الخلافة	وأنتم لا أحسن الله لكم الخلافة

ومن أمثلة ذلك ــ أيضا ــ قوله فى « الفضل المطيع » :

« ... ولم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمى ، فرتب له فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت درجة الخلافة جدا » .

ويقابله قول مصدره :

« ... فكان من تحت يد معز الدولة لا له معه حل ولا ربط ، وقرر له فى الشهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت رتبة الخلافة جدا » .

وقوله فى : الراضى بالله » :

« ... وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، مرض أياما ثم تقيأ دما ومات ، وكان أكثر آفاته الجماع »

ويقابله قول مصدره :

« ... وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، كانت خلافته ست سنين وأشهرا ، وله شعر جيد مدون ، مرض أياما ، ثم قاء دما كثيرا ومات ، وكان أكبر آفاته كثرة الجماع » .

النقد التاريخى

« ابن دقماق » ـ شأنه شأن كثير من المؤرخين التقليديين ـ لا يتوغل فى الحوادث لمعرفة الأسباب الدافعة اليها ، حتى يمكنه تعليلها أو اصدار حكم صائب على ذويها ، ولذا فانه وقد أدرك السبب فى ضعف الخلافة العباسية فى طورها الثانى ، وهو تغلب أمراء الجند على مقاليد الأمور فى بغداد وأطـــرافها ، وحجبهم للخلفاء والتحجير عليهم ، والاستئثار بالسلطة من دونهم الى الحد الذى جعل الفضل المطيع « لم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمى » ، وحكم المستظهر العباسى « لايتعدى باب داره » ، يحمل تلك الشخصيات الضعيفة التى كانت فى أيدى من أقاموها من الســـــلاطين والأمراء كالدمى فى أيدى اللاعبين ، مسئولية اضعاف دست الخلافة ، وبالتالى يعزو خلعها أو ثمل أعينها وتعذيبها ، أو قتلها الى مانسب اليها من أعمال ، كنحو قوله فى ترجمة المستعين العباسى : « ... فلما أقام ببغداد بايع الأتراك المعتز بالله بسر من رأى ، وخلعوا المستعين ، لأن أموره كانت قد اضطربت ، لأنه كان يولى الرجل فى وظيفة ثم يعزله عنها . ثم يرده اليها ، ثم يعزله عنها . وقال الحكماء : ما على الدول

شر من تقلب الولاة ، ولا اختلفت الآراء على الدولة الا تعجل هلاكها، ولا قدم السفلة وترك أعيان الناس الا احتقرت تلك الدولة » .

ولكن ، ماذا يكون تأثير هذا مع مثل هؤلاء المتغلبين ، بل كيف يكون منه ما نسب اليه ، دون علم وتخطيط المحجرين عليه السالبين لسلطانه ، الى الحد الذى جعله يقول عن بعضهم فى الترجمة للقادر بالله : « ... وكان الديلم قد عظم أمرهم ، وزاد شرهم ، حتى خشى على الخلافة منهم » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانه متعاطف مع الخلافة العباسية – أيما تعاطف – حيث تطالعنا بين ثنايا كتابه عبارات ، منها قوله فى معرض الحديث عن خلافة هارون الرشيد :

« ... وفى أيامه كملت الخلافة بكماله وعدله ، وتواضعه ، ودينه ، وزيارة الصالحين فى ديارهم » .

وقوله فى الترجمة للحسن المستضىء :

« ... فاستضاءت الدنيا ببيعته ، وهاجروا – الناس – الى بغداد لعدله وحسن سيرته » .

وقوله فى خليفة وقته ، « المتوكل على الله ، أبى عبد محمد » :

« ... واستقر عاليا مناره ، باديا فخاره ، شائعة بالخير أخباره ، واستمر يهتدى من أفق التوفيق بأنور مقياس ، ويقتفى آثار من سلف من آبائه خلفاء بنى العباس ، اللهم أصلحه بما أصلحت به الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون يارب العالمين » .

وتألمه لثمل أعين بعض خلفاء بنى العباس ، كما يستشف من قوله :

« ... واجتمع فى بغداد ثلاثة خلفاء عميان ، فلا حول ولا قوة الا بالله » ..

والشىء عينه (التعاطف والاجلال) يفعله مع سلطان عصره « الظاهر برقوق » ، وقد ولى له بعض الوظائف فى ظل الادارة المملوكية ، كما كان انشاء الكتاب باشـــارته ، حيث يختتم كتابه بقوله فيه :

« ... وفيها (سنة ٧٩٧ هـ) ، فى يوم الثلاثاء ، ثالث عشر صفر حضر الركاب الشريف السلطانى الملكى الظاهرى ، وفرشت له الشقق من قبة النصر الى القلعة ، وطلع الى قلعته مؤيدا منصورا ، واستقر على سرير ملكه ، وقال الشاعر :

فلو اســـتطاعت مصـر أن تأتى الى

أبــوابه بالشـــــام لم تتأخــــر

لكـــن دعـــاه ملكها يشـــتاقه

شوق الرياض الى الســحاب الممطر

فأجـــابه من مجـــده عـــزم له

لو لف ســـيل الســـفح لم يتحدر

(الكامل)

ولو استطاعت الممالك تسعى الى حيث حل ، ولو قدرت على اتحاف خزائنه بما فيها أتحفت بكل ما أودعت ، فالأقاليم والحصون فى انتظار عساكره ، وأجناد المماليك بين نواهيه وأوامره ، فهو خلد الله ملكه المنتظر لا المنتظر ، والملك على الحقيقة ، وليس العيان

كالخبر ، وهو ــ أذل الله أعداء دولته وأبادهم بقهره وسطوته ــ كما قال الشاعر :

يامن قضى الله أن الأرض يملكهـــا
عجـــل ففي كل قطر أنت منتظـــر
(البسيط)

وقال الشاعر :

خلقت كمـــا أرادتك المعـــــالى
فأنت لمن رجـــاك مـــا تريد
عجبـــت أن ســـيفك ليس يروى
وفي حبـــل الـــوريد لـــه ورود
واعجب منه رمحك كيف يســـقى
فيصـــدو وهو نشـــوان يميد
(الوافر)

فالله ــ تعالى ــ يديم أيام مولانا السلطان الملك الظاهر فى سعادة مستقرة ، وسيادة على ملوك الزمان مستمرة ، فالسعيد يسالمه من خوف سطوته ، والملوك تخدمه لشمول نعمته ، والكتب تخلد بمحاسن سيرته ، والألسن والأقلام تتوافق على فضائل دولته، جعلها الله ــ تعالى ــ للعدل مواسم،وللمجرمين مياسم،بمنهوكرمه» .

ومع ذلك فان لابن دقماق فلسفة خاصة فى اثبات ترجمات كتابه ، حيث وجد وقد جرد بعض الشخصيات المترجم لها فى الكتاب

من صفة « السلطنة » ، أو أسقطها من التسلسل الترتيبى المتبع فى كتابه ، ومن ذلك ترجمته لشجر الدر ضمن تراجم سلاطين « الدولة الأيوبية » ، معنونا لذلك بقوله : « ذكر سلطنة شجر الدر ، أم خليل » ، ومع ذلك فانه قد أسقطها من حيث التســلسل الترتيبى لسلاطين هذه الدولة ، فقد سبقتها ترجمة « المعظم ،تورانشاه » معنونة بقوله : « السلطان السابع من بنى أيوب » ، وتبعتها ترجمة « الأشرف ، مظفر الدين ، موسى » معنونة بقوله : « الســلطان الثامن من بنى أيوب بمصر » ، لتكون فترة وسطا بين هذا وذاك ، ولتكون سلطنتها فى مصر حدثا جرى فى حينه ، وعدم عدها ضمن سلاطين الدولة اقرارا بعدم شرعية ذلك ، حسبما ورد فى رسالة الخليفة العباسى اليهم ٠ ثم ان « شجر الدر » ليست من نســل الأيوبيين لتعد ضمن سلاطينهم ، وليست جديرة بالسلطنة لكونها امرأة ـ على الرغم مما عد لها من صفات ـ لتكون من سلاطين الدولة المملوكية ، ولذا ترجم « المعز ، أيبك التركمانى » معنونا بقوله : « السلطان الأول من ملوك الترك » ٠

وهذه الحاســة التأريخية الواعية لم يلتفت اليها كثير من المؤرخين المعاصرين ـ على الرغم من اطلاعهم على كتابه ، ونقلهم عنه ـ فعدها البعض آخر سلاطين « الدولة الأيوبية » ، بينما جعلها البعض الآخر السلطان الأول من سلاطين « المماليك » ٠

والشىء عينه ـ مع فارق فى التقدير ـ يمكن أن ينسحب على اسقاطه ترجمة « المنصور ، محمد ، ابن العزيز ، عثمان » من عداد السلاطين المترجم لهم على التتابع ، ضمن سلاطين بنى أيوب فى مصر ، مما دفع ناسخى مخط ٠ دار الكتب المصرية ، وأحمد الثالث (ذات الرقم : ٢٩٠٣) الى اثبات ترجمته ضمن ترجماتهم ، والعمد

الى تعديل الترتيب ، فأتت فى متن الأولى وفى حاشـــية الثانية ، ليخالف « ابن دقماق » بذلك سائر من أرخ لهذه الدولة من السابقين والمعاصرين · وهذه المخالفة ليست عن غير وعى بما يدون ، ولكنها مخالفة مقصودة ، توجهها فلسفة تاريخية لديه ، جعلته يعتبر فترة حكمه ــ القصيرة ــ فترة وسطا بين سلطانين قويين ، هما « العزيز عثمان » و « العادل أبو بكر » ، مما يجعله ــ من وجهة نظره ــ غير جدير بالاستحواذ على لقب سلطان ، وعده من سلاطين هذه الدولة المؤرخ لها ·

بين المخطوط والمطبوع

ما كاد الدارس يفرغ من اعداد هذا الجزء من البحث ، حتى طولع بنشرة للجوهر الثمين ، صادرة عن « جامعة أم القرى »(٣٣) . ونظرا لانتسابها الى علمين لهما مكانة مرموقة فى مجال الكتابة التاريخية ـ دراسة وتحقيقا ـ فلعله يكون مفيدا دراسة هذه النشرة تقويما لها .

أولا : عنوان الكتاب :

أتى عنوان الكتاب فى هذه النشرة على النحو التالى : « الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين » ، دون دراسة أو تحقيق(٣٤) .

---

(٣٣) راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور . ومراجعة د. أحمد السيد دراج . جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، بدون تاريخ .

(٣٤) اذ لم يقابل المحقق بين النسخ الخطية للكتاب ـ فى هذا الموضع ـ كما لم يعلل لاقتصاره فى اثبات العنوان على هذه النسخة دون سواها .

وهذا العنوان وان اتفق مع محتوى الكتاب ، لا يتخذ أصلا يعول عليه فى التحقيق ، لاعتبارين هما :

أولا : انفراد نسخة « أحمد الثالث » ، ذات الرقم « ٢/٢٩٨٤ » بايراد هذا العنوان على هذه الكيفية ، بينما خالفتها سائر النسخ فيه ، موردة له على النحو التالى :

« الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين » •

ولما كانت هذه النسخة كثيرة الابدال والتعديل فى جوانب النص ــ كما اتضح لى عند المقابلة بين النسخ الخطية للكتاب ــ فان احتمال تعديلها للعنوان يظل قائما •

ثانيا : أن خطبة الكتاب فى نسخ : « حكيم أوغلى » و « آيا صوفيا » و « التيمورية » و « أحمد الثالث ، ذات الرقم : ٢٩٠٣ » ، قد ورد فيها العنوان على النحو التالى :

« الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » •

ممالا يعد اهمالا فى تحرير عنوان الكتاب قد أغفلته تلك النسخ، والا لاستدرك فى المتن •

ثانيا : منهج التحقيق :

اعتمد المحقق فى اخراج هذه النشرة على التلفيق بين سائر النسخ المخطوطة ، وقد كان الأولى به اتخاذ مخطوطة « حكيم أوغلى » أصلا للتحقيق مع مقارنتها بسائر النسخ ، لنقلها عن خط المؤلف ، ولكونها أصلح النسخ وأضبطها ، ولذا أثقل النص بالكثير مما أتى محرفا ممسوخا فى مخطوطتى « أحمد الثالث ، ذات الرقم : ٢/٢٩٨٤ » و آيا صوفيا » •

ثالثا : لم تراجع النسخة المحققة على الأصول مراجعة جيدة ، وكذا لم تراجع تجارب الطباعة على الأصول ، ولذا أتى النص كثير الاسقاطات والتحريف ٠

أما **الاسقاطات** ، فيمكن حصرها على النحو التالى(٣٥) :

« ٠٠٠ وروينا فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه (قال) : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ٠٠٠ »(٣٦)

« ٠٠٠ بويع فى اليوم الذى مات (فيه) رسول الله ٠٠ »(٣٧)

« ٠٠٠ فقرع (عليها) الباب ، ففتحت له ٠٠٠ »(٣٨)

« ٠٠٠ والدخان يطلع من (بين) شعر لحيته ، حتى استوت عصيدة ، فجعلها (فى) قصعة ٠٠٠ »(٣٩) ٠

« ٠٠٠ وروى أن عليا قسم ما فى بيت (المال بين) المسلمين ، ثم أمر به فكنس ٠٠٠ »(٤٠) ٠

« ذكر الشيخ شمس الدين ابن خلكان أن امرأته جعدة بنت الأشعث سمته « (فمكث شهرين) ، وانه ليرفع من تحته فى اليوم كذا وكذا طست من دم »(٤١) ٠

---

(٣٥) سوف يستكمل الساقط بوضعه بين قوسين ٠

(٣٦) ابن دقماق ٠ الجوهر الثمين ص ٢٨ ٠

(٣٧) نفسه ص ٢٩ ٠

(٣٨) نفسه ص ٤٠ ٠

(٣٩) نفسه ص ٤١ ٠

(٤٠) نفسه ص ٥٢ ٠

(٤١) المصدر السابق ص ٥٥ ٠

« ... قال معاوية رضى الله عنه : (مازلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : يامعاوية ، اذا ملكت فأحسن »(٤٢) .

« .. وأقام خليفة تسع عشرة سنة وأشهر ، (ولما مات قام بالأمر بعده ولده يزيد »(٤٣) .

« ... قيل : ان زوجته سمته (فمات) »(٤٤) .

« ... (ألا) وانكم قائلون بعدى كلمة ... »(٤٥) .

« ... فذكر له ذلك (فضحك) ، وقال : والله ان أحدهما ابن باقلانى ، والآخر ابن حجام »(٤٦) .

« ... ودفن بها ، وعفى (قبره) ، وأجرى عليه الماء »(٤٧)

« ... وكان الوليد (من) أجمل الناس ... »(٤٨) .

« ... فجهز يزيد عسكرا اليه (فحاربوه) »(٤٩) .

« ... بويع بالخلافة بعد أخيه (يزيد) فى .. »(٥٠) .

« ... هو أبو العباس ، عبد الله بن محمد بن (على بن) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى »(٥١) .

---

(٤٢) نفسه ص ٥٧ .
(٤٣) نفسه ص ٥٩ .
(٤٤) نفسه ص ٦٣ .
(٤٥) نفسه ص ٦٧ .
(٤٦) نفسه ص ٦٨ .
(٤٧) نفسه ص ٦٩ .
(٤٨) نفسه ص ٧٨ .
(٤٩) نفسه ص ٨٠ .
(٥٠) نفسه ص ٨٣ .
(٥١) نفسه ص ٨٨ .

« (وكانت بيعته بالكوفة) ، وصعد المنبر ، وخطب قائما ··· »[٥٢] ·

« وكان ابو العباس السفاح أبيض ، مليحا ، (سمينا) ، حسن اللحية »[٥٣] ·

« ··· فكتب (بذلك) الى زياد ··· »[٥٤] ·

« ··· الى أن وصل (الى) مكة »[٥٥] ·

« ··· وزراؤه : (يحيى بن) خالد ··· »[٥٦] ·

« ··· وهو أول خليفة أبواه (هاشميان) من بني العباس »[٥٧] ·

« ··· كان اماما عالما ، محدثا ، (نحويا) ، لغويا ، أديبا ··· »[٥٨] ·

« ··· وأساله أن يصلي على محمد (عبده) ورسوله ، وعلى أهل بيته »[٥٩] ·

« ··· ولولا أن السنة (لنا) جارية ··· »[٦٠] ·

---

(٥٢) المصدر السابق ص ٨٩ ·
(٥٣) نفسه ص ٩٠ ·
(٥٤) نفسه ص ٩٢ ·
(٥٥) نفسه ص ١٠٢ ·
(٥٦) نفسه ص ١٠٣ ·
(٥٧) نفسه ص ١٠٤ ·
(٥٨) نفسه ص ١٠٦ ·
(٥٩) نفسه ص ١٠٨ ·
(٦٠) نفسه ص ١٠٩ ·

« ... ومنعوه من الماء (حتى) عاين التلف ... »(٦١) .

« ... فلما قتله الأتراك ، تضاربوا على السفط ، (ظنوا أن فيه ذخائر ، فلما رأوا مافيه ندموا على قتله) »(٦٢) .

« ... ابن الأمير الموفق (بالله) طلحة .. »(٦٣) .

« ... وقيل (يوم) الثلاثاء لاثنتى عشـــرة ليلة بقيت منه ... »(٦٤) .

« ... فنذرت لله ــ تعالى ــ ان ولانى الله ــ عز وجل ــ (الخلافة) لأقتلنه »(٦٥) .

« ... وانما اشتهر بجعفر (تشبه بجعفر المتوكل »(٦٦) .

« ... ثم فى سنة (ست) عشرة وثلاثمائة ... »(٦٧) .

« ... يصرف فى كلفة الحاج و (الى) أهل الحرمين فى كل سنة ... »(٦٨) .

« هو أبو منصور ، محمد بن المعتضد أحمد بن (الأمير) الموفق طلحة بن جعفر المتوكل »(٦٩) .

---

(٦١) نفسه ص ١٢٤ .
(٦٢) نفسه ص ١٢٧
(٦٣) نفسه ص ١٣٠ .
(٦٤) المصدر السابق .
(٦٥) نفسه ص ١٣٢ .
(٦٦) نفسه ص ١٣٥ .
(٦٧) نفسه ص ١٣٧ .
(٦٨) نفسه ص ١٤٠ .
(٦٩) نفسه ص ١٤١ .

« (ولم يغدر بأحد قط)، وكان وفى العهد ، حسن الخلق والخلق »(٧٠) ٠

« ٠٠٠ و (كان) سبب ذلك أن معز الدولة كان رافضيا »(٧١)

« ٠٠٠ وحمل الى بغداد ، (فدفن) بتربة ٠٠٠ »(٧٢) ٠

« خرج فى غزوته ، (يوم السبت) ، ثانى عشـــر جمادى الأولى ٠٠٠ »(٧٣) ٠

« ٠٠٠ كما سيأتى (فى) ترجمته ان شاء الله تعالى »(٧٤) ٠

« ٠٠٠ وعنفه على سوء (ما) فعله مع أستاذه ٠٠٠ »(٧٥) ٠

« ٠٠٠ فلقى عليها الأمير على بن حديثة ـ من آل فضل ـ فى أربعمائة فارس من العرب (فرحلوا) فى خدمته »(٧٦) ٠

« ٠٠٠ فلما (أصبح) جاء قرابغا بمن معه من التتار ٠ »(٧٧)

« ٠٠٠ فلما جاءت الأخبار (بوفاته) عزل ابراهيم ٠ »(٧٨) ٠

« ٠٠٠ (الامام) المعتضد بالله أبو بكر »(٧٩) ٠

---

(٧٠) نفسه ص ١٤٥ ٠
(٧١) نفسه ص ١٤٧ ٠
(٧٢) نفسه ص ١٥٠ ٠
(٧٣) نفسه ص ١٥٣ ٠
(٧٤) نفسه ص ١٦٥ ٠
(٧٥) نفسه ص ١٧٩ ٠
(٧٦) المصدر السابق ص ١٨٥ ٠
(٧٧) نفسه ٠
(٧٨) نفسه ص ١٨٩ ٠
(٧٩) نفسه ص ١٩١ ٠

« ... وقيل : ان هذا (هو) الذى يدعو أبو عبد الله الشيعى له ... »(٨٠) .

« ... وبنى مدينة (و) سماها المنصورية واستوطنها »(٨١) .

« ... هو الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور (ابن) العزيز ... »(٨٢) .

« .. ومات (يوم) السبت ، لأربع خلون من جمادى الآخرة ... »(٨٣) .

« ... ومات العاضد (بالقصر) يوم عاشوراء »(٨٤) .

« ... وقلعة صافيتا (وقلعة هونين) وقلعة بانياس .. »(٨٥)

« ... سمع الحديث بالاسكندرية (ومصر) »(٨٦) .

« ... فى (سنة) ست وستمائة »(٨٧) .

« كان رحمة الله (ـ تعالى ـ) ذا رأى سديد .. »(٨٨) .

« ... وكان تورانشاه (مقيما) بقلعة حصن كيفا »(٨٩) .

« ... ومات (و) فى حبسه .. »(٩٠) .

---

(٨٠) نفسه ص ١٩٥ .
(٨١) نفسه ص ٢٠٠ .
(٨٢) نفسه ص ٢٠٤ .
(٨٣) نفسه ص ٢١٣ .
(٨٤) نفسه ص ٢٢٠ .
(٨٥) نفسه ص ٢٢٢ .
(٨٦) نفسه ص ٢٣٠ .
(٨٧) نفسه ص ٢٣٣ .
(٨٨) نفسه .
(٨٩) المصدر السابق ص ٢٤٦ .
(٩٠) نفسه ص ٢٤٧ .

« السلطان السابع من (بنى) أيوب »[٩١] :

« ··· فاعتقل بدار ابن لقمان (بالمنصورة) ·· »[٩٢] ·

« ··· ويقرب غلمانه الذين حضروا (معه) من حصن كيفا »[٩٣] ·

« ··· وهو الذى يقال (فيه) مخاطبة للافرنسيس ·· »[٩٤]

« ··· فاستشار (الأمير) سيف الدين قطز الأمراء فى أمرهم ··· »[٩٥] ·

« ··· فخافت الناس (خوفا) من عود البحرية اليهم ··· »[٩٦] ·

« ··· ومقدمهم (الأمير) عز الدين أيقان سم الموت »[٩٧] ·

« ··· ونزلوا تحت الجبل الأحمر ، فاتصل بالأمراء (الذين بمصر قدومهم) ، وكان نائب الغيبة ··· »[٩٨] ·

« ··· فانكسر (سنقر) الأشقر ، وطلع الى صهيون ، فعصى بها »[٩٩] ·

---

(٩١) نفسه ·
(٩٢) نفسه ص ٢٤٩ ·
(٩٣) نفسه ·
(٩٤) نفسه ص ٢٤٩ ·
(٩٥) نفسه ص ٢٦٣ ·
(٩٦) نفسه ص ٢٧٢ ·
(٩٧) نفسه ص ٢٧٧ ·
(٩٨) نفسه ص ٢٨٨ ·
(٩٩) نفسه ص ٢٩٦ ·

« ... وفيها أرسل السلطان الأمير عز الدين (الـ) أفرم (الى النوبة) ... »(١٠٠) .

« ... وهم خشداشيته : سنقر الأشقر ، وبيسرى ، والأيدمرى ، (والأفرم) ... »(١٠١) .

« ... فساق ولحق بالأمراء (الذين) مع الطلب .. »(١٠٢)

« ... فخرج (من مصر) فى رمضان على أن يتصيد بالكرك والشوبك ... »(١٠٣) .

« ... من أجرة أملاكه فى (كل) يوم ألف دينار »(١٠٤) .

« ... من بقايا أمواله أربعين الف دينار ، وألف (ألف) ومائة ألف درهم »(١٠٥) .

« ... وعمره سبعة وخمسون (سنة) وأشهر »(١٠٦) .

« ... وقتل طشتمر (والفخرى) »(١٠٧) .

« ... وأى وقت أردت أحضر (الى) عندكم ... »(١٠٨) .

« ... فكتب نائب الشام للسلطان (والأمراء) بما جرى »(١٠٩) .

---

(١٠٠) نفسه ص ٣٠٢ .
(١٠١) المصدر السابق ص ٣٠٨ .
(١٠٢) نفسه ص ٣١٥ .
(١٠٣) نفسه ص ٣٣٦ .
(١٠٤) نفسه ص ٣٤٢ .
(١٠٥) نفسه ص ٣٦٣ .
(١٠٦) نفسه .
(١٠٧) نفسه ص ٣٧٤ .
(١٠٨) نفسه .
(١٠٩) نفسه ص ٣٩٢ .

« ··· ورسم أن فلاحا لا يركب فرسا (ولا يشترى فرسا) ، ثم ··· »(١١٠) ·

« ·· ورسم بمسك الأمير طاز واخوته ، (فمسك) ·· »(١١١)

« ··· وتولى بعده (ولده) الملك المنصور أحمد »(١١٢) ·

« ··· فاتفق أكابر مماليك (المقر) الأتابكى يلبغا · »(١١٣) ·

« ··· فأخبرهم أن السلطان نزل (الى) العقبة ·· »(١١٤) ·

« ··· فألبس خلعة (الخلافة) وركب من باب الآدر الى الايوان ··· »(١١٥) ·

« (وفى) سنة احدى وثمانين وسبعمائة ··· »(١١٦) ·

« ··· فوجد ابن عرام (قد قتله) ، فمسكه ·· »(١١٧) ·

« وفيها سافر جاركس (الخليلى) الى الحجاز الشريف ، وفيها مسك السلطان المقر (العلائى) قلطنبا الجوبانى · »(١١٨) ·

---

(١١٠) نفسه ص ٣٩٥ ·
(١١١) نفسه ص ٣٩٧ ·
(١١٢) نفسه ص ٤١١ ·
(١١٣) نفسه ص ٤١٥ ·
(١١٤) المصدر السابق ص ٤٣٣ ·
(١١٥) نفسه ص ٤٣٧ ·
(١١٦) نفسه ص ٤٤٩ ·
(١١٧) نفسه ص ٤٥٣ ·
(١١٨) نفسه ص ٤٦٤ ·

« ٠٠٠ فراسل نائب حلب فى أنه يدخل بينه وبين السلطان فى (أمر) الصلح) »(١١٩) ٠

« ٠٠٠ ثم خرج (منها) الى حمص ٠٠ فدخل منطاش الى دمشق ، و (نزل) بالقصر الأبلق ٠٠٠ »(١٢٠) ٠

« ٠٠٠ فرشت (له) الشقق الحرير من ٠٠٠ »(١٢١) ٠

« ٠٠٠ وأقامت الزينة الى أن حضرت رأس العدو المخذول (منطاش) على ما يأتى »(١٢٢) ٠

« ٠٠٠ وحملها طولوا (صحبته) الى حماه ٠٠٠ »(١٢٣) ٠

« ٠٠٠ وسافر بعده تمربغا – مملوك نائب حلب – وقاصد السلطان (أحمد) بالجواب »(١٢٤) ٠

« ٠٠٠ ثم أحضر له فرسا بقماش ذهب (السرج) والكنبوش والسلسلة واللجام »(١٢٥) ٠

« ٠٠٠ بعد أن عمره وفرشه (له »(١٢٦) ٠

---

(١١٩) نفسه ص ٤٨٠ ٠
(١٢٠) نفسه ص ٤٨١ ٠
(١٢١) نفسه ص ٤٨٣ ٠
(١٢٢) نفسه ص ٤٨٧ ٠
(١٢٣) نفسه ٠
(١٢٤) نفسه ص ٤٩٠ ٠
(١٢٥) نفسه ص ٤٩٢ ٠

أما التحريف والتصحيف ، فيمثل له بالآتى :

الصفحة	الخطـــأ	الصـــواب
٣٠	رضى الله عنها	رضى الله عنهما
٤١	أحب	أحبب
٤٦	وجئتم بأمر جائر	... حائر
٤٩	قال ابن اسحاق	قاله ابن اسحاق
٥٠	وسعد بن حمدان	وسعد بن نمران
٥٠	يقول فضلا	يقول فصلا
٥٠	ويأنس الليل ووحشته	ويأنس بالليل ووحشته
٥٣	لا يفتى الا على	لا فتى الا على
٦١	عمر العذارى	عمر العذرى
٦٧	كان يطوف الليل	كان يطوف بالليل
٦٨	يفرح بفرحه	يفرح لفرحه
٧٠	أمير الجيوش	أمير الجيش
٧٤	ما تنال منى	ما تناله منى
٧٥	بباب الجابية ...	بين باب الجابية ...
٧٧	وهو اليوم	وهى اليوم
٨٢	عمر بن موسى	عمرو بن موسى
٨٤	رودان مولاه	وردان مولاه
٨٥	بأرض مصر	فى أرض مصر
٨٥	شديدا	شديدها
٩٣	بئر ميمون	بئر ميمونة
١٠٧	صحان الذهب	صحاف الذهب

الصفحة	الخطـــا	الصـــواب
١١٧	من خشب مسحورة	من خشب مسمورة
١٢٢	ثم يعزله منها	ثم يعزله عنها
١٢٣	أستودعكم الله	استودعتكم الله
١٢٤	ولقب المعتز	ولقب بالمعتز
١٢٧	وعمل عليهم	وحمل عليهم .
١٢٧	فى جبة	فيه جبة
١٣٥	المقتدر	المتوكل
١٣٧	وأخرجوا	وخرجوا
١٤٢	فتتبعوه	فتبعوه
١٥٦	وأصلح ستورها	واصلح سورها
١٥٨	ودفع فى وجهه ضربة	ووقع فى وجهه ضربة
١٦٠	ولبس جبة الصوف	ولبس جبته الصوف
١٦١	وفى عهده أخذ الفرنج	وفى أيامه أخذ الفرنج
١٨٥	فى الضفرات	فى الفرات
١٨٨	وبراءة الذمة	فى براءة الذمة
١٩٢	فاقام على ذلك	فأقام على ذلك
١٩٤	ويقتفى من آثار من سلف	ويقتفى آثار من سلف
٢١٤	ولقب الظافر	ولقب بالظافر
٢٣٨	وكان يحضر الدواوين أمامه	وكان يحضر الدواوين قدامه
٢٤٤	وشرح الصالح فى تدبير	وشرع الصالح فى تدبير
٢٤٥	فاستولى الفرنج عليها مرة	... ثانى مرة
٢٤٥	فان السلطان ضعيفا	فكان السلطان ضعيفا

الصفحة	الخطــأ	الصــواب
٢٥٢	وفى تاسع عشر جامدى الآخرة	وفى تاسع عشرين ...
٢٥٩	فركب مماليك الفارس اقطاى	فركبوا مماليك الفارس أقطا
٢٥٩	يتوجهون	يتوجهوا
٢٦٦	وأمر بخروج العسكر	وأمر بخروج العساكر
٢٧٠	فقدم الأمير اقطاى	فتقدم الأمير أقطاى
٢٧٠	رماه بهادر المعزى سهما	رماه بهادر المعزى بسهم
٢٧٤	يعقوب أمير آخور	يعقوبا أمير آخور
٢٨١	فعاينوا (أعداءهم)	فعاينوا التتار
٢٨٧	ويبعدهم من بابه	ويبعدهم عن بابه
٢٨٨	بأنهم مهما طلبوا	بأنه مهما طلبوا
٢٨٩	الجيشى	وبلبان الحبيشى
٢٩٢	وحلفوه أن لا يكاتب	وحلفوه أنه لا يكاتب
٢٩٣	تولى السلطان	تولى السلطنة
٢٩٨	ووقع على الأرض	ووقع الى الأرض
٣٠٢	عز الدين أفرم	عز الدين الأفرم
٣٠٤	(وأمرهم) أن يكتموا أمره	وعرفهم أن يكتموا أمره
٣٠٨	فغير السلطان ذلك الذى	... الزى
٣٠٨	مملوك جركسى	مملوك جركس
٣٠٩	يؤخذ مه	يؤخذ منه
٣١٠	وحمل على الاعتقال	وحمل الى الاعتقال
٣٢٦	فقال كرجون	فقال كرجى
٣٢٨	أثيم الآراء	أشأم الآراء

الصفحة	الخطــأ	الصــواب
٣٣٢	فيها تواترات مطالعات النواب	فيها تواترات ...
٣٣٧	فيمن يقوم منكما بالأمر	فيمن يقوم منهما بالأمر
٣٣٨	فحلف الأمراء	فحلفوا الأمراء
٣٤٢	فدخل عليه بطعام	فدخل اليه بطعام
٣٤٢	كان يدخل له	كان يدخل اليه
٣٥٠	والمسامحات	والمسامحة
٣٦٠	يفتحون شونهم ويبيعون	يفتحوا شونهم ويبيعوا
٣٦٩	يوم الثلاثاء ، بعد عصر	يوم الثلاثاء ، بعد العصر
٢٧٠	وكانت اشارته	وكان اشارته
٣٨٦	ولهاز وشيخو	وطاز وشيخو
٣٩٦	بيزر صفر	بئزر صفر
٣٩٩	الى أوائل ذى القعدة	الى أواخر ذى القعدة
٤٠٠	ودكاكين صلبية الأعجام	ودكاكين الصليبة الأعجام
٤٠٣	ولم يعد له مكان	ولم يعلم له مكان
٤٠٨	وعهد بالخلافة لوالده	وعهد بالخلافة لولده
٤١١	ورسم بالعساكر بالرحيل	ورسم للعساكر بالرحيل
٤١٣	وجدوا بثغر الاسكندرية	حبسوا بثغر الاسكندرية
٤١٦	وكان يتصيدان بالعباسية	وكانا يتصيدان بالعباسية
٤١٩	وحنطه وغسله	وخيطه وغسله
٤٢٦	واستدعى القاضى	واستدعى بالقاضى
٤٣٠	ملك سيس الا الأبواب العالية	ملك سيس الى الأبواب العالية
٤٣٧	الحلبى النائب	الحنبلى النائب

الصـــواب	الخطـــا	الصفحة
الشرفى	المشفرى	٤٣٩
جنغرا	جنفرا	٤٣٩
وأنزل السلطان	ونزل السلطان	٤٤٠
الحنبلى	(اقتمر الصاحبى)	٤٤٥
المقر الأتابكى	المعز الأتابكى	٤٤٩
وانكسروا	وانكسرا	٤٤٩
وأرمى بالنشاب	وأمر بالنشاب	٤٥١
أنعم على سيدى محمد	أنعم على الأمير محمد	٤٥٢
والد المقر	والده المقر	٤٥٥
وسمر الاثنين	وسمر الاثنان	٤٥٨
ثلاثة أيام	ثلاث أيام	٣٦٢
وجاءوا	وجاؤوا	٤٧٠
ولم يسمع بسلطان	ولم يسمع سلطان	٤٧٠
الأزرقى	الأرزقى	٤٧٤
والعلوفات	والعكوفات	٤٧٤
حسين بن باكيش	حسن بن باكيش	٤٧٤
وبعض عسكره	وبعض عساكره	٤٧٦
بعساكر الشام	لعساكر الشام	٤٨١
أرؤس خيل	أروس خيل	٤٩٢
هو وعساكره	هو وعسكره	٤٩٥
لو لف سيل السفح	لو كن سيل السفح	٤٩٧
... حلت	الى حيث حل	٤٩٧

رابعا : كما لم يكن المحقق دقيقا فى النقل عن الأصول يظهر ذلك طيه لما بيض له في الأصول ، دون تنبه أو تنبيه ، ومنه قوله :

«هو أبو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان »(١٢٧) ٠

ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو ٠٠٠ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » ٠

وما بيض له يمكن اثباته من المصادر على النحو التالى :

« هو أبو (العباس)(١٢٨) ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » ٠

وقوله :

« هو أبو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان »(١٢٩)

ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو ٠٠ يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » ٠

وما بيض له يمكن اثباته على النحو التالى :

« هو أبو (خالد)(١٣٠) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » ٠

---

(١٢٧) المصدر السابق ص ٧٨ ٠

(١٢٨) راجع : ابن قتيبة ٠ المعارف ص ٣٦٦ ، المسعودى ٠ التنبيه والاشراف ص ٣٢٣ ، ابن العمرانى ٠ الانباء ص ٥١ ، القلقشندى ٠ مآثر الانافة ج١ ص ١٥٦ ٠

(١٢٩) ابن دقماق ٠ الجوهر الثمين ص ٨١ ٠

(١٣٠) راجع : ابن يزيد ٠ تاريخ الخلفاء ص ٣٥ ، ابن قتيبة المعارف ص ٣٦٧ ، ابن العمرانى ٠ الانباء ص ٥٢ ٠

كما أنه نقل خطأ عن بعض الأصول قوله :

« هو أبو القاسم بن عبد الله المكتفى بالله على »(١٣١) ٠

وصوابه كما جاء فى مصادر ترجمة « عبد الله المستكفى » وفى عنوان الترجمة فى هذه النشرة :

« هو أبو القاسم ، عبد الله المستكفى بالله » ٠

خامسا : كما أنه لم يلتزم خطة واحدة فى النقل عن الأصول حيث صوب الكثير من لغة النص ونحوه - منبهاً الى ذلك ،أو مغفلا التنبيه اليه - بينما أهمل تصويب أكثره ، مما جعل النص ممسوخا فى مواضع جمة ٠

سادسا : كما أنه اعتمد فى تصويب لغة النص على مصادر متأخرة كعقد الجمان « للعينى » والنجوم الزاهرة « لابن تغرى بردى » ، وقد كان الأولى الرجوع الى المصادر المتقدمة ، كالوزراء والكتاب للجهشيارى ومروج الذهب للمسعودى والأمالى للقالى والاستيعاب لابن عبد البر ٠٠ وما الى ذلك ٠

---

(١٣١) ابن دقماق ٠ الجوهر الثمين ص ١٤٧ ٠

الفصـــل الرابـــع

التقى المقريزى وكتابه « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار »

التقى المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

دراســـة حيـــاة

ولد « تقى الدين ، أبو محمد(١) ، أحمــد(٢) بن على بــن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن

(١) هكذا كناه ابن حجر (المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ) ، بينما كنـــاه السخاوى (التبر المسبوك ج١ ق ٤٠ ، الذيل التام ق ٨٢ ب الضوء اللامع ج٢ ص ٢١ تر ٦٦) : «أبا العباس» ٠

ولعل الكنية المصرح بها لدى ابن حجر هى الأدق ، لاطلاع المقريزى على ترجمته فى «المعجم» ، وعدم اعتراضه عليها ، على النحو الوارد فى قول السخاوى (التبر المسبوك ج١ ق ٤٥ ب) : « ٠٠٠ وقد ذكره شيخنا فى القسم الأخير من معجمه الذى وقف صاحب الترجمة عليه » ٠

مع ملاحظة أن باقى مصادر ترجمته لم تصرح بكنيته ٠

(٢) استفيد هذا النسب مما أورده « المقريزى » فى ترجمة جده لأبيه (السلوك ج٢ ص ٣٦٥) ، فأبيه (نفسه ج٣ ص ٣٢٦) ، وان كان كل من « ابن حجر » (انباء الغمر ج٩ ص ١٧٢) و « ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج١٥ ص ٤٩٠) قد نبها الى أنه ربما تجاوز فى نسبه « عبد الصمد

بن تميم » الى «على بن أبى طالب » – رضى الله عنه – من قبل الخلفـــاء الفاطميين ، حيث وردت عبارة ابن حجر بشأن ذلك على النحو التالى :

« ... وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئا من تصانيفه ، فكتب فى أوله نسبه الى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله ... ثم انه كشط ما كتبه ذلك المكى من أول المجلد ، وكان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه عبد الصمد بن تميم ، ووقفت على ترجمة جده عبد القـــادر بخط الشيخ تقى الدين بن رافع ، وقد نسبه أنصاريا ، فذكرت ذلك له ، فأنكر على ابن رافع ، وقال : من أين له ذلك ؟! وذكر لى ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند اخيه تقى الدين فى الانتساب الى العبيديين ، فذكر له انه دخل مع والده جامع الحاجم ، فقال له وهو فى وسط الجامع : ياولدى ، هذا جامع جدك » .

كما وردت عبارة ابن تغرى بردى على النحو التالى :

« ... وقد أملى على نسبه الناصرى محمد ابن أخيه بعد وفاته ، الى أن رفعه الى على بن ابى طالب من طريق الخلفاء الفاطميين » . -
والمستخلص من قولهما » .

(أ) أن « المقريزى » كان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه « عبد الصمد بن تميم » ، لكن ربما زيد فى نسبه الى « على بن أبى طالب » .

(ب) أن نسبته الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد وردت فى كتابات غيره ، استنادا الى ما اشاعه هو لمن يثق به ، وهو المستفاد من قول ابن حجر (الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٩١ – ٣٩٢) : « ... فكان يذكر أن أباه ذكر له أنه من ذرية تميم بن المنتصر بانى القاهرة ، ولا يظهر ذلك الا لمن يثق به » .

(جـ) أن نسبته الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد يخدش فيها نسبة « ابن رافع » جده « عبد القادر » أنصاريا ، وان توقف «المقريزى» فى ذلك .

أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، المقريزى(٣) ، الشافعى(٤) ،

=

(د) ان هذه النسبة الى «على» من قبل الخلفاء الفاطميين يحوطها الغموض ، ويعتريها الشك ، لاستناده فيها على قول أبيه وقد دخلا جامع الحاكم وتوسطاه : «يا ولدى ، هذا جامع جدك» ، وهو قول يعوزه دليل تصديقه ، ويبدو أن ذلك كان مدركا لدى مؤرخنا ، ولذا لم يتجاوز — فيما كتبه من مؤلفاته — فى نسبه « عبد القادر بن تميم » ، بل وعمد الى محو ما ازاده غيره عليه ، مما يجعل ما نبه اليه «ابن حجر» من تزيد مؤرخنا فى نسبه «لمن يثق به» لا يعدو كونه أكثر من ملموح قرن لديه بالتشكك ·

(٣) أشار «ابن حجر» (المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ) وتلميذه «السخاوى» (التبر المسبوك ق ٤٠ أ ، الضـوء اللامـع ج٢ ص ٢١ تر ٦٦) الى أن «المقريزى» . نسبة الى حارة المقارزة فى بعلبك ، حيث نزلهـا جده الأعلى «ابراهيم» ·

ويلحظ أن أولاده فمن دونهم نسبوا اليها ، وصارت علما عليهم ، فلقد تردد اسما جده ووالده فى المصادر مقترنين بهذه النسبة ·

(٤) أشار ابن حجر (انباء الغمر ج٩ ص ١٧١ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ) الى ان جد مؤرخنا لأبيه «عبد القادر» وأباه «عليا» كانا حنبليين ، وان مؤرخنا نشأ حنفيا على مذهب جده لأمه ، ثم تحول شافعيا بعد أن جاوز العشرين · بينما يشير ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٦) الى أن مؤرخنا «كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله الى مذهب الظاهر » ·

لكن ينفى كونه ظاهريا قول ابن حجر (انباء الغمر ج١ ص ١٧١) فيه :

« ··· كان يتهم بمذهب ابن حزم ، لكنه كان لا يعرف به » ·وما أورده ابن تغرى بردى (حوادث الدهور ج١ ق ٩) مناقضا قوله الأول :

« ··· وكان ينسبه بعض الناس الى الميل لمذهب الظاهر — والله أعلم بالباطن — لأنه كان يعظم ابن حزم المغربى الى الغاية ، وليس فى ذلك مايعاب لأن ابن حزم كان رجلا حافظا عالما ، ولو كان ظاهريا لم ينكر فضله » ·

فى القاهرة(٥) فى حارة برجوان(٦) (فى قسم الجمالية الحالى(٧) سنة ست(٨) وستين وسبعمائة للهجرة ، ونشأ فى كنف أسرة عرفت

---

(٥) المقريزى · الخطط ج١ ص ٢ ، ٤ ·

(٦) حارة برجوان : نسبة الى أبى الفتوح برجوان ، خـــادم العزيز الفاطمى،ومدبر دولته · قتله الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة ، بعد أن عظم فى دولته ، وكان بيده نظر مصر والشام والحجـاز والمغرب وأعمال الحضرة ، وأمر القصور الفاطمية ·

راجع : ابن خلكان · وفيات الأعيان ج١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ تر ١١٢ ، المقريزى · الخطط ج٢ ص ٣ ـ ٤ ، د· حسن عبد الوهاب · حول دار المقريزى ص ٧٥ ـ ٧٩ ، ضمن «دراسات عن المقريزى» ·

(٧) د· محمد مصطفى زيادة · المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ص ٦ ·

(٨) بينما يشير المقريزى (الخطط ج١ ص ٤) الى أن مولده «بعد سنة ستين وسبعمائة من سنى الهجرة» ، وينبه ابن تغرى بردى (حوادث الدهور ج١ ق ٨ ، النجوم الزاهرة ج١٥ ص ٤٩١) الى انه سأل مؤرخنا عن مولده فقال : «بعد الستين وسبعمائة بسنيات» ، يحدد ابن حجر (انباء الغمر ج٩ ص ١٧١) مولده بسنة «ست وستين وسبعمائة» ، وان بيض لسنة «ست» فى ترجمته من المجمع المؤسس (ق ٢١٤ أ) ·

ويعلل السخاوى (التبر المسبوك ص ٢٢ ـ ٢٣) لما ذهب ابن حجر اليه قائلا :

« ··· وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين · وقال شيخنا أنه رأى بخطه مايدل على تعيينه فى سنة ست وستين ، لكونه قد حضر وهو فى الثالثة على ابن الصائغ مع أبى هريرة ابن الشرف المقدسى وهو فى الرابعة ، وكان مولد أبى هريرة سنة ٧٦٧ ، فيكون مولد المقريزى فى سنة ست » ·

ويترجع ما ذهب اليه ابن حجر بما أشار اليه المقريزى (درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب) ، وعنه ابن حجر (انباء الغمر جـ١ ص ١٦٦ ، ج٢ ص ٣٣) من اقتران أم مؤرخنا بأبيه فى المحرم سنة خمس وستين وسبعمائة، اذ لا يبعد أن يكون انجابهما له فى السنة التالية لزواجهما ، فيكون بذلك بكر أولادهما ·

أصولها بالمشاركة فى تحصيل العلم وبثه ٠

فجده لأبيه « محيى الدين ، أبو محمد ، عبد القـــادر »[٩] (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)[١٠] نشأ فى بعلبك ، وسمع فيها على « زينب بنت كندى »[١١] (ت ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م) ، وكانت له رحلة فى طلب الحديث النبوى وتحصيله الى حمص وحلب ودمشـــق والقاهرة والاسكندرية[١٢] ، سمع فيها على عدد وافر من أعلام الحفاظ والمسندين فى عصره ، كأبى المكارم النصيبى[١٣] (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، و « ابن القـــواس »[١٤] (ت ٦٩٨ هـ /

---

(٩) له ترجمة فى : الذهبى ٠ ذيل العبر ص ١٧٢ ، ابن رجب ٠ الذيل على طبقات الحنابلة ج٤ ص ٤١٦ ــ ٤١٧ تر ٥٠٧ ، المقريزى السلوك ج٢ ص ٣٦٥ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٩١ تر ٢٤٧٠٠

(١٠) جعل المقريزى (السلوك ج٢ ص ٣٦٥) وفاته فى السنة التالية ، بينما تشكك ابن حجر (الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٩١) فى سنة وفاته ، فأرخ لها على النحو التالى :

« ٠٠٠ ومات فى أواخر ربيع الأول سنة ٢ أو ٣ او ٧٣٤ » ٠

(١١) هى زينب بنت عمر بن كندى بن سعيد بن على البعلبكية الدار ، الدمشقية المحتد ، أم محمد ، لها ترجمة فى : الذهبى ٠ تذكرة الحفاظ ج٤ ص ٤٨٨ ، العبر ج٥ ص ٣٩٨ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج٨ ص ١٩٣ ٠

(١٢) ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٩١ ٠

(١٣) هو كمال الدين أحمد بن محمد عبد القاهـــر بن النصـــيبى ، الحلبى ، له ترجمة فى : الذهبى ٠ العبر ج٥ ص ٣٧٤ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج٨ ص ٤٠ ٠

(١٤) هو « ناصر الدين ، أبو حفص ، عمر بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائى » ، له ترجمة فى : الذهبى ٠ دول الاسلام ج٢ ص ٢٠١ ، ابن تغرى بردى ٠ النجوم الزاهرة ج٨ ص ١٨٩ ٠

١٢٩٩ م) و « أبى الفضل ابن عساكر »(١٥) (٦٩٩ هـ / ١٣٠٠م) و « ابن مشـــــرف »(١٦) (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٩ م) و « ابن النحاس »(١٧) (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « البهاء بن القيم »(١٨) (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « أبى الحسن بن الصـــواف »(١٩) (ت ٧١٢ هـ /١٣١٢ م) و « سبط زيادة »(٢٠) (ت ٧١٢ هـ /

---

(١٥) هو « شرف الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر » ، له ترجمة فى · الذهبى · العبر ج٤ ص ١٤٨٧ ، ابـــن كثير · البداية والنهاية ج١٤ ص ١٣ ·

(١٦) هو « شهاب الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبى العز بن مشرف » ، له ترجمة فى : الصفدى · الوافى بالوفيات ج٤ ص ٩٤ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٩ تر ١٤١ ·

(١٧) هو « كمال الدين ، اسحاق بن أبى بكر بن ابراهيم بن هبة الله ابن طارق الأسدى ، الحلبى » ، له ترجمة فى : الذهبى · ذيل العبر ص ٥٥ ، اليافعى · مرآة الجنان ج٤ ص ٢٤٨ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج١ ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧ تر ٨٨٨ ·

(١٨) هو « بهاء الدين ، أبو الحسن على بن عيسى بن سليمان بـــن رمضان الثعلبى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى · دول الاسلام ج٢ ص ٢١٦ ، ذيل العبر ص ٥٦ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٣ ص ٩١ ــ ٩٢ تر ٢٠٤ ·

(١٩) هو « نور الدين ، أبو الحســـن على بن نصر الله بن عمر بن عبد الواحد القرشى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى · ذيل العبر ص ٧١ ابن حجر · الدرر الكامنة ج٣ ص ١٣٦ تر ٣٠٩ ·

(٢٠) هو « زين الدين ، أبو محمد ، الحســن بن عبد الكريـــم بـــن عبد السلام المعرى ، المالكى » ، له ترجمة فى : الذهبى · ذيل العبر ص ٧٢ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٢ ص ١٩ ــ ٢٠ تر ١٥١٨ ·

١٣١٣ م) و « عبد الأحد بن تيمية »[٢١] ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) و « التقى سليمان »[٢٢] (ت ٧١٥ هـ / ١٣٠٦ م) و « يحيى بن سعد »[٢٣] (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) ٠٠ وعد من أعيان الحنابلة وكبار المحدثين فى الشام ، مما أهله لتولى مشيخة دار الحديث البهائية[٢٤] ، فانتفع به جمع وافر من الطلبة ، لعل من أبرزهم « الشمس الذهبى »[٢٥] (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) ٠

---

(٢١) هو « شرف الدين ، أبو البركات ، عبد الأحد بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن تيمية الحرانى » ، له ترجمة فى : الذهبى ٠ ذيل العبر ص ٧٠ ـ ٧١ ، ابن رجب ٠ الذيل على طبقات الحنابلة ج٤ ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ (وفيه : عبد الواحد) ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٢ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ تر ٢٢٥٩ ٠

(٢٢) هو « تقى الدين ، أبو الفضل ، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسى الصالحى » ، له ترجمة فى : الذهبى ٠ دول الاسلام ج٢ ص ٢٢١ ، ذيل العبر ص ٨٥ ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج١٤ ص ٧٥ ، ابن رجب ٠ الذيل على طبقات الحنابلة ج٤ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ تر ١٨٣٧ ٠

(٢٣) هو « يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصارى ، المقدسى ، الصالحى » ، له ترجمة فى : الذهبى ٠ ذيل العبر ص ١٢١ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ تر ١١٨٠ ٠

(٢٤) دار الحديث البهائية : كانت دار سكنى ـ داخل باب توما فى دمشق ـ لمسند الشام الشيخ الطبيب « بهاء الدين ، أبى محمد ، القاسم ابن المظفر بن محمود بن تاج الأمناء بن عساكر » (ت ٧٢٣هـ٠/١٣٢٣م٠) ، فوقفها دار حديث ، ضمن ما وقف ، وعرفت به ٠

راجع : الذهبى ٠ ذيل العبر ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، طبقات الحفاظ ج٤ ص ١٤٩٤ ، ابن كثير ٠ البداية والنهاية ج١٤ ص ١٠٨ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٣ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ تر ٦١٠ ٠

(٢٥) ابن رجب ٠ الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤١٧ ، ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٩١ ٠

وجده لأمه « ابن الصائغ الحنفى »(٢٦) (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م) نشأ فى القاهرة ، وأخذ العربية عن « أبى حيان الغرناطى »(٢٧) (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) ، والمعانى والبيان عن « العلاء القونوى »(٢٨) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) و « الجلال القزوينى »(٢٩) (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) ، والفقه عن « ابن عبد الحق »(٣٠) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ م) ، والقراءات افرادا وجمعا للسبعة والعشرة عن « محمد المصرى »(٣١) (ت ٧١٨ هـ /

---

(٢٦) مر التعريف به ، راجع ج١ ص ٣٢٨ من هذا البحث .

(٢٧) مر التعريف به ، راجع ج١ ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ من هذا البحث .

(٢٨) هو « علاء الدين ، أبو الحسن ، على بن اسماعيل بن يوسف القونوى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٦٢ ــ ١٦٣ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج١٤ ص ١٤٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج٣ ص ٢٤ ــ ٢٩ تر ٥٤ .

(٢٩) هو « جلال الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن القزوينى ، ثم الدمشقى ، الشافعى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج٢ ص ٢٤٥ ، ذيل العبر ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ، الصفدى . الوافى ج٣ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ تر ١٢٥٥ ، اليافعى . مرآة الجنان ج٤ ص ٣٠١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج١٤ ص ١٨٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج٤ ص ٣ ــ ٦ تر ٢ .

(٣٠) هو « برهان الدين ، ابراهيم بن على بن أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن يوسف بن ابراهيم بن على ، المعروف بابن عبد الحق : جده لامه » ، له ترجمة فى : الحسينى . ذيل العبر ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج١٤ ص ٢١٢ ، ابن الوفاء القرشى . الجواهر المضية ج١ ص ٩٣ ــ ٩٤ تر ٣١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج١ ص ٤٦ ــ ٤٧ تر ١٢١ ، رفع الاصر ج١ ص ٣٦ ــ ٣٧ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج١ ص ١٠٨ ــ ١٠٩ تر ٥٧ .

(٣١) هو « محمد بن نصير بن صالح بن جبريل بن خلف المصرى » ، له ترجمة فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج٢ ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ تر ٣٥٠٠ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج[illegible] ص ٢٧٦ تر ٧٧١ .

١٣١٩ م) و « التقى ابن مكى »(٣٢) (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ، والحديث النبوى عن « الدبوسى »(٣٣) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) و « ابن سيد الناس »(٣٤) (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) ، وكانت له رحلة الى دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة(٣٥) ، سمع فيها على « الحجار »(٣٦) (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) و « المزى »(٣٧)

---

(٣٢) هو « تقى الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عبد الخالق ابن على بن سالم بن مكى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى · دول الاسلام ج٢ ص ٢٣٣ ، ذيل العبر ص ١٣٩ ، الصفدى · الوافى ج٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ تر ٥٠٥ ، ابن الجزرى · غاية النهاية ج٢ ص ٦٥ ـ ٦٧ تر ٢٧٣٨ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ تر ٨٦٢ ·

(٣٣) هو « فتح الدين ، أبو النون ، يونس بن ابراهيم بن عبد القوى الكندى العسقلانى ، ثم المصرى ، الدبابيسى أو الدبوسى » ، له ترجمة فى : الذهبى · دول الاسلام ج٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، المقريزى · السلوك ج٢ ص ٣١٦ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ تر ١٢٣١ ·

(٣٤) مر التعريف به ، راجع . ج١ ص ٢٨٣ من هذا البحث ·

(٣٥) ابن الجزرى · غاية النهاية ج٢ ص ١٦٣ ·

(٣٦) هو « شهاب الدين ، أحمد بن أبى طالب بن نعمة بن حسن الصالحى ، المعروف بابن الشحنة ، وبالحجار » ، له ترجمة فى : الذهبى · دول الاسلام ج٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ابن كثير · البداية والنهاية ج١٤ ص ١٥٠ ، المقريزى · السلوك ج٢ ص ٣٢٦ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ تر ٤٠٤ ، ابن طولون · القلائد الجوهرية ج٢ ص ٤١٢ ـ ٤١٤ ·

(٣٧) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزى ، الدمشقى » ، له ترجمة فى : الذهبى · تذكرة الحفاظ ج٤ ص ١٤٩٨ ـ ١٤٥٠ ، الحسينى · ذيل العبر ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، ابن رافع الوفيات ج١ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ابن كثير · البداية والنواية ج١٤ ص ١٩١ ـ ١٩٢ ، ابن حجر · الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٥٧ ـ ٤٦١ تر ١٢٦١ ، ابن طولون · القلائد الجوهرية ج٢ ص ٤٥١ ـ ٤٥٣ ·

(ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) و « السبرزالى »(٣٨) (ت ٨٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ، وتصدر فى الجامع الأموى للعربية والاقراء(٣٩) ، وأقرأ الشاطبية هناك غير مرة(٤٠) ، ثم عاد الى القاهرة ، وعد من أعيان علمائها(٤١) ، وولى فيها افتاء(٤٢) دار(٤٣) العدل يوم الخميس : ثانى عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة ـ فكان بذلك أول حنفى ولى هذه الوظيفة(٤٤) ـ ثم ولى قضاء العسكر(٤٥)

---

(٣٨) هو « علم الدين ، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف » ، له ترجمة فى : ابن شاكر الكتبى • فوات الوفيات ج٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ تر ٣٥١ ، ابن رافع • الوفيات ج١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ تر ١٦٩ ، ابن كثير • البداية والنهاية ج١٤ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، ابن حجر • الدرر الكامنة ج٣ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ تر ٦٠٩ •

(٣٩) ابن الجزرى • غاية النهاية ج٢ ص ١٦٣ •

(٤٠) نفسه •

(٤١) راجع : المقريزى • السلوك ج٣ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٠٦ •

(٤٢) افتاء دار العدل : وظيفة أشار القلقشندى (صبح الأعشى ج١١ ص ٢٠٧) الى أن موضوعها : « الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ، والافتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل ، وهى وظيفة جليلة ، لصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن فى معناهم » •

(٤٣) المقصود بذلك « الايوان » الذى أنشأه « المنصور قلاوون » ثم جدده « الأشرف خليل » ، ثم هدمه وأعاد بناءه « الناصر محمد بن قلاوون »

راجع : المقريزى • الخطط جـ٢ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ـ ٢٠٩ •

(٤٤) المقريزى • السلوك ج٣ ص ٩٢ •

(٤٥) قاضى العسكر : عرفت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية ، وفى عصر الغزنويين ، ويبدو أنها انتقلت الى السلاجقة ، ثم الأتابكة ثم الأيوبيين • وصارت هذه الوظيفة فى عصر المماليك ثامنة الوظائف الدينية ،

وتدريس الفقه الحنفى فى الجامع الطولونى(٤٦) يوم الاثنين ، ثانى عشر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٤٧) ، كما كان نابهو الطلبة يقصدون داره ليلا لتحمل علم القراءات عنه(٤٨) ، وظل على وظائفه تلك الى أن توفاه الله اليه فى شعبان سنة ســـت وسبعين وسبعمائة للهجرة ، تاركا « ثروة واسعة »(٤٩) وعدة مؤلفات ،

=

وكان لصاحبها مجلس بحضرة الســلطان فى دار العــدل ، دون القضــ الأربعة ٠

ويشير « القلقشندى » الى أن قاضى العسكر كان يتخذ معه كاتبا يكتب للناس ، وكان عليه أن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ـ لتعذر وجود الشهود المعدين لتحمل الشهادة فى العسكر ـ وأن يكون له منزل معروف ، يقصد فيه اذا نصبت الخيام ، وأحسن مـــا يكون ذلك عن يمين الأعـــلام السلطانية ، وأن يكون مستعدا للأحكام التى يكثر فصلها فى العسكر ، وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم ، لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ٠

راجع ٠ ابن فضل الله العمرى ٠ التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، القلقشندى ٠ صبح الأعشى ج٤ ص ٣٦ ، ١٩٢ ، ج١١ ص ٩٦ ، د٠ حسن الباشا ٠ الفنون الاسلامية ج٢ ص ٨٦٦ ـ ٨٦٧ ٠

(٤٦) الجامع الطولونى : ابتدأ بناءه الأمير « أحمد بن طولون » سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين ، وقد بلغـــت النفقة فيه مائة وعشـــرين ألف دينار ، وجددت فيه أماكن فى الدولة المملوكة ٠

راجع : المقريزى ٠ الخطط ج٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٩ ، السيوطى ٠ حسن المحاضرة ج٢ ص ٢٤٦ ـ ٢٥٠ ٠

(٤٧) المقريزى ٠ السلوك ج٣ ص ١٩٨ ، ابن حجر ٠ انباء الغمر ج١ ص ١١ ، الدرر الكامنة ج٣ ص ٥٠٠ ٠

(٤٨) ابن الجزرى ٠ غاية النهاية ج٢ ص ١٦٤ ٠

(٤٩) ابن حجر ٠ الدرر الكامنة ج٣ ص ٥٠٠ ٠

منها : « شرح ألفية ابن مالك » و « التذكرة النحوية » و «الاستدراك على المغنى لابن هشام » و « شرح البردة » و « المثانى فى المعانى » و « الثمر الجنى فى الأدب السنى » و « المنهج القويم فى القرآن العظيم » و « الغمز على الكنز »(٥٠) .

وأشار اليه سبطه(٥١) بأنه « كان من الأفراد فى أمور الدين والدنيا » ، كما نعته « ابن حجر » بأنه « كان فاضلا بارعا حسن النظم(٥٢) والنثر ، كثير الاستحضار ، قوى البادرة ، دمث الأخلاق »(٥٣) وذهب « ابن الجزرى » الى أنه « لم يكن فى زمنه حنفى أجمع للعلوم منه ، ولا أحسن ذهنا وتدقيقا وفهما وتقريرا وأدبا »(٥٤) .

أما والده « علاء الدين ، على »(٥٥) (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م) فلا تمدنا المصادر بما يفيد كثيرا فى نشأته وتكوينه ومقدار ثقافته ، فجل ما يعرف عنه أنه ولد فى دمشق ، وسمع فيها الحديث النبوى(٥٦) ، وأن الغالب عليه من بين معارف وعلوم عصره « كتابة

---

(٥٠) ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ٩٥ ، الدرر الكامنة ج٣ ص ٥٠٠ .

(٥١) المقريزى . السلوك ج٤ ص ١١٠٧ .

(٥٢) ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ١٩٥ .

(٥٣) راجع نماذج من شعره فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج٢ ص ١٦٤ ، المقريزى ، السلوك ج٣ ص ٢٩ ، ٥٣ ، ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ١٩٥،١٩٦ .

(٥٤) ابن الجزرى . غاية النهاية ج٢ ص ١٦٣ .

(٥٥) له ترجمة فى . المقريزى . السلوك ج٣ ص ٣٢٦ ، ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ١٦٦ تر ٢٨ .

(٥٦) ابن حجر . انباء الغمر ج١ ص ١٦٦ .

الانشاء والحساب »(٥٧) ، وأنه تحول من الشام الى القاهرة ، وتولى فيها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء ، وكتب التوقيع(٥٨) عند نائب السلطنة(٥٩) فى مصر « آقتمر بن عبد الغنى » المعروف بالحنبلى(٦٠) (ت ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) ، وكان « العلاء » عاقلا ، عفيفا ، متدينا(٦١) ، صاهر « ابن الصائغ الحنفى » على ابنته « أسماء »(٦٢) (٧٤٧ ــ ٨٠٠ هـ / ١٣٤٦ ــ ١٣٩٧ م) ، التى تزوجها بعد زيجة لها سابقة(٦٣) ، فى المحرم سنة خمس وستين

---

(٥٧) المقريزى ٠ السلوك ج٣ ص ٣٢٦ ٠

(٥٨) راجع بشأن هذه الوظيفة : ج٢ ص ١٦٥ من هذا البحث ، د٠ أحمد السيد دراج ٠ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الوسطى ٠ مكة ١٤٠٩هـ٠ ، ص ١٤٥ ــ ١٥٠ ٠

(٥٩) نائب السلطنة فى مصر ، ويسمى ــ أيضا ــ كـــافل المماليك ، والسلطان الثانى أو الصغير أو المختصر ٠ كان يختار من بين العسكريين ، ومن مهامه القيام مقام السلطان أثناء غيابه ، والاشتراك معه فى توزيـــع الاقطاعات وترشيح الموظفين ٠

راجع : د٠ حسن الباشا ٠ الفنون الاسلامية ج٣ ص ١٢٣٠ ــ ١٢٣٤ ، د٠ عبد المنعم ماجد ٠ نظم دولة سلاطين المماليك ج٢ ص ٤٣ ــ ٤٤ ٠

(٦٠) له ترجمة فى المقريزى ٠ السلوك ج٣ ص ٤٦٢ ، ابن حجر ٠ انباء الغمر ج١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ تر ١٢ ، ابن تغرى بردى ٠ الدليل الشافى ج١ ص ١٤١ تر ٤٩٧ ، النجوم الزاهرة ج١١ ص ٢١٩ ٠

(٦١) ابن حجر ٠ انباء الغمر ج١ ص ١٦٦ ٠

(٦٢) لها ترجمة فى : المقريزى ٠ درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب ــ ١٣٢ ب ، ابن حجر ٠ انباء الغمر ج٢ ص ٣٣ تر ٤٨ ٠

(٦٣) أشار المقريزى (درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب) الى انها زفت بنت اثنتى عشرة سنة على رجل يعرف بنجم الدين المهلبى ، ففارقها ، ثم خلفه عليها أبوه ٠

وسبعمائة للهجرة ، منجبا منها مؤرخنا(٦٤) ـ الذى يرجح أنه بكر أولاده ـ فى السـنة التالية لزواجهما ، وكانت الزوجة عفيفة ، فاضلة ، دينة ، تحدث عن أبيها وزوجها ، وتنشد الشعر ، وظلت زوجا له الى أن توفاه الله اليه يوم الأحد ، الخامس والعشرين من رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وعاشت بعده الى سـنة ثمانمائة ، وقد اقترنت بزوج غيره ٠

أما مؤرخنا(٦٥) ، فقد نشأ نشـأة حسنة ، فحفظ القرآن ـ الكريم ـ وبعض المختصرات فى الفقه الحنفى ، عارضا لهما على جده لأمه « ابن الصائغ الحنفى » ، ثم تتلمذ فى الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ ، وغـيره من فنون المعرفة المتداولة فى عصره ـ آنذاك ـ على عدد وافر من أعـلام العلماء ، الذين بلغوا حسب احصائه لهم ستمائة شيخ ، لعل من أبرزهم :

١ ـ الحراوى (ت ٧٨١ هـ ـ ١٣٧٩ م) ٠

٢ ـ جويرية الهكارية (ت ٧٨٣ هـ ـ ١٣٨١ م) ٠

---

(٦٤) أشار المقريزى (نفسـه) الى ان أباه أنجب منها كذلك محمدا وحسينا ، كما أنها اتصلت بعد موت ابيه بآخر منجبة منه ولدا ذكرا ٠

(٦٥) راجـع فى ترجمته : ابن حجر ٠ انباء الغمر ج٩ ص ١٧٠ ـ ١٧٢ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ ، العينى ٠ عقد الجمان (ط٠ الزهراء) ص ٥٧٤ تر ١٩٥ ، ابن تغرى بردى ٠ حوادث الدهور ق ٨ ـ ٩ ، الدليل الشافى ج١ ص ٦٣ تر ٢١٧ ، المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٩ تر ٢١٧ ، النجوم الزاهرة ج١٥ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ ، السخاوى : التبر المسبوك ص ٢١ ـ ٢٤ ، الذيل التام ق ٨٢ أ ـ ٨٣ ب ، الضوء اللامع ج٢ ص ٢١ ـ ٢٥ تر ٦٦ ، عبد الباسط الحنفى ٠ الروض الباسم ج١ ق ٥١ أ ـ ٥٢ ب ، المجمع المعنون ق ١٠٢ ب ـ ١٠٤ أ ، ابن اياس ٠ بدائع الزهور ج٢ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ٠

٣ ـ أبا الفضل النويرى (ت ٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م) .

٤ ـ ابن طراد (ت ٧٨٨ هـ ـ ١٣٨٦ م) .

٥ ـ الجمال الأميوطى (ت ٧٩٠ هـ ـ ١٣٨٨ م) .

٦ ـ العز ابن الكويك (ت ٧٩٠ هـ ـ ١٣٨٨ م) .

٧ ـ العفيف النشاورى (ت ٧٩٠ هـ ـ ١٣٨٨ م) .

٨ ـ النجم ابن رزين (ت ٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩ م) .

٩ ـ ابن الشهيد (ت ٧٩٣ هـ ـ ١٣٩١ م) .

١٠ ـ ابن الشيخة (ت ٧٧٩ هـ ـ ١٣٩٦ م) .

١١ ـ النجم ابن الكويك (ت ٧٩٩ هـ ـ ١٣٩٧ م) .

١٢ ـ ابن أبى المجد (ت ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٨ م) .

١٣ ـ البرهان التنوخى (ت ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٨ م) .

١٤ ـ الشمس إبن سكر (ت ٨٠١ هـ ـ ١٣٩٨ م) .

١٥ ـ السراج ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ ـ ١٤٠١ م) .

١٦ ـ السويداوى (ت ٨٠٤ هـ ـ ١٤٠١ م) .

١٧ ـ العماد الحنبلى (ت ٨٠٤ هـ ـ ١٤٠١ م) .

١٨ ـ الزين التاجر (ت ٨٠٥ هـ ـ ١٤٠٣ م) .

١٩ ـ السراج البلقينى (ت ٨٠٥ هـ ـ ١٤٠٣ م) .

٢٠ ـ الزين العراقى (ت ٨٠٦ هـ ـ ١٤٠٤ م) .

٢١ ـ الفرسيسى (ت ٨٠٦ هـ ـ ١٤٠٤ م) .

٢٢ ـ النور الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ ـ ١٤٠٤ م) ٠

٢٣ ـ البرهان الظاهرى (ت ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م) ٠

٢٤ ـ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م) ٠

٢٥ ـ طاهر بن حبيب (ت ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م) ٠

٢٦ ـ الشهاب الأشمونى (ت ٨٠٩ هـ ـ ١٤٠٦ م) ٠

٢٧ ـ الشهاب الأوحدى (ت ٨١١ هـ ـ ١٤٠٨ م) ٠

٢٨ ـ الزين المراغى (ت ٨١٦ هـ ـ ١٤١٤ م) ٠

٢٩ ـ المجد الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م) ٠

٣٠ ـ التاج الفرغانى (ت ٨٣٤ هـ ـ ١٤٣٠ م) ٠

٣١ ـ ابن خطيب الناصرية (ت ٨٤٣ هـ ـ ١٤٤٠ م) ٠

كما أجازه) أجائز عامة) فى غير كتاب ، كم لايستهان به من جلة العلماء ، كالجمال الاسنوى (ت ٧٧٢ هـ ـ ١٣٧٠ م) ، والعماد ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٣ م) ، والبدر بن الخشاب (ت ٧٧٥ هـ ـ ١٣٧٣ م) ، وأبى البقاء السبكى (ت ٧٧٧ هـ ـ ١٣٧٥ م) ، وأبى اسحاق الآمدى (ت ٧٧٨ هـ ـ ١٣٧٦ م) ، والشـــرف بن عسكر (ت ٧٨١ هـ ـ ١٣٧٩ م) ، والشهاب الأذرعى (ت ٧٨٣ هـ ـ ١٣٨١ م) ، وأبى الفضل النويرى (ت٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م) ٠

ونتيجة لهذه الثقافة الواسعة ، فضلا عن الاتصال ببعض الأمراء كشـــيخ الصفوى (ت ٨٠١ هـ ـ ١٣٩٨ م) ، وأحمد بن كندغدى (ت ٨٠٧ هـ ـ ١٤٠٤ م) ، ويشبك الشعبانى (ت ٨١٠ هـ ـ ١٤٠٧ م) تمكن « المقريزى » من منادمة « الظاهر برقوق » (ت ٨٠١ هـ ـ ١٣٩٨ م) وابنه «الناصر فرج» (ت ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م)

وحظى عندهما ، وتقلب فى عهدهما فى عدة وظـــائف ، أجمـــل « السخاوى » الاشارة اليها قائلا :

« ٠٠ وناب فى الحكم ، وكتب التوقيع ، وولى الحسبة بالقاهرة (والوجه البحرى) غير مرة ، أولها ســنة احــدى وثمـــانمائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة (الناصر) حسن ، والامامة بجامع الحاكم ونظره ، وقراءة الحديث بالمؤيدية ، عوضا عن المحب بن نصر الله ، حين استقراره فى تدريس الحنابلة بها ، وغير ذلك . وحمدت سيرته فى مباشراته ٠٠ وكذا دخل دمشق مرارا ، وتولى بها نظر وقف القلانسى والبيمارستان النورى ــ مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعى ــ وتدريس (دار الحديث) الأشرفية و (المدرسة) الاقبالية ، وغيرها » ٠

كما عرض عليه « الناصر فرج » قضاء القضاة الشافعية فى الشام ، فأبى ، ورشحه لأن يكون رسولا (سفيرا) له لدى « تيمور لنك » ، ثم قام بتنفيذ هذه المهمة بدلا عنه « أحمد بن كندغدى » ٠

وهكذا ، فقد أسند الى « المقريزى » وظائف متنوعة ، كان بعضها فى مصر وبعضها فى الشام ، كما رشحت له بعض الوظائف التى لم يقبلها ٠ ٠ لكن يشير « السخاوى » الى اعتزاله لوظائفه تلك جملة ، دون تأريخ أو تعليل لذلك ، قائلا :

« ٠٠٠ ثم أعرض عن ذلك ، وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره ، وبعد فيه صيته ، وصارت له فيه جملة تصانيف » ٠

ويبدو من اســـتقراء الحوادث ، أن « الاعراض » عن تلك الوظائف كان قاسما مشتركا بين « المقريزى » وبين أرباب الدولة ، وأن ذلك كان اثر مقتل « الناصر فرج » (ت ٨١٥ هـ ــ ١٤١٢ م)

حيث ظل مؤرخنا الى حين وفاته ، قرابة ثلاثين عاما لا يمسك وظيفة بيده ، سوى اقراء الحديث فى القاهرة ومكة .

ويؤيد ذلك قول ابن تغرى بردى :

« ... غير أن الشيخ تقى الدين المقريزى ـ رحمه الله ـ كان له انحرافات معروفة عنه (عن الأشرف برسباى) ، وهو معذور فى ذلك ، فانه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات فى فنه ، ومؤرخ زمانه ، لا يدانيه فى ذلك أحد ، مع معرفتى بمن عاصره من مؤرخى العلماء ، ومع هذا كله كان مبعودا فى الدولة لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرته وحلو منادمته . على أن الظاهر برقوق كان قربه ونادمه وولاه حسبة القاهرة فى أواخر دولته ، ومات الظاهر فلم يمش حاله على من جاء بعده من الملوك ، وابعدوه من غير احسان ، فاخذ هو ـ أيضا ـ فى ضبط مساوئهم ، فمن اساء لا يستوحش ـ على أنه كان ثقة فى نفسه ، دينا ، خيرا ـ وقد قيل لبعض الشعراء : الى متى تمدح وتهجو ؟! فقال : مادام المحسن يحسن والمسىء يسىء » .

وهكذا ، فقد تغايرت الدول ، وأبعد مؤرخنا عن وظائفه التى طالما توزع فى بعضها مع حظوته لدى من قلدوه أمورها ، ولم يكن مستعدا ماديا أو معنويا للسعى الحثيث فى استرجاعها ، فقد كان تولى الوظائف ـ آنذاك ـ أمرا مكلفا ، اذ لا يتم ذلك ـ غالبا ـ بسعى غير مقترن بالرشا ، ولم يكن « المقريزى » ممن يجوزون التوظيف بالرشا ، فضلا عن أنه لم يكن من آل اليسار ، الذين يجدون فائضا من المال يتلفونه فى المنافسة على الوظائف ، يظهر ذلك ما ورد فى « السلوك » من عزوفه عن شراء « فروجين » فى مرضه لارتفاع ثمنهما ، وقد كان ـ آنذاك ـ موظفا ، وسكنه ـ فيما بعد ـ علو بيت ، بما لعله يشير الى عدم امتلاكه له ، أو استقلاله بسكناه ،

ولم يكن من سبيل الى العود الى تلك الوظائف ـ دون رشا ـ الا بامتهان النفس لدى الأمراء وأرباب الجاه فى الدولة ، وهو مايأباه « المقريزى » اذ التعفف » عن التردد الى ذوى الجاهات مع الاملاق » مما امتدحه فى مترجميه ، كما أن « السعى الى أبواب الأمراء وأعيان الدولة وذوى الجاهات » طلبا للوظائف مما عابه عليهم ٠

كما كان « المقريزى » حييا منذ الصغر ، وربما كان هذا الحياء صائنا له عن ابتذال النفس طلبا للوظيفة ، بل ومستجاش العاطفة(٦٦) ، ذا مشرب صوفى سلفى(٦٧) ، وفى تلك العاطفة ما يدفع بصاحبها الى الاستغراق فى الماضى ، ليكون عوضا عن

---

(٦٦) يظهر ذلك ما أورده فى السلوك (ج٤ ص ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩) ضمن حوادث حولية احدى وأربعين وثمانمائة للهجرة من البكاء لاشاعة بعضهم موت الخطيب يوم الجمعة ، على النحو لتالى :

« ٠٠٠ وفى يوم الجمعة تاسعه (شوال) ، اتفقت حادثة لم ندرك مثلها، وهو ن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب ، وأسمع الناس الخطبة ـ وأنا فيهم ـ حتى أتمها على العادة ، وجلس للأستراحة بين الخطبتين ، فلم يقم حتى طال جلوسه ، ثم قام وجلس سريعا ، واستند الى جانب المنبر ساعة تدر ما يقرأ القارىء ربع من القرآن ، والناس فى انتظار قيامه ، واذا برجل من الحاضرين يقول : مات الخطيب ، فارتج الجامع وضج الناس وضربوا أيديهم بعضها على بعض أسفا وحزنا ، وأخذنى البكاء وقد اختلت الصفوف ، وقام كثير من الناس يريدون المنبر ، فقام الخطيب على قدميه ، ونزل عن المنبر ، فدخل المحراب ، وصلى من غير أن يجهر بالقراءة ، وأوجز فى صلاته حتى أتم الركعتين » ٠

(٦٧) يكشف عن ذلك ترجمته لأعلام المتصوفة فى عصره ، وتسليمه بالكثير من مستغربات الحدوث ، على النحو الذى سوف يكشف عنه من خلال منهجه فى الكتابة التاريخية ، ومناجاته للموتى فى مناماته (راجع : السلوك ج٤ ص ٨١٣ ، حيث مناجاته لابن المواز بعد موته) وتسجيله لذلك ضمن ترجماتهم ٠

حاضـــره ، ولذا آثر مؤرخنا العكوف فى بيته منصـــرفا الى العبادة(٦٨) والتأليف(٦٩) ، وقد وجد فيهما « السلوى » عما افتقده من وظائف ، و « السلوان » عما صادفه من الهزات الاقتصادية(٧٠) ٠ والأوبئة والطواعين ، التى فقد فى بعضها ابنته « فاطمة » (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) ـ وقد بلغت سبعا وعشرين سنة ونصفا ـ وكانت آخر من بقى من أولاده ، كما كان هو عينه فريســـة مرض طويل ، أفضى به الى الموت ، عصـــر يوم الخميس ، الســـادس والعشرين من رمضان سنة (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ودفن يوم الجمعة ـ قبل الصلاة ـ بحوش « الصوفية البيبرسية » ، خالفا وراءه تراثا ضخما جديرا بدراسته والانتفاع به ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى « ابن حجر » بأنه «كان اماما بارعا ، مفننا ، متقنا ، ضابطا ، خيرا ، محبا لأهل السنة ، يميل الى الحديث والعمل به حتى نسب الى الظاهر ، حسن الصحبة ، حلو المحاضرة » ولدى «السخاوى » بـ « حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة لمن يقصده ، والمحبة فى المذاكرة ، والمداومة على التهجد ، والأوراد ، وحسن الصلاة ، وفريد الطمأنينة فيها ، والملازمة لبيته » ٠

---

(٦٨) أجمعت مصادر ترجمته على ذلك ٠

(٦٩) السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢ ٠

(٧٠) راجع : المقريزى ٠ اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٧٦ ـ ٨٠ ٠

مجهوداته فى الكتابة التاريخية

ترك « المقريزى » ـ رحمه الله ـ مؤلفات عديدة ، فى مجال التاريخ ، والأنساب ، والعقائد ، والفقه ، والأدب ، والعلوم البحتة(٧١) زادت على نحو مائتى مجلدة كبار(٧٢) ، لكن لم يبق من هذه المؤلفات أو من عنواناتها سوى النزر اليسير ، المبعثر فى مكتبات العالم ، أو المثبت عنواناته لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، ويمكن اجمال مؤلفاته على النحو التالى :

١ ـ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء(٧٣)

أرخ فيه « المقريزى » للدولة الفاطمية منذ قيامها فى المغرب

---

(٧١) أشار السخاوى (الضوء اللامع ج٢ ص ٢٤) الى أن مؤرخنا كانت له خبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات ، فابن خلدون التمس منه تعيين وقت ولايته ، فأخذ له طالعا ، وعين له يوما فكان كذلك ·

(٧٢) نفسه ج٢ ص ٢٣ ·

(٧٣) نشر فى القاهرة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) فيما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٣م · فى ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الدكتورين جمال الدين الشيال ، ومحمد حلمى عبد الهادى ·

العربى وحتى سقوطها فى مصر ، مترجما لخلفائها ، مشيرا من خلال ترجماتهم الى الحوادث الواقعة فى زمانهم ، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعة ، مقدما لترجماتهم بالحديث عن أولاد « على ابن أبى طالب » وأعقابهم ، مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين ، والتعريف بنشأة دولتهم فى المغرب العربى ، ومذيلا عليها بالتعريف برسوم دولتهم فى مصر ، وما عابه الفقهاء والمؤرخون عليهم ، فضلا عما صار اليه أمر أهليهم وذويهم بعد سقوط دولتهم فى مصر .

٢ ـ الاخبار عن الاعذار(٧٤) :

يبدو أن « المقريزى » عالج من خلاله موضـــوعا تاريخيا ـ اجتمـــاعيا ، دار حول ما يقام من ولائم فى البنـــاء (الزواج) والختان(٧٥) .

٣ ـ ازالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء(٧٦) .

٤ ـ الاشارة والايماء الى حل لغز الماء(٧٧) :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقريزى » يوم الثلاثاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة (٨٢٣ هـ/١٤٢٠ م) على سبيل التسلية ، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية ، واللغوية ، والبلاغية،

---

(٧٤) السخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢ .

(٧٥) راجع : الفيروزابادى . القـــاموس المحيط ص ٥٦١ ـ ٥٦٢ ، مادة : « عذر » .

(٧٦) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٨ ، السـخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٣ .

(٧٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، قدر لى الاطلاع على اثنتين منها ، فى مصورتين تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة ، تحت رقمى : «٢٢٠٧٥» و «٢٦٢٤٧» ، ضمن مجموع رسائل المقريزى .

والفقهية ، والعلمية البحتة ، وهى تدور حول حل (تفسير) لغز عن الماء ، تصدرها على النحو التالى :

« ... ما قولكم فى شىء يطير بلا جناح ، يبيض ويفرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وعينيه فى موضع قتبه ، يسمع بأذن واحدة ، ويبصر بعين زائدة ، له قرن كالنخلة السحوق ، ويعجب من أبصره ويذوق ، يصلى الى المغرب بالليل ، ويسجد طول دهره لسهيل ، تتقرب به الملوك للخالق ، ويوحدون الله بقلب صادق ، تتقرب به النصارى واليهود ، والكتب المنزلة بذلك شهود ، ريشه كثير ، ووبره غزير ، وطعامه الجوز والعسل ، وبه يضرب المثل ، شرابه اللبن والخمر ، ونقله الملح والتمر ، يكره النسوان ، ويحب الغلمان ، يحمل الأثقال وهو ضعيف ، ويفترس الأسد وهو نحيف ، ان طلب أدرك ، وان طلب أهلك ، يقطع الأرض فى ساعة بلا مال ولابضاعة ، تعرفه الملوك وتنكره ، وتفهمه السوقة وتخبره ، يسكن القصور ، ويأوى بالليل (الى القبور ، يبكى على الأحباب ، ويندب فقد الشباب ، ما ملكه ـ قط ـ بشر ، ولا حازه أنثى ولا ذكر ، تلعب به الصبيان ، وتغلى من سعره الأثمان ، يمازجه الايقاف ، ويتلى فى سورة « ق » ، يصلى ويصوم ، ويقعد ويقوم ، خلقته لاتحصى ، وصفاته لا تستقصى »(٧٨) .

لكن يعيب هذا المؤلف ماتخلل مادته من التسليم ببعض الخرافات ومستغربات الحدوث ، ومنها قوله مؤكدا على كراهية الماء للنساء وحبه للغلمان :

« ... وقوله : يكره النسوان ويحب الغلمان ، فانه معنى مستغلق ، بعيد المرمى ، يحتاج الى ايضاح ، لأنه لا يعرفه الا الأقل

---

(٧٨) المقريزى . الاشارة والايماء (مخط . رقم : ٢٢٠٧٥) ق ١ .

من القليل ، ولولا خشية الظن أن أتكثر بما لا أعرف لماسمحت به ، فان كثيرا من أصحابنا ـ غفر الله لهم ـ يتوهم أحدهم أنه يعرف العلم كله ، فاذا فضحته شواهد الامتحان تبين أنه لا يعرف شيئا ، فنقول :

الأسرار المعتبرة عند أئمة السحرة ، أنه اذا نزل المطر والبرد تجردت امرأة من جميع ثيابها ، واستلقت على قفاها ، ورفعت رجليها ، وباعدت ما بينهما ٠٠ نحو السماء ، فان المطر يرتفع نزوله عن تلك المزرعة أو الساحة التى بها تلك المرأة ، ولا ينزل عليها منه شيء مادامت المرأة كذلك ، وشرط بعضهم أن تكون المرأة حائضا ٠

وأما حب الغلمان ، فسر بديع ، لم أر أحدا أبدا تكلم به ، وهو ـ أيضا ـ من علوم الأقدمين ، وذلك أن العين اذا أرادوا استنباطها أو كان ماؤها قليلا وقصدوا غزارته ، فانهم يعمدون الى سبعة غلمان بارعين الجمال ، زائدين فى الحسن ، مجيدين بضرب الموسيقا، ذوى أصوات مطربة ، ثم يقومون صفا واحدا متحاذين ، وبيد كل منهم عود ، وقد استقبلوا بوجوههم منبع العين ، ويحركون أوتار عيدانهم تحريكا واحدا ، بايقاع واحد ، مدة ثلاث ساعات ، بطالع معروف ، فان ذلك الماء يسح حتى يبل أقدامهم ، فكلما تأخروا تبعهم ، حتى يحصل به الغرض ، فيمضوا ٠

فاعتبر ذلك بأن تجلس جماعة على شط النيل ـ سيما وقت المد ـ ويكون من الجماعة صبى ، فانك اذا طلبت البحر تجده عند تأمله يقذف بموجه الى جهة الصبى أشد ما يقذف الى جهة غيره من الجماعة ٠

والله فى خلقه أسرار بديعة ، يهدى منها مايشاء لمن شاء »(٧٩) ٠

---

(٧٩) المصدر السابق ق ١٧ أ ـ ١٨ أ ٠

٥ ــ الاشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام(٨٠) .

٦ ــ اغاثة الأمة بكشف الغمة(٨١) :

رسالة لطيفة الحجم ، فرغ « المقريزى » من تأليفها فى المحرم سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)(٨٢) ، على أثر المجـــاعات والكوارث الاقتصادية التى لحقت بمصر فيما بين عامى (٧٩٦ و ٨٠٨ هـ) . عارضا من خلالها لما حل بمصر من غلاء ، وما ترتب عليه من مجاعات أو « كوارث مجيحة » فيما قبل نشوء الاسلام وبعده حتى سنة ثمان وثمانمائة للهجرة ، محصيا منها ستا وعشرين حادثة ، خص مصر الاسلامية منها عشرين ، وردت على سبيل التمثيل لا الحصر ، وقد أشير من خلالها الى أن فيها ماهو أشد وأنكى من المحن المعاصرة ، معللا لهذه المحن بأسباب طبيعية ، كقصور جرى النيل فى مصر ، وعدم نزول المطر فى الشام والعراق والحجاز ، وما يصيب الغلال من الآفات وسمائم الرياح(٨٣) ، وأخرى غير طبيعية ، ترجع الى سوء تدبير ولاة الأمور ، وتنحصر فى ثلاثة ، وهى : ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشا ، وغلاء ايجار الاطيان مع زيادة نفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، ورواج الفلوس النحاســـية(٨٤) ، وفى هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها فى رأى « المقريزى » ، ولذا صرف

---

(٨٠) المقريزى . الذهب المسبوك ص ٢٦ .

(٨١) نشر فى القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشـــر ، ط ٢ ، ١٩٥٧ م .) بتحقيق الدكتورين « محمد مصطفى زيادة » و « جمال الدين الشيال » .

(٨٢) المقريزى . اغاثة الأمة ص ٤٣ ، ٨٦ .

(٨٣) نفسه ص ٤١ .

(٨٤) نفسه ص ٤٣ ــ ٤٧ .

جل اهتمامه اليه ، مستطردا منه الى ثلاثة موضـــوعات ، يمكن احمالها على النحو التالى :

١ ـ النقد الاسلامى ، وتطور سك العملة ، وأثره فى النظام النقدى فى مصر(٨٥) ٠

٢ ـ نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر فى مصر ، وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب (لعدم ضربها ألبتة ، أو سبكها حليا(٨٦) ، وما فى هذا التضخم النقدى من أثر على سائر طبقات المجتمع ، التى حصرها فى سبع(٨٧) فئات ، وهى :

(أ) أهل الدولة ٠

(ب) أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية ٠

(جـ) الباعة (أصحاب البز) ، وأصحاب المعايش (السوقة) ٠

(د) أهل الفلح (أهل الزراعات والحرث ، وسكان الريف) ٠

(هـ) الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ، ونحوهم

(و) أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن ٠

(ز) السؤال (ذوو الحاجة والمسكنة) ٠

٣ ـ أسعار النقد (ذهبا وفضة) ، وبعض السلع ، كالقمح والشعير والفول والبسلة والحمص والأرز ، ولب اليقطين (الكوسا) والجزر والفجل واللفت والرجلة ، والقرع والخيـــار ، الليمون ،

---

(٨٥) المصدر السابق ص ٤٣ ـ ٤٧ ٠
(٨٦) نفسه ص ٤٧ ـ ٦٦ ٠
(٨٧) نفسه ص ٧٢ ـ ٧٣ ٠

والبطيخ والعنب والكمثرى ، والترنجبين (طل قريب من خيار شنبر فى الخواص) ، وزهر النيلوفر ، والجمال والبقر والضأن ولحومهما، والدجاج وبيضه ، وزيتى السيرج والزيتون ، والسكر والكتان ، وبعض الملابس القطنية فى مصر ، وما تعامل به هذه السلع من وحدات الكيل أو الوزن أو القياس ، كالقنطار والأردب والقدح والرطل والذراع(٨٨) ، مدللا من خلال ذلك على أن هذه الأسعار «اذا نسبت الى الدرهم أو الدينار لايكاد يوجد فيها تفاوت » عما عهد قبل هذه المحن البتة ، اللهم الا فى أشياء معدودة ، كلحوم الأبقار لما نزل بالبقر من موت ذريع سنة ثمان وثمانمائة للهجرة ، والسكر لقلة زراعة قصبه واعتصاره فى سنتى سبع ، وثمان وثمانمائة للهجرة ، بالاضافة الى ما يقترن بذلك من سوء تدبير الحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح البلاد(٨٩) .

مقترحا كحل لتفادى حدوث مثل هذه الكوارث الاقتصادية ، الاقتصار فى النقد على التعامل فى أثمان المبيعات والأجور (قيم الأعمال) على الذهب والفضة لا غير(٩٠) .

وهكذا ، فقد أخذ « المقريزى » فى دراسته تلك بمبدأ السببية . متنكرا لمبدأ القدرية ، الذى كان رافضا له منذ الشروع فى انشاء هذه الرسالة ، كما يفهم من قوله فى مقدمتها :

« ... ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ، ولا مر فى زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد ، فقالوا : لايمكن زوالها ، ولايكون أبدا فى الخلق انفصالها ، وذلك أنهم قوم لا يفقهون،

---

(٨٨) نفسه ص ٧٦ ــ ٧٩ .
(٨٩) المصدر السابق ص ٨٣ .
(٩٠) نفسه ص ٨٠ ــ ٨١ .

وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله آيسون »(٩١) ٠

منبها الى ما للنقد من أثر عظيم فى المجالين الاقتصـــــادى والاجتماعى للشعوب ، موجها بعض عناصر هذه الدراسة وجهة نقدية ، هادفة الى التخويف من الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠٠ وزعم كثير من أرباب الأموال أن هذا الغلاء كسنى يوسف ــ عليه السلام ــ وطمع أن يشترى بما عنده من الأقوات أموال أهل مصر ونفوسهم ، فأمسك الغلال وامتنع من بيعها ، فلما وقع الرخاء ساست كلها ولم ينتفع بها فرماها ، وأصيب كثير ممن اقتنى المال من الغلال ، فبعضهم مات عقب ذلك شر ميتة ، وبعضهم أجيح فى ماله ، وان ربك لبالمرصاد ، وهو الفعال لما يريد »(٩٢) ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم المائة والمائتين ، ويصيب الأقل من السوقة ربحا فى اليوم ثلاثين درهما ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع ، واكتفوا بذلك طول الغلاء ، وأصيب جماعة كثيرة ممن ربح فى الغلال ــ من الأمراء والجند وغيرهم ــ فى مدة الغلاء ، اما فى نفسه بآفة من الآفات ، أو باتلاف ماله التلاف الشنيع ، حتى لم ينتفع ٠ فلقد كان لبعضهم ستمائة اردب باعها بسعر مائة وخمسين الأردب وبأزيد من ذلك ، فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الأول حيث لم ينفعه الندم ، فلما صار اليه ثمن الغلال أنفق

(٩١) نفسه ص ٣ ــ ٤ ٠
(٩٢) نفسه ص ٣١ ــ ٣٢ ٠

معظمه فى عمارة دار ، وزخرفها ، وبالغ تحصينها واجادتها "، حتى اذا فرغت وظن أنه قادر عليها أتاها أمر ربهـــا ، فاحــترقت بأجمعها ، وأصبحت لا ينتفع بها بشىء[93] .

لكن شاب هذه الرسالة ـ كذلك ـ تسليم « المقريزى » من خلال مادتها بكثير مما جاء فى مصادره من المبالغات أو مستغربات الحدوث ، ومن ذلك اشارته الى أكل الناس ـ فى مصر ـ للكلاب والقطط واللحوم الآدمية ، على النحو الوارد فى قوله :

« ... فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه فى أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه »[94] .

وقوله :

« ... فكان الأب يأكل ابنه مشويا أو مطبوخا ، والمرأة تأكل ولدها ... ويدخل بعضــــهم الى جاره فيجد القدر على النار ، فينتظرها حتى تتهيأ ، فاذا هى لحم طفل ، وأكثر مايوجد ذلك فى أكابر البيوت ، ووجدت لحوم لأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية ، وغرق فى دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك ، ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بنى آدم ، بحيث ألفوه ، وقل منعهم منه لعدم القوت من جميع الحبوب وسائر الخضروات وكل ما تنبته الأرض »[95] .

وقوله مشيرا الى نطق ثور جبة عسال :

« ... ووقع بآخر الغـــلاء أعجوبة فى غاية الغرابة ، لم يسمع بمثلها ، وهى أن رجلا من أهل الفلح بجبة عسال ـ احدى

---

(93) المصدر السابق ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(94) نفسه ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(95) المصدر السابق ص ٢٩ ـ ٣٠ .

قرى دمشق الشام ــ خرج بثور له ليرد الماء ، فاذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء ، فأورد الثور حتى اذا اكتفى نطق بلسان فصيح أسمع من بالمورد ، وقال : الحمد لله والشكر له ، ان الله ــ تعالى ــ وعد هذه الأمة سبع سنين مجدبة ، فشفع لهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان الرسول أمره أن يبلغ ذلك ، وأنه قال : يارسول الله ، فما علامة صدقى عندهم ؟ قال : أن تموت بعد تبليغ الرسالة ، وأنه بعد فراغ كلامه صعد الى مكان مرتفع وسقط منه ومات ، فتسامع به أهل القرية ، وجاءوا من كل حدب ينسلون ، فأخذوا شعره وعظامه للتبرك ، فكانوا اذا بخروا به موعوكا برىء ، وعمل بذلك محضر مثبوت على قاضى البلد ، وحمل الى السلطان بمصر ، فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبره ، وشاع ذكره »(٩٦) .

٧ ــ الالمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقريزى » اثناء مجاورته فى مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٥ ــ ١٤٣٦ م) مرتبا لها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة قصيرة جدا ، اقتصر فيها على الصلاة والتسليم .

٨ ــ امتاع الأسماء بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع(٩٧) .

---

(٩٦) نفسه ص ٣٨ ــ ٣٩ .

(٩٧) توجد منه مخطوطة محتفظ بها فى مكتبة « كوبريلى ــ تركيا » برقم : « ٠٠٤ » ، كتبت فى شوال سنة (٩٦٨هـ/١٥٦١م) ، تقع فى ستة أجزاء ضمت (٩١٩) ورقة ، مقاسها : ٢٧ × ٤٠ سم ، ومسطرتها نحو ٣٥ سطرا ، وعنها مصورتى : دار الكتب المصرية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٨٨٦ ــ تاريخ ، ومعهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٦٣ ــ تاريخ . ولم يطبع منه سوى الجزء الأول ــ فقط ــ بتحقيق محمود شاكر . القاهرة ، ١٩٤١م .

مؤلف مطول فى سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمع مادته من مصادر رئيسة ومتعددة ، محررا فيه الخلاف حول كثير من الوقائع ، مع العناية بتحقيق الكثير من المســـائل الفقهية المتصلة بحوادث السيرة(٩٨) ، حدث به « المقريزى » فى مكة(٩٩) ، اثناء مجاورته فيها(١٠٠) سنتى (٨٤٣ هـ / ١٤٣١ م ، ٨٣٩ هـ / ١٤٣٦ م) ٠

٩ ـ الأوزان والأكيال الشرعية(١٠١)

١٠ ـ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب(١٠٢) ٠

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها ، المقريزى » سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) ، مشيرا من خلالها الى القبائل العربية التى دخلت مصر مع الفتح العربى ، وأماكن وجودها فى عصره ، مقررا « أن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر ، وجهلت أكثر أعقابهم ، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر »(١٠٣) ، حصرت لديه فى

---

(٩٨) راجع : المقريزى ٠ امتاع الأسماع ج١ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، فيما تعلق بالصلاة الوسطى ٠

(٩٩) كانت للمقريزى رحلات متعددة للحج والمجاورة فى مكة ، أتت فى سنوات متعددة ، منها : ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٨٣٤ ، ٨٣٩هـ ٠ (= ١٣٨٥ ، ١٣٨٨ ، ١٤٣١،١٤٣٦م ٠) ٠

راجع : المقريزى ٠ الالمام ص ٢ ، درر العقود الفريدة ق ٤ ب ، ١١٧ أ ، السلوك جـ٤ ص ٨٥٨ ، الطرفة الغريبة ق ١ أ ٠

(١٠٠) المقريزى ٠ درر العقود الفريدة ق ٨٣ ب ، ٨٦ أ ، السلوك ج٤ ص ٨٥٨ ، ابن تغرى بردى ٠ المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٧ ، السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢ ٠

(١٠١) نشره ، روستوك ، ١٧٩٧م ٠

(١٠٢) أعاد نشره محققا د٠ عبد الحميد عابدين (القاهرة ، عالــم الكتب ، ط١ ، ١٩٦١) ، مع دراسة عن تاريخ العروبة فى وادى النيل ٠

(١٠٣) المقريزى ٠ البيان والاعراب ص ٣ ٠

ست عشرة قبيلة ، وهى : ثعلبة ، وجرم ، وسنبس ، وجذام ، وبنى هلال ، وبلى ، وجهينة ، وقريش ، وكنانة ، والأنصار ، وعوف ، وفزارة ، ولواته ، ولخم ، وحرام ، وبنى سليم(١٠٤) ، غير مرتب لها على حرف المعجم ، أو على أصول الأنساب (قحطانية وعدنانية)، أو بحسب منازلهم فى مصر ، فأتت أشبه شىء بمذكرات كتبت على عجل ، وعلى غير نظام واضح ٠

١١ ـ التاريخ الكبير المقفى فى تاريخ أهل مصر والواردين عليها ٠

معجم تاريخى ضخم ، أتى فى ست عشرة مجلدة(١٠٥) ،

---

(١٠٤) د٠ ابراهيم أحمد رزقانة ٠ القبائل العربية فى مصر عند المقريزى (ضمن كتاب دراسات عن المقريزى) ص ٨٤ ٠

(١٠٥) يبدو أن « المقريزى » كان ينتوى أن يتبسط فى مادة هذا الكتاب وفى محتواه ، بحيث يأتى فى اكثر من ثمانين مجلدة ، لكنه اضطر الى اقتضابه فى هذه المجلدات الست عشرة ، على النحو المفهوم من قول السخاوى (الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢) ٠ « ٠٠٠ وهو فى ستة عشر مجلدا، وكان يقول : انه لو كمل على مايرومه لجاوز الثمانين » . وقول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٧) ٠ « ٠٠٠ ذكر لى ـ رحمه الله ـ قال : لو كمل هذا التاريخ على ما أختاره لجاوز الثمانين مجلدا » ٠

وفى يقينى أنه ترك هذا المؤلف تاما ، فقد أحال من خلال مادته الى تتمات لعناصر بعض الترجمات ، أتت فى ترجمات من حرف الياء ، كنحو قوله (المقفى ٠ مخط ٠ السليمية ، ق ٢٩٦ب) : « ٠٠٠ فلما قدم يانس العزيزى الى طرابلس بعد ولايته برقة ، وخرج تمصولت الى مصر ، كما ذكر فى ترجمة كل منهما ٠٠٠ » ، لكن لم يعد بعثر بعد على نسخة مكتملة من هذا الكتاب اذ المعروف للباحثين منه ـ حتى الآن ـ خمسة مجلدات تحتفظ بثلاثة منها مكتبة جامعة ليدن ، برقم ا « ١٣٦٦ » ، وقد احتوت على جزء من ترجمات حرف الهمزة ، وترجمات الكاف واللام ، وجانب من حرف
=

ترجم « المقريزى » فيه لمشاهير أهل مصر ـ فيما قبل الاسلام وبعده حتى وقته ـ على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ممن استقروا فيها ، أو تحولوا عنها الى غيرها من البلدان ، كما ترجم فيه ـ كذلك ـ لمن دخلها مســـتوطنا لها ، أو عابرا فى طريقه الى الحج أو غيره

=
الميم ، أما الرابعة ، فتحتفظ بها المكتبة الوطنية فى باريس برقم « ٢١٤٤ ـ عرب » ، وتحتوى على بعض ترجمات حرف الطاء ، وحرف الظاء ، وجانب من حرف العين • وهذه المجلدات الأربعة مسودات بخط « المقريزى » • على حين أتت المجلدة الخامسة من الكتاب مبيضة بغير خطه ، وقد احتوت على عدد من ترجمات الكتاب ، ابتداء بابراهيم ، وانتهاء بخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسى ، وهى محفوظة فى مكتبة السليمية بتركيا ، برقم ٤٩٦ •

وقد اكتشفت أثناء دراستى لمخطوط « جبته » من درر العقود الفريدة أن الجزء المتمم لحرف العين فى مخطوط باريس قد ضم الى هذا الكتاب بعد = = انخرامه فى آخره •

وهكذا ، فان ما وصلنا من « المقفى » قد أتى فى معظمه مسودات بخط « المقريزى » ، بعد ضياع مقدمة الكتاب وخاتمته ، وترجمات حروف كثيرة ، من الدال الى آخر الحروف •

ومن حسن الحظ أن تصدى أخيرا لاخراج هذا الكتاب محققا فى صورته الحالية الأستاذ « محمد اليعلاوى » ، فدفع للطبع بأربعة اجزاء من ثمانية ، وكان قد انتخب منه ـ قبل ذلك ـ سبعا وسبعين ترجمة تنتمى الى الفترة العبيدية (الفاطمية) ، ضمها مجلد احتوى على نحو (٤٨٦ صـــفحة) متوسطة القطع •

راجع • المقريزى • كتاب المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية) • ت • محمد اليعلاوى • بيروت ، الغرب الاسلامى ، ط١ ، ١٩٨٧ •

ـ يقينا أو ظنا ـ ومن الطريف أن يذكر أنه ترجم فيه ـ كذلك ـ لمن دخل مصر « ميتا محنطا »(١٠٦) ، أو « رأسا مقطوعة »(١٠٧) ·

١٢ ـ تجريد التوحيد المفيد(١٠٨) ·

مؤلف لطيف الحجم ، يدور موضوعه حول « علم التوحيد » ، أجمل « المقريزى » الاشارة اليه فى مقدمته بقوله :

« ··· وبعد ، فهذا كتاب جم الفوائد ، بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة ، سميته : تجريد التوحيد المفيد ، والله أسأل العون على العمل بمنه وكرمه »(١٠٩) ·

وهذا المؤلف على وجازته ، لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع دينى تقليدى ، وانما أحاط فيه الى جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الاسلامية ، ذاكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها ، مناقشا لها ·

---

(١٠٦) كنحو قوله (المقفى · مخط · السليمية ق ٢٠٠ أ) مترجما المنصور بالله اسماعيل :

« ··· لما دخل المعز لدين الله ابو تميم معد الى القاهرة كان معه توابيت أبائه : المنصور اسماعيل ـ هذا ـ والقائم أبى القاسم محمد ، والمهدى عبيد الله ، فدفنهم بتربة القصر من القاهرة ، فلذلك ذكرته فى كتابى هذا » ·

(١٠٧) من ذلك ترجمة « خلف بن جبير » ، أحد ثوار المغرب ، وقد قتل فى المغرب ، وطيف برأسه فى « القيروان » ، ثم حملت الى مصر فطيف بها فى « القاهرة » ·

راجع : المقريزى · المقفى (مخط · السليمية) ق ٤٣٤ ·

(١٠٨) طبع فى القاهرة (المنيرية ، ١٢٧٣هـ·) بتحقيق طه الزينى ·

(١٠٩) المقريزى · تجريد التوحيد (مخط · جامعة القاهرة ، رقم : ١١/٢٦٢٤٧) ، ق ١٧٦ أ ·

١٣ ـ التذكرة[١١٠] ٠

١٤ ـ تراجم ملوك المغرب[١١١]

١٥ ـ تلقيح العقـــول والآراء فى تنقيح أخبـــار الجـــلة الوزراء[١١٢] ٠

١٦ ـ حصول الانعام والمير فى سؤال خاتمة الخير[١١٣] ٠

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « سؤال العبد ربه ـ تعالى ـ أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير » ، مستلهما ذلك من قول « يوسف » ـ عليه السلام ـ مناجيا ربه : «توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (١٠١ : يوسف) ٠

١٧ ـ الخبر عن البشر[١١٤]

مؤلف ضخم ، جعله « المقريزى » مدخلا لامتاع الأسماع ،

---

(١١٠) مؤلف فى التاريخ ـ كما يوهم ملخصه ـ أشار ابن تغرى بردى (المنهل الصافى جا ص ٣٩٨) الى انه كمل منه ثمانون مجلدة ٠

(١١١) احتوى على بعض ترجمات ملوك المغرب العربى ، وقد يكون مذكرات جمعها « المقريزى » من المصادر للانتفاع بها فى بعض مؤلفاته ، راجع : د٠ جمال الدين الشيال ٠ مقدمة تحقيق اتعاظ الحنفاء جا ص ١٤ ٠

(١١٢) المقريزى ٠ الخطط ج١ ص ٤٤٢ ، ج٢ ص ٢٢٣ ٠

(١١٣) راجع : المقريزى ٠ حصول الانعام والمير (مخط ٠ مكتبة جامعة القاهرة ، رقم : ١٢/٢٦٢٤٧) ٠

(١١٤) توجد منه عدة نسخ غير مكتملة ، بيانها كالتالى :

(أ) مخط ٠ أحمد الثالث ـ تركيا ، ذات الرقم : «٢٩٢٦» ، وتقع فى خمسة أجزاء ، تبدأ بخطبة الكتاب ، وتنتهى بالحديث عن القوط من ملوك الأندلس ٠

مؤرخا من خلاله للخليقة حتى ظهور الاسلام ، هادفا من وراء ذلك الى التعريف بقبائل العرب ، وتمييزها من سائر الأجناس ، ليعرف لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، لكونه – صلى الله عليه وسلم – هاشميا ، قريشيا عربيا ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠ أما بعد ، فان الله – وله الحمد – لما من باكمال كتاب امتاع الأسماع بما للرسول من الأتباع والأحوال والحفدة والمتاع – صلى الله عليه وسلم – أردت أن أعمل له مدخلا يشتمل على بدء الخليقة، ومن سكن الأرض أولا ، وكيف خلق الله – تعالى – آدم – عليه السلام – وبث منه ذريته ، لكى تعرف العرب من بين الناس ، ويتميز جنسها من سائر الأجناس ، ليعلم كيف كان اجتماعها فى غابر الدهر واتفاقها ، ثم كيف كان من بعد ذلك تمزقها وافتراقها ، حتى صارت شعوبا وقبائل وعمائر وأفخاذا وفصائل ، فان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بنى هاشم ، وبنو هاشم من قريش ، وقريش من العرب ، فهو – صلى الله عليه وسلم – النبى العربى القرشى الهاشمى ، فلهذا دعت الحاجة الى معرفة العرب ، ليعرب لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، وما خص الله – تعالى – به

=

(ب) مخط ٠ دار الكتب المصرية بالقاهرة ، المصورة عن نسخة مكتبة « الفاتح – تركيا » ، ذات الرقم : « ٩٤٧ – تاريخ » ، وتقع فى ستة أجزاء تبدأ بأول الكتاب ، الثلاثة الأولى منها بخط « المقريزى » ٠

(جـ) مخط ٠ دار الكتب الوطنية – تونس ، ذات الرقم : «٣٥٥٨» ، (وعنها مصورة معهد المخطوطات العربية فى الكويت ، برقم : ٤٣٣ – ، وتبدأ بفاتحة الكتاب ، وتنخرم فى آخرها ، أثناء الحديث عن الاختلاف فى سبب تسمية قريش قريشا ٠

(د) مخط ٠ مكتبة جامعة الأزهر ، ذات الرقم : «٤٣٩ – تاريخ /٦٧٣٣ أباظة » ، وتحتوى على قطعة تبدأ بالحديث عن بنى عدنان ، وتنتهى بذكر « أسماء » ، احدى منجبات العرب ٠

قريشا من مزايا الشرف العظيم ، وما حبى به بنى هاشم من ولادة الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ٠

ثم لما رأيت فضل الله على بما علمنى وفهمنى عظيما ، ومنته وطوله بما رزقنى من كثرة الاشراف على مقالات الخليقة جسيما ، جعلته كتابا مستقلا لاتساعه وكثرة فوائده ، وشرف أوضاعه ، وسميته : الخبر عن البشر »(١١٥) ٠

وترجع أهمية هذا الكتاب ــ كذلك ــ الى احتوائه ــ فضلا عن ذلك ــ على مادة رئيسة ، تكشف عن مفهوم « المقريزى » ــ صراحة ــ لموضوع « علم التأريخ » ، وأقسامه ، واقراره بفوائده ، وتحمسه للدفاع عنه ٠

١٨ ــ خلاصة التبر فى كتاب السر(١١٦) ٠

١٩ ــ درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة(١١٧) ٠

---

(١١٥) المقريزى ٠ الخبر عن البشر (مخط ٠ تونس) ق ٤ أ ٠

(١١٦) المقريزى ٠ الخطط ج٢ ص ٦٣ ٠

(١١٧) عرف لهذا الكتاب نسخة مكتملة ، تملكها د٠ « محمود الجليلى » بالارث عن أجداده ، وحبسها عن الدارسين ، ولم يشأ نشرها أو اذاعتها ، رغم مناشدة بعض المؤرخين والمتخصصين له ذلك ، وهى تقع فى مجلدين ، يحتويان على (٩٧٢) صفحة ، مقاسها حوالى ٢٧ × ١٩ سم ، ومسطرتها نحو ٢٩ سطرا ، تداول كتابتها ناسخان فى سنة واحدة ، نقلا عن مخط ٠ المؤلف ٠ فقد جاء فى آخر صفحات المجلد الأول (المشتمل على مقدمة الكتاب وترجماته حتى نهاية حرف الظاء) قول ناسخه :

« نجز الجزء الأول من تاريخ المقريزى ، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، على يد الفقير الى الله ــ تعالى ــ على بــن محمد بن عبد الله الفيومى ، حامدا لله ، ومتوسلا برسول الله داعيا لمالكــه ، زاده الله من الســعادة =

* * * * * * * * * * * * * * *

=

والسيادة ، وجعله من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة . وجميع المسلمين ، آمين ، بتاريخ التاسع والعشرين (فى الأصل · والعشرون) من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وسبعين وثمانمائة » ·

كما جاء فى آخر المجلد الثانى (المشتمل على ترجمات الكتاب ابتداء بحرف العين . وانتهاء بآخر ترجمات حرف الياء) قول ناسخه .

تم الجزء ـ المبارك ـ الثانى من كتاب التاريخ ، للشيخ الامام العالم العلامة ، البحر الفهامة . شهاب الدين ، أحمد بن نور الدين على المقريزى . الشافعى ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وذلك على يد الفقير الى الله ـ تعالى ـ أحمد بن محمد التلوانى الأزهرى ، غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ فى هذا الكتاب ودعاله بالتوبة والمغفرة ، ولجميع المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله وحده · وكان الفراغ من كتابته فى يوم الاثنين . سابع عشر شهر شوال المبارك سنة ثمان وسبعين وثمانمائة » ·

(راجع . مقالتى د· محمود الجليلى : « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة للمقريزى » ، و «ترجمة ابن خلدون للمقريزى» ، المنشورتين فى مجلة المجمع العلمى العراقى على التتابع ، مج ١٣ ص ٢٠١ ـ ٢١٤ ، ٢١٥ ـ ٢٤٤ ، ومادة ما صاحبهما من مصورات الكتاب ، والمشتملة = = على . مقدمة المؤلف ، وترجمات : « عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن لاجين الرشيدى » . و « عبد الرحمن بن على بن خلف ابن زين الدين الفارسكورى » . و « يوسف بن حسين بن على بن محمد بن زكريا الواحى » وصدر ترجمة « ابراهيم بن محمد بن بهادر بن عبد الله » . المعروف بابن زقاعة ، وديباجتى الناسخين فى مجلدى الكتاب) ·

أما المخط · الأصلى للكتاب ، الذى تركه « المقريزى » بخطه فقد احتفظت به مكتبة « جيته » ـ فى ألمانيا ـ برقم « ٢٧٠ ـ عرب » ، وعنه مصورة مكتبة

معجم فى ترجمات أعيان عصر « المقريزى » ، أشار فى مقدمته الى دافعه لتأليفه ، قائلا :

« ••• وبعد ، فانى ما ناهزت من سنى العمر الخمسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزنى لفقدهم ، وتنغص عيشى من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم ، وعوضتها عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم ، وأمليت ما حضرنى من أنبائهم فى هذا الكتاب »(١١٨) •

=

المجمع العلمى العراقى ، ذات الرقم • « ٢١٣ » ، ويقع فى نحو (١٨٥) ورقة ، مزدوجة الصفحات ، شغل الكتاب منها نحو (١٥٠) ورقـــة ، حيث انخرم فى اثناء حرف الألف ، وفى أثر ترجمة « ايدكو » ، ملك الترك ، لتنضم اليه عدة أوراق — بخط « المقريزى » — من كتاب « المقفى » ، تشتمل على عدد من ترجمات « حرف العين » الذى أشير فى بعض المراجع الحديثة الى فقدانه •

وتتصدره ديباجة ، محتواها :

« كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، تأليف فقير عفو الله، أحمد بن على ابن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن تميم ابن عبد الصمد بن أبى الحسن بن تميم ، الشهير والده بابـن المقريزى ، الشافعي ، غفر الله ذنوبه ، وستر بمنه وفضله عيوبه ، انه كريم » •

وتلك قطعة جيدة ، صالحة لدراسة الكتاب وتقويمه ، لكونها بخـط مؤلفه ، فضلا عن اشتمالها على ديباجة الكتاب ومقدمته ونحـو (٣٥٢) ترجمة من مجموع ترجماته ، البالغ عددها (٥٥٦) ترجمة — فيما أشار اليه د• « الجليلى » — أى بنسبة (٦٣ر٥٪) من المجموع الكلى لترجمات الكتاب ، شغلت منها ترجمات النساء «خمس» ترجمات — فقط — بنسبة (١ر٤٪) الى ترجمات الرجال •

(١١٨) المقريزى • درر العقود الفريدة (مخط • جيته) ق ٢ أ •

وتسميته له : « ٠٠٠ وسميته درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة »(١١٩) ٠

ومحتـــواه :

« ٠٠٠ ثم انى رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من أدركته ، سواء غاب عنى أو رأيته ، من أهل مصر كان أو غيرها من البلدان ، فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والزوراء ، وأذكر رواة الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، ومن له ذكر شهير ، أو قدر نبيه خطير ، اما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى . من ابتداء سنة ستين وسبعمائة »(١٢٠) ٠

وهو بهذا يكون قد حدد الحيز الزمانى لكتابه بسنة « ستين وسبعمائة للهجرة » فما بعدها الى قبيل وفاته ، أما الحيز المكانى فقد تركه فضفاضا ، ليتسع لترجمات من عاصروه فى مصر وفى غيرها من الأقطار المعروفة له ، فى الشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب العربى والهند والحبشة وتركيا ٠٠ ماداموا قد شهروا فى عصره ، واطلع هو على مادة ترجماتهم ٠

أما الترجمات وعددها فى الكتاب (٥٥٦) ترجمة(١٢١ ، فقد ترجم فيها لمشهورى الرجال والنساء فى عصره من سائر طبقات المجتمع ، بأسلوب سهل ، وعبارة سليمة ، خالية من التعقيدات اللغوية ، والزخارف اللفظية ، أو الأخطاء النحوية ، اللهم الا ما كان سبق قلم أو عفو خاطر ، مرتبا لهم على حروف المعجم ، ابتداء

---

(١١٩) نفسه ٠

(١٢٠) نفسه ق ٣ ب ٠

(١٢١) د ٠ محمود الجليلى ٠ درر العقود الفريدة مج ١٣ ص ٢٠٢ ٠

بترجمة « ابراهيم بن محمد بن بهادر » ، المعروف بابن زقاعة(١٢٢) ، وانتهاء بترجمة « يوسف بن حسين الواحى »(١٢٦) ، معتبرا فى ترتيبهم اسم العلم المترجم له فحسب ، غير ملتفت الى أسماء الآباء أو الأجداد ، بحيث ترجم لمن اسمه « ابراهيم » ، « فأبو بكر » ، « فأحمد » ، « فاسحاق » ، « فاسكندر » ، « فأسماء » « فاسماعيل »» ... وهكذا ، مغفلا ترتيب الترجمات فى « الاسم المفرد » باعتبار ما يليه في سلسلة النسب من أسماء ، فأتت ترجمة « أحمد بن بلبان » متوسطة لترجمتى « أحمد بن عبد الله » و « أحمد بن ياسين » ، كما أتت ترجمة « أحمد بن حسن » متوسطة لترجمتى « أحمد بن نصر الله » و « أحمد بن ابراهيم » . وهذا لايتأتى معه الكشف بسهولة عن المترجم له ، اذ لابد ـ مع معرفة الحرف المترجم فيه ـ من الشروع فى مطالعة سائر ترجمات الاسم المشترك معه للعثور على الترجمة المقصودة ،أو التأكد من خلو الكتاب منها .

٢٠ ـ الدرر المضية فى تاريخ الدولة الاسلامية(١٢٤) .

٢١ ـ ذكر ما ورد فى بنيان الكعبة المعظمة(١٢٥) .

لعله مختصـــر « الاشـــارة والاعـــلام ببناء الكعبة البيت الحرام »(١٢٦) .

---

(١٢٢) المقريزى . درر العقود الفريدة ق ٣ .

(١٢٣) د . محمود الجليلى . درر العقود الفريدة مج ١٣ ص ٢١٦ ، حيث أورد ترجمته مصورة عن مخط . الكتاب .

(١٢٤) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣ .

(١٢٥) د. جمال الدين الشيال . مقدمة تحقيق « اتعاظ الحنفاء » ج١ ص ١٨ ، ولا أدرى مصدره فى ذلك .

(١٢٦) السخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٣ .

٢٢ ـ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك(١٢٧) ٠

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول التأريخ لمن حج من الخلفاء والملوك فى خلافته أو ملكه ، فرغ « المقريزى » من تصنيفها فى ذى القعدة سنة (٨٤١ هـ ـ ١٤٣٨ م) ، مرتبا لها على مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيمابينهما ثلاثة فصول ٠

أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى تسميته للكتاب ، مهديا اياد الى شخصية كبيرة فى عصره ، عزمت على الحج ، لم يفصح عن اسمها ٠

وأما الخاتمة ، فقد أتت مقتضبة للغاية ، تبين عن الفراغ من كتابته وانتهاء مادته ، على النحو التالى :

« ٠٠٠ والله ـ سبحانه ـ أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين »(١٢٨) ٠

وأما الفصول ، فقد أجمل فى أولها الاشارة الى « حجة الوداع » ، لكونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ « هو الذى بين للناس معالم دينهم »(١٢٩) ، مشيرا من خلال ذلك الى بعض شعائر الحج والعمرة ، كالاقران والتمتع والهدى ٠

وجعل ثانيها لمن حج من الخلفاء فى خلافته ، مترجما من

---

(١٢٧) نشره فى القاهرة (الخانجى ، ١٩٥٥) ، د٠ جمال الدين الشيال ٠

(١٢٨) المقريزى ٠ الذهب المسبوك ص ١٢١ ٠

(١٢٩) نفسه ص ٥ ٠

خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة ، مؤرخا لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالى :

م	دولة الخلافة	عدد الخلفاء
١	الخلافة الراشدة	٣
٢	الخلافة الأموية	٦
٣	الخلافة العباسية فى العراق	٣
٤	الخلافة العباسية فى مصر	١

وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكا أو سلطانا ـ ممن حج فى ملكه أو سلطنته ـ منذ انقسمت الخلافة الاسلامية الى دويلات يحكمها ملوك ، وحتى عهد الأشرف شعبان ، أحد سلاطين المماليك ـ مع التأريخ لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالى :

م	الدولة	عدد الملوك
١	اليمن (الصليحية)	١
	(الأيوبية)	٢
	(بنو رسول)	٣
٢	الأيوبية فى الشام	٢
٣	الأتابكية فى الموصل وحلب	١
٤	المملوكية الأولى	٣
٥	التكرور	١

وترجع أهمية هذا المؤلف ـ على اقتضاب مادته ـ الى أنه احتوى على العديد من المعلومات المركزة المتصلة بالحج ، من تعريف بشعائره(١٣٠) ، وما اتصل به من الاعلان (النداء) بالحج(١٣١) ، والعادة فيه ، وادارة المحمل(١٣٢) ، وكسوة الكعبة(١٣٣) ، وعمارة المسجد الحرام(١٣٤) ، وتمهيد طريق الحج ، واصلاح مناسكه(١٣٥)، والدعاء للسـلاطين فى الخطبة(١٣٦) ـ فى الحرمين ـ ومواكب السلاطين والخلفاء عند خروجهم للحج(١٣٧) ، وما يتجهزون به من أطعمة ومتاع(١٣٨) ، أو يعد لنزولهم في الطريق من البيوت(١٣٩) ، والقصور(١٤٠) ، وما يتبعها من اقامة الركايا والبرك والمصانع لخزن المياه(١٤١) ، وتنظيم البريد (١٤٢) ٠

---

(١٣٠) المصدر السابق ص ٨ ـ ١٠ ٠

(١٣١) نفسه ص ١١ ٠

(١٣٢) نفسه ٠

(١٣٣) نفسه ص ٤٣ ـ ٤٤ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١١٤ ٠

(١٣٤) نفسه ص ١٤ ـ ١٥ ، ٢٩ ـ ٣٠ ، ٤٥ ٠

(١٣٥) نفسه ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ٠

(١٣٦) نفسه ص ٦١،٦٩،٨٨ ٠

(١٣٧) نفسه ص ٩٩ ـ ١٠١ ٠

(١٣٨) نفسه ص ٩٠ ، ١٠٠ ـ ١٠١ ٠

(١٣٩) نفسه ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠

(١٤٠) نفسه ص ٤٥ ٠

(١٤١) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٥ ٠

(١٤٢) نفسه ص ٤٥ ٠

٢٣ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك(١٤٣)

مؤلف مطول فى تاريخ مصر الاسلامية ، أراد به « المقريزى » أن يكون خاتمة لحلقة كبيرة ، عنى فيها بالتأريخ لمصر منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، اشتمل على التأريخ لمصر فى ظل حكم سلاطين الأيوبيين والمماليك ، فيما بين سنتى : (٥٦٧ هـ ـ ١١٧١ م ، و ٨٤٤ هـ ـ ١٤٤١ م) ، وقد نظمت مادته على الحوليات المتخللة لدول سلاطين هاتين الدولتين ، والحاوية للحوادث والتراجم وان توسط فى ايراد الحوادث ، واقتضب فى ايراد التراجم ، اكتفاء بما ورد منها فى مؤلف آخر له ، هو « التاريخ الكبير المقفى » ، على النحو المدرك من قوله :

« ... أما بعد ، فانه لما يسر الله وله الحمد باكمال كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء ، منذ فتحت والى أن زالت الدولة الفاطمية ، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والجركسية ، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر فى أيامهم من الحوادث والماجريات غير معتن فيه بالتراجم والوفيات ، لأنى أفردت لها تأليفا بديع المثال ، بعيد المنال ، فألفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الاكثار الممل والاختصار المخل ، وسميته : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك(١٤٤) .

---

(١٤٣) طبع فى القاهرة ، (لجنة التأليف والترجمة ، ودار الكتب المصرية) فيما بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٧٣ ، بتحقيق الدكتورين محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، فى أربعة أقسام ، يتألف كل منها من ثلاثة اجزاء .

(١٤٤) المقريزى . السلوك ج١ ص ٢٨ .

مع التمهيد لموضوعه بعرض سريع وموجز لما كان عليه الكافة قبل الاسلام ، والتأريخ للدولة الاسلامية ، منذ البعثة المحمدية وحتى سقوط دولة الخلافة العباســـية فى بغداد ، والتعـريف بالدولتين البويهية والسلجوقية(١٤٥) .

٢٤ ـ شارع النجاة(١٤٦) .

أشار « السخاوى » الى أنه « يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها ، مع أدلتها وتوجيه الحق منها »(١٤٧) .

٢٥ ـ شذور العقود فى ذكر النقود(١٤٨)

رسالة لطيفة الحجم ، انقسمت الى مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما ثلاثة فصول ، أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب : « نبذة لطيفة فى أمور النقود الاسلامية »(١٤٩) ، وأنه أنشىء تلبية « للأمر العالى » ، الذى يرجح أن يكون شخصية كبيرة فى بلاط « المؤيد شيخ المحمودى »(١٥٠) ، وأما الخاتمة ، فقد أتت

---

(١٤٥) المصدر السابق ج١ ص ٢٨ ـ ٦١ .

(١٤٦) المقريزى . الذهب المسبوك ص ٥ ، ٧ .

(١٤٧) السخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٣ .

(١٤٨) طبع باسم : « النقود العربية القديمة (ضمن مادة كتـــاب : انستاس مارى الكرملى . النقود العربية وعلم النميات . بيروت ، بـدون تاريخ ، ص ٢١ ـ ٧٣) ، استنادا الى ما جاء فى عنوان مخط . جامعـة القاهرة ، ذات الرقم : ٢٦٢٤٧ ، بينما جاء العنوان الصحيح فى مخط . ليدن (راجع : مصورة معهد احياء المخطوطات العربية ، بالقاهرة ، ذات الرقم : ١١١٠ ـ تاريخ) .

(١٤٩) المقريزى . النقود القديمة الاسلامية ص ٢١ .

(١٥٠) يشير الى ذلك امتداحه للمؤيد شيخ والدراهم المؤيدية وحطه على الناصر فرج .

متضمنة مايشير الى الانتهاء من مادة الكتاب ، على النحو التالى :

« ··· والله – تعالى – يختم بخير أعمالنا ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »(١٥١) ·

بينما جعل الفصل الأول للحديث عن « النقود القديمة » التى كانت للناس على وجه الدهر ، وجعل الفصل الثانى للتعريف « بالنقود الاسمية » – نشأتها وتطورها – وجعل الفصل الثالث للحديث عن « النقود المصرية » ، وهو فى هذه الفصول الثلاثة يشير الى أنواع النقود ، وأوزانها ، أو أعيرتها ، وزيوفها ، وماحدث فيها من التغيير والتبديل على اختلاف عصورها ·

٢٦ – ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى(١٥٢) ·

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول صحابى جليل ، هو « تميم بن أوس الدارى » – رضى الله عنه – وكان نصرانيا ، جاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأسلم ، وروى الرسول عنه حديث « الجساسة والمسيخ الدجال »(١٥٣) ، فانفرد هو من دون الصحابة – رضوان الله عليهم – بذلك وكانت روايته – عليه السلام – عنه « من باب رواية الفاضل عن المفضول ، والمتبوع عن تابعه»(١٥٤)، وقد استعرض « المقريزى » من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس وأنساب العرب ، وقدوم وفد الداريين على الرسول – صلى الله عليه وسلم – واسلام « تميم » ، وتحديثه – عليه السلام – عنه ،

نفسه ص ٦٢ – ٦٥ ·

(١٥١) المصدر السابق ص ٧٣ ·

(١٥٢) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط١ ، ١٩٧٢) ، بتحقيق محمد أحمد عاشور ·

(١٥٣) المقريزى · ضوء السارى ص ٣٨ – ٥٢ ·

(١٥٤) نفسه ص ٤٥ ·

واقطاعه اياه قريتى « جبرون وعينون » — ولم يكن فتحهما حدث بعد — وما كان من أحوال « تميم » فى الجاهلية والاسلام ، معددا لمآثره ، مؤرخا لوفاته بسنة أربعين للهجرة ، مناقشا من خلال تلك الرسالة « قضية الهبة » مناقشة فقهية قضائية ، مختتما لها بالتعريف بما آل اليه مصير « جبرون وعينون » حتى وقته ٠

٢٧ — الطرفة الغريبة من أخبار وادى حضرموت العجيبة(١٥٥)

رسالة لطيفة الحجم ، استفاد « المقريزى » مادتها فى مكة ، أثناء مجاورته فيها سنة (٨٣٩ — ١٤٣٦ م) من بعض القادمين عليه من أهل حضرموت ، ابتدأها بمقدمة موجزة ، أشار فيها الى ذلك ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فهذه جملة من أخبار وادى حضرموت ، علقتها بمكة — شرفها الله تعالى — أيام مجاورتى بها ، فى عام تسعة وثلاثين وثمانمائة ، حدثنى بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت»(١٥٦) ٠

أتبعت بوصف جغرافى موجز لبلاد حضرموت ، وما تردد فى بعض المصادر من الاختلاف فى نسب « حضرموت » ، وماشهرت به هذه البلاد من مزروعات أو حيوان (كالماشية والابل) « مذيلا عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية ، المتضمنة الكثير من

---

(١٥٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخط ٠ شستربتى ، ذات الرقم : ٤١١٨ ، فى مصورتها المأخوذة عنها ، والمحتفظ بها لدى معهد المخطوطات العربية فى الكويت ، برقم : ٢/٧٧٦ ، وتقع فى ست ورقات مزدوجة الصفحات مقاسها ٢ر٢٦ × ٢١ سم ، ومسطرتها نحو ١٩ سطرا ، مع مراجعة مخط ٠ ولى الدين ، فى مصورتها المحتفظ بها لدى جامعة القاهرة ، برقم . ٢٦٢٤٧ /٢ ٠

(١٥٦) المقريزى ، الطرفة الغريبة (مخط ٠ شستربتى) ق ١ أ ٠

الخرافات أو مستغربات الحدوث ، مما وثق مؤرخنا به ، كنحو قوله :

« ... وذلك أن الواحد منهم عنده خرزة من كنوز ظفروا بها من عهد عاد ، فاذا أراد أحد منهم أن ينقلب ذئبا تثاءب مرارا . وأحمر لونه ، فيخرج الخرزة من حقوه ويبتلعها ، فينقلب فى الحال ذئبا له ذنب ووبر ، ويمشى على اربع ، ويسوح فيفترس من وجده من بنى آدم ، وما يظفر به من الغنم ، ولايزال كذلك حتى اذا أراد أن يخرج من مسلاخ الذهب الى هيئة الانسانية وصورته ، وتمرغ بالأرض ، واذا به بشرا سويا كما كان ، فتقع تلك الخرزة ، وكلما أراد أن ينقلب ذئباً بلعها كما تقدم ، فانه يصير ذئبا ، وهذا أمر مشهور عند جميع أهل حضرموت ، لا ينكره أحد منها ، لمعرفتهم به المعرفة التامة »(١٥٧) .

وقوله :

« ... وهذا الصنف من النساء لهن مع ذلك قوة التشـــكل والانقلاب فى هيئة رخمة أو حدأة ، ثم تمر الواحدة منهن وقد صارت كذلك فى الهواء ، ويصير صياحها كصياح الرخمة أو الحدأة ، فاذا سمع أهل حضرموت صياحهن علموا أن السواحر قد اجتمعن على أحد يردن به شيئا من أعمالهن ، فاذا كان لواحدة من هؤلاء النساء رجل من أقاربها أو زوج لها فى سفر ، ولو انه بأقصى الهند ، فانها تتشكل حدأة أو رخمة ، وتمر فى الهواء حتى تأتيه وتعرف خبره ، وتعود من ليلتها فتخبر بذلك ، فيكون كما أخبرت »(١٥٨) .

وقوله :

« ... وفى جبال ظفار قوم يقال لهم : القمر ، أهل بادية ،

---

(١٥٧) المصدر السابق ق ٣ أ .
(١٥٨) نفسه ق ٣ ب .

وقد جرت العادة فى ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا مطرا غزيرا جدا ، فاذا أراد أحد أن يسافر فى مدة المطر الى جهة من الجهات ، طلب واحدا من القمر ، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر ، ثم سار معه والمطر نازل ، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة ، حتى يبلغ حيث يريد »(١٥٩) ٠

وما شابه ذلك من مستغربات الحدوث ٠

٢٨ ـ عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط

أشار « المقريزى » اليه فى صدر كتابه « اتعاظ الحنفاء » بقوله :

« ٠٠٠ ضمنته ما وقفت عليه ، وأرشدنى الله ــ سبحانه ــ اليه ، من أحوال مدينة الفسطاط ، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصارت دار اسلام ، الى أن قدمت جيوش الامام المعز لدين الله أبى تميم معد من بلاد المغرب ، مع عبده وقائده وكاتبه ، أبى الحسين ، جوهر القائد الصقلى ، فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونزلت فى شمالى الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة ، وحل بها »(١٦٠) ٠

وهكذا ، فقد اشتمل هذا المؤلف على فترة من تاريخ مصـــر الاسلامية امتدت فيما بين الفتحين الاسلامى والفاطمى لها ٠

٢٩ ـ قرض سيرة المؤيد لابن ناهض(١٦١) ٠

---

(١٥٩) نفسه ق ٥ ٠

(١٦٠) المقريزى ٠ اتعاظ الحنفاء ج١ ص ٤ ، وراجع السلوك ج١ ص ٢٨ ٠

(١٦١) السخاوى ٠ الضوء اللامع ج٢ ص ٢٣ ٠

٣٠ ـ ما شاهده وسمعه مما لم ينقل فى كتاب

يبدو انه احتوى على كثير من النوادر التاريخية وغير التاريخية مما عايشه « المقريزى » أو أخبر به ، على النحو المدرك من قول السخاوى :

« ... ومن أعجب ما فيه انه كان فى رمضان سنة احدى وتسعين (وسبعمائة) مارا بين القصرين ، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك ، واجتمع عليه الناس . قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك »(١٦٢) .

٣١ ـ مجمع الفرائد ومنبع الفوائد

ذكره « السخاوى » مشيرا الى أنه « يشتمل على علمى العقل والنقـــل ، المحتوى على فنى الجد والهزل ، بلغت مجلداته نحو المائة »(١٦٣) ، بينما أشار « ابن تغرى بردى » الى أنه « كمل منه نحو الثمانين مجلدا كالتذكرة »(١٦٤) .

٣٢ ـ مختصر الكامل فى الضعفاء لابن عدى(١٦٥) .

٣٣ ـ معـرفة مايجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم(١٦٦) .

---

(١٦٢) نفسه ج٢ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(١٦٣) نفسه ج٢ ص ٢٣ .

(١٦٤) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٨ .

(١٦٥) توجد منه نسخة خطية فى مكتبة « مراد ملا ـ تركيا » ، تقع فى نحو (٣١٥ ورقة) ، مقاسها : ٥ر١٧ × ٢٥ سم ، ومسطرتها نحو ٢٥ سطرا ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : « ٤٥٦ ـ تاريخ » .

(١٦٦) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط٢ ، ١٩٧٣) بتحقيق محمد أحمد عاشور .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوى على المسلمين من حبهم واجلالهم ونصرتهم ومودتهم ، فرغ « المقريزى » من تأليفهـــا فى ذى القعـــدة ســـنة (٨٤١ هـ ـ ١٤٣٨ م)(١٦٧) مرتبا لها على مقدمة ، أشار فيها الى دافعه الى تأليفها ، قائلا :

« ... وبعد ، فانى لما رأيت أكثر الناس فى حق آل البيت مقصرين ، وعما لهم من الحق معرضين ، ولمقدارهم مضـــيعين ، وبمكانتهم من الله ـ تعالى ـ جاهلين ، أحببت أن أقيد فى ذلك نبذة تدل على عظم مقدارهم ، وترشد المتقى لله ـ تعالى ـ على جليل أقدارهم ، ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده »(١٦٨) .

تتبعها فصول خمسة ، شارحة من خلال أقوال أئمة اللغـــة والتفسير لخمس آيات قرآنية ، مع ما اتصل بها من الأحاديث النبوية، عالج موضوعه من خلالها ، وهى قوله تعالى :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٣٣ ! الأحزاب) .

« والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » (٢١ : الطور) .

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا » (٨٢ : الكهف) .

« جنات عدن يدخلونها ومن صـــلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم » (٢٣ : الرعد) .

---

(١٦٧) المقريزى . معرفة ما يجب لآل البيت ص ٨٦ .
(١٦٨) نفسه ص ١٧ .

« قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القـــربى » (٢٣ : الشورى) ٠

مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشـفهية ـ التى أمده بها شيوخه ورفقته ـ وتدور كلها حول الحث على حب آل البيت النبوى وتعظيمهم(١٦٩) ٠

٣٤ ـ المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية(١٧٠) ٠

مؤلف علمى بحت ، يبحث فى المعادن ، أشار « المقريزى » من خلاله الى كروية الأرض ، وحركتها ، واحاطة الماء باليابسة من سائر جهاتها ، والأجسام المتولدة عليها ، وتكويناتها ، مستطرقا للحديث عن المعادن ، كاشفا عن المعروف له من أقسامها ، وتكويناتها ، وصفاتها ، وأمكنة وجودها ، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها ٠

٣٥ ـ مقالة لطيفة وتحفة سنية منيفة فى حرص النفوس على الذكر(١٧١) ٠

رسالة لطيفة الحجم ، أنشأها « المقريزى » هادفا من خلالها الى الترغيب فى عمل الخير ، مقدما لموضوعها بقوله :

« ٠٠٠ وبعد ، فهذه مقالة لطيفة ، وتحفة سنية شريفة ، فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر ، أسأل الله ـ تعالى ـ أن

---

(١٦٩) المصدر السابق ص ٨٠ ـ ٨٦ ٠

(١٧٠) اعتمدت هذه الدراسة على مخط ٠ مكتبة جامعة القاهرة ، رقم : ٢٦٢٤٧/١٠ ٠

(١٧١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط ٠ مكتبة جامعة القاهرة ، رقم . ٢٦٢٤٧/١١ ٠

يجعل لنا ثناء حسنا فى الصالحين ، وأن يحبونا بالزلفى يوم الدين، بمنه وكرمه »(١٧٢) ٠

متبعا ذلك بموضوع الكتاب ، وقد أشار من خلال مادته الى أن « البقاء من أعظم وأحسن صفات الله تعالى « فى حين » ليس للعبد من نفسه الا العدم » ، و « الفاضل هو الذى يحرص على بقاء ذكره دائما » ، على النحو الوارد فى القرآن - الكريم - على لسان ابراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صـــدق فى الآخرين » (٨٤ : الشعراء) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لابأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحا » ، اذ « ذكر الفتى عمره الثانى » ، و « الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما » ، حثا مطالع هذه الرسالة على أن يكون « كما الورد »، يرحل ويترك أريجا طيبا ، ولا يتأتى ذلك الا بتهذيب الأخـــلاق ، والرياضة ، والسلوك الى الله - تعالى - والتحلى بالآداب الفاضلة الروحانية ٠

٣٦ - منتخب التذكرة(١٧٣) ٠

مؤلف فى التاريخ الاسلامى العام ، اقتصر فيه « المقريزى »

---

(١٧٢) المقريزى ٠ مقالة لطيفة وتحفه سنية منيفة ق ١٩١ أ ٠

(١٧٣) اعتمدت هذه الدراسة على المجلد الأول - المتبقى - من هذا المؤلف ، فى مصورته المحتفظ بها لدى « دار الكتب المصرية » فى القاهرة ، برقم : ١٦٥٨ - تاريخ ، عن مخط ٠ المكتبة الأهلية - باريس ، ذات الرقم : ١٥١٤ - عرب ، وتقع فى نحو ١٦٦ ورقة ، لطيفة الحجم ، مزدوجة الصفات باستثناء أولها وآخرها ، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا ، وقد جاء على صفحة الغلاف قوله :

« كتاب منتخب التذكرة فى التاريخ ، تاليف الامام العلامة ، تقى الدين، أبو بكر (كذا) المقريزى ، تغمده الله برحمته ورضوانه أمين » ٠

كما جاء فى الهامش الأيسر من الصفحة عينها قوله :

على « ذكر العرب والفرس » دون غيرهم « من الأمم المطيفة بهم فى أطراف الأرض » ، اختصره من مؤلف أبسط منه أسماه : « التذكرة » فكان ما أودعه فى هذا المؤلف « اللب منه » ٠

أما التذكرة ، فلم يبق منه ــ فيما أعلم ــ سوى ما لخصه « ابن قطلوبغا الحنفى » عنه فى مؤلفه « تاج التراجم » ــ على نحو ما سوف يشار اليه فى هذا البحث ــ وأما « منتخب التذكرة » ، فلم يتبق منه سوى مجلد لطيف الحجم ، انخرم فى آخره ، فأراد الناسخ ايهام اكتماله ، مذيلا آخر صفحاته بقوله : « ثم الكتاب ، بحمد الله وحسن توفيقه »(١٧٤) ٠

ويحتوى هذا المجلد من « المنتخب » على مقدمة ، أشـــار « المقريزى » فيها الى موضوع الكتاب ومنهجه فى ايراد محتواه ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فهذا كتاب عديم المثال ، قريب التناول ، فى جمل التاريخ ، انتخبته من كتابى المسمى بالتذكرة ، فأقول وبالله التوفيق » ٠

=

« ذكر الذهبى فى تاريخ الاسلام قال ٠ فى سنة ٨٤٣ من الهجرة النبوية أحسن الله ختامها ، توفى فى عصر يوم الخميس سادس عشرى شهر رمضان من السنة المذكورة عن نحو الثمانين مؤرخ الوقت تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزى ، القاهرى ، مصنف هذا الكتاب ، رحمه الله تعالى » ٠

ولا يخفى وجه الخطأ فى نسبة هذا القول الى الذهبى ، فضلا عن تضمن تاريخ الاسلام له ، وفى التاريخ للوفاة ٠

(١٧٤) المقريزى ٠ منتخب التذكرة ق ١٦٦ أ ٠

أعلم أن أبلغ المواعظ التفكر في القرون السالفة والأعصار ، بانقراض جيل بعد جيل ، وفنــاء قبيل اثر قبيل ، وقد نبهنا الله ــ تعالى ــ على ذلك بقوله : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ، ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون » (٢٦ : السجدة) ، فجعل الاعتبار بهم هداية لمن عقل ووعى ۰

وقال تعالى : « افلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (٨٢ : غافر) ، الى غير ذلك من الآيات ۰

وأنا أذكر فى هذاالكتاب جملا من تاريخ الملوك والأعيان ، ومدة ملك كل واحد منهم ، ووقت انقضائه ، وانسابهم ، وتلخيص أحوالهم ، عادلا عن الاطالة ، ومتنكبا شرح الحوادث ، فان ذلك موجود فى كتب التواريخ على شدة الاختلاف فيه ، وهذا انما هو اللب من الكتاب ، فلا يليق به أبسط مما ضمنته ، ثم اقتصر على ذكر العرب والفرس ، فان من عداهم من الأمم المطيفة بهم فى أطراف الأرض لا نجد فائدة فى تكلف علم أحوالهم ، ولا وقعت الينا متسقة ، وفيما وقفت عنده كفاية للمعتبر ، وفائدة ما تحويه من معرفة أهل كل زمان ، والله الميسر لما يرضيه ، والموفق لاجتناب مايسخطه ، ويباعد عن طاعته(١٧٥) ۰

يتبع ذلك عرض سريع لمبدأ الخليقة ، يتلوه تعريف موجز بملوك العرب بالفرس فى الجاهلية (فيما قبل الاسلام) ، وكأنه جعل منهما مدخلا لموضوع الكتاب ، ثم يبدأ التاريخ للدولة الاسلامية بسيرة موجزة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تضمنت العناصر التالية :

---

(١٧٥) نفسه ق ٢ ۰

نسبه ، أمه ، مولده ، بعثته ، هجرته ، وفاته ، ســـنه حال الوفاة ، ما تبع الوفاة من تجهيز ودفن ، أحواله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الجاهلية والاسلام ، صفته ، أزواجه ، أولاده ، مواليه . كتابه ، ما كان له ــ عليه السلام ــ من الخيل والبغال والابل واللقاح والسلاح ، حجه ، غزواته ٠

متبعا سيرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بترجمات قصيرة للخلفاء فى دولتى الخلافة الراشدة والخلافة الأموية ، مذيلا على ترجماتهم بحوليات متتابعة ، « منذ أول سنى الهجرة الى آخر أيام بنى أمية (١ : ١٣٢ هـ) اقتضب فيها الحوادث اقتضابا ، منبها من خلالها على مشاهير المواليد والوفيات ، يستأنف بعدها الترجمة لخلفاء بنى العباس (الدولة الهاشمية) ابتداء بأبى العباس الســـفاح ، وانتهاء بالمقفى لأمر الله (ت ٥٥٥ هـ ــ ١١٦٠ م) ، مذيلا على ترجماتهم بحوليات موجزة ، اقتضب فيها ــ كذلك ــ الحوادث ، ابتداء بسنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وانتهاء بسنة سبعين ومائتين للهجرة ، حيث انخرم هذا المجلد المتبقى من الكتاب ٠

٣٧ ــ المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر(١٧٦)

٣٨ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(١٧٧)

---

(١٧٦) يضم الفترة فيما بين سنتى (٤٣٩هـ٠/١٠٤٧م و ٥٥٣هـ٠ / ١١٥٩م٠) ، انتقاه « المقريزى » فى ربيع الأول سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م٠) ٠ طبع فى القاهرة (المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٨١) بتحقيق أيمن فؤاد سيد ٠

(١٧٧) راجع :

٣٩ ـ نبذ تاريخية(١٧٨)

٤٠ ـ نحل عبر النحل(١٧٩) ٠

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « النحل » وماتخلف عنه من عسل وشمع ، مستلهما منه العبرة والعظة لبنى الانسان(١٨٠) وقد رتبت على مقدمة ، وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما عشـــرة فصول ٠

أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فهذا قول وجيز فى ذكر النحل ، وما أودع فيه البارىء ـ جلت قدرته ـ من غرائب الحكمة ، وعجائب الصنع ، ليعتبر أولوا الأبصار ، ويتذكر أرباب الاعتبار ، والله الموفق »(١٨١) ٠

---

(١٧٨) توجد منه نسخة مخط ٠ تقع فى (٥٢ ورقة) ، مقاسها نحو : ١٣ × ١٦ سم ، تحتفظ بها مكتبة بلدية الاسكندرية ، برقم : ٢١٢٥ د/٢٥٩ ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، برقم : ٨٤٥ ـ تاريخ ويبدو أن هذا ليس مؤلفا مستقلا ، ولكنه ملتقطات مما جمعـــه = = « المقريزى » من المصادر ، ليضمنه بعض مؤلفاته ٠

(١٧٩) طبع فى القاهرة (مكتبة الخانجى ، ١٩٤٦) بتحقيق د٠ جمال الدين الشيال ٠

(١٨٠) من ذلك قول المقريزى (نحل عبر النحل ص ٨) ، « ٠٠٠ وملوك النحل لا تلدغ ، لأن اليعسوب حليم جدا ، وان فى هذا القدر لعبرة ، لأن هذا لو كان فى واحد من عقلاء الانس ـ الذين فضلوا على جميع الحيوان ـ لكان ذلك عجيبا » ٠

وقوله (نفسه ص ٩ ـ ١٠) : « ٠٠٠ وكذلك ما ذكروا من طردها ذوات البطالة منها ، الكسالى ، المتكلة على كسب غيرها ، والمعولة على ذخائـر سواها ، ولو أننا استعملنا مثل هذا التدبير فى كسالانا لكان أحزم لنا وأنفع لهم » ٠

(١٨١) المقريزى ٠ نحل عبر النحل ص ١ ٠

وأما الخاتمة فقد أشار فيها الى انتهاء مادة الكتاب باكتماله قائلا :

« ... تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين »(١٨٢) .

وأما الفصول ـ وقد اتصلت بعلوم : الحيوان ، واللغة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والطب ، والبيطرة ، والنبات ، والاقتصاد ، والتاريخ ، والأدب ـ فيجمل « المقريزى » فيها الحديث عن « النحل » من الناحية الحيوانية ، ذاكرا أسماءه ، وألوانه ، وأحجامه ، وصفاته ، وخلاياه ، وآفاته ، وعلاجها ، وعسله ـ أنواعه وأصنافه ـ وجامعه (مشتاره) ، وآلاته التى يستعين بها فى جمعه، ومايرعاه النحل من أزهار وأنوار ، وما ينتجه من شمع ، مفصحا عن مركزه الاقتصادى فى مصر الاسلامية ، وما ورد فى النحل والعسل من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الحكماء والفقهاء والمفسرين ، وما اتصل بالشمع من الحوادث التاريخية ، سواء بالاستصباح (الاضاءة) به لدى الخلفاء والسلاطين والفقهاء(١٨٣) ، أو باستخدامه فى القصور(١٨٤) والمواكب السلطانية(١٨٥) وحفلات العرس والزواج(١٨٦) ، أو بالختم به على

---

(١٨٢) نفسه ص ١٠٤ .
(١٨٣) المصدر السابق ص ٧٩ ، ٨٣ .
(١٨٤) نفسه ص ٨٠ ـ ٨٢ .
(١٨٥) نفسه ص ٨٧ .
(١٨٦) نفسه ص ٨٠ ، ٨٧ ـ ٩٠ .

تركات الموتى من أولاد الخلفاء(١٨٧) · مختتما ذلك بما أنشىء فى « الشمع » من أشعار(١٨٨) ·

٤١ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم(١٨٩) ·

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول استئثار بنى أمية وبنى هاشم بالخلافة من دون « على بن أبى طالب » وبنيه ، أشار « المقريزى » من خلالها الى ما كان من منافرة ومنافسة بين بنى أمية وبنى هاشم فيما قبل الاسلام وبعده ، ومعاداة بنى أمية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعدم اخلاص زعاماتهم للاسلام ، مع تولية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخليفتيه من بعده لهم بعض الأعمال ، وما آل اليه الأمر بعد سقوط دولتهم من استئثار بنى العباس بالخلافة ـ كذلك ـ وتنكيلهم ببنى عمومتهم (العلويين) وعتوهم فى الأرض ، وخروجهم على تعاليم الاسلام ومبادئه ، معددا لمثالب الأمويين والعباسيين ، مختتما هذه الرسالة بالمقارنة بين المسلمين واليهود ، من حيث الانقسام الى شعوب وقبائل ، والاستخلاف بعد وفاة الرسول لدى كل ، وقد تقرر لديه أنه « اتفق فى الخلافة الاسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة »(١٩٠) ، مستلهما ذلك ـ فضلا عن الدراسة الظاهرية لبعض الحوادث التاريخية ـ من قوله عليه السلام ـ فيما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :

« لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى

---

(١٨٧) نفسه ص ٩١ ·
(١٨٨) نفسه ص ٩١ ـ ١٠٤ ·
(١٨٩) طبع عدة طبعات ، آخرها (ط · القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٨) بتحقيق د· حسين مؤنس ·
(١٩٠) المقريزى · النزاع والتخاصم ص ١١١ ·

لو دخلوا حجر ضب لاتبعتموهم · فقلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ! »(١٩١) ·

كما أشار « المقريزى » من خلال ترجمته لابن عرب شاه(١٩٢) الى أنه اختصر كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » ، وأشار من خلال مادة مؤلفه « الاشارة والايماء الى حل لغز الماء » الى أن له حواشى على الانجيل(١٩٣) ·

من هذا العرض الموجز لجهودات « المقريزى » فى الكتابة التاريخية ، نجد أن مؤرخنا قد ألح من خلالها على التوكيد على ثلاث صفات امتاز بها « وهى : « مصريته » و « عروبته » و « اسلامه » ·

أما مصريته ، فتبدو فى تحمسه للتاريخ لمصر فى أطوارها المختلفة ، فيما قبل الاسلام وبعده ، حيث أنشأ فيها مؤلفا مجملا لتاريخها وخططها وعمرانها – منذ القدم وحتى وقته – وهو « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، ثم عمد الى تفصيل أكثر ما أجمله فيه ، بالتاريخ لمصر الاسلامية ، منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، فى عدة مؤلفات متتابعة ، وهى : « عقد جواهر الأسفاط » و « اتعاظ الحنفاء » و « السلوك » و « المقفى » ·

وأما عروبته ، فقد كانت دافعا قويا لديه الى انشاء عدة مؤلفات ، منها : « الخبر عن البشر » ، و « البيان والاعراب » ، و « تراجم ملوك الغرب » ، و « الطرفة الغريبة » ·

---

(١٩١) نفسه ص ١١٧ ·
(١٩٢) المقريزى · درر العقود الفريدة ق ٨٧ ب ·
(١٩٣) المقريزى · الاشارة والايماء ق ٦ ب ·

واما اسلامه ، فيتبدى ـ فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة ، المبثوثة فى سائر مؤلفاته ـ فى « امتاع الأسماع » ، وقد جعله تاريخا مجملا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرته ، و « النزاع والتخاصم » ، وهو ـ بالدرجة الأولى ـ مبحث فى الخلافة ، و « التذكرة » ، و « منتخبها » ، و « الدرر المضية » ، و « الالمام »، وقد جعل من هذه المؤلفات تأريخا عاما للدولة الاسلامية فى مختلف أطوارها وأمصارها ٠

بل ان أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة ، المفردة بالتآليف فى موضوع بعينه ، تنزع الى أى من هذه الصفات الثلاث ٠

وفضلا عن ذلك ، فقد أوجد « المقريزى » مجالا للكتابة التأريخية فى موضوعات ما كان يظن بها أنها مما يصلح للتأريخ ، كالماء ، والنحل ، والأوزان والمكاييل ، والنقود ، والتوحيد ، والحج، والبناء (الزواج) ، والختان ، والختم بخير ، وثناء الذكر ٠٠ وما الى ذلك ، مما أنشأ مؤرخنا فيه العديد من المؤلفات التاريخية ، مبرزا من خلالها الكثير من المناحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، بما يشير الى أنه كان مؤرخا مبتكرا ، واسع الأفق ، غير تقليدى ، متعدد الاطلاعات ، متنوع المعارف ٠

ولعله يكون مفيدا فى سبيل الكشف عن « المنهج التأريخى » للمقريزى ، الاقتصار ـ هنا ـ على الدراسة المفصلة لثلاثة من مؤلفاته ، وهى : « الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام » ، و « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » ، و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ٠٠

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار

مؤلف فى تاريخ « مصر » وخططها ، انقسم الى مقدمة وسبعة أجزاء أو فصول :

أما **المقدمة** ، فقد أشار مؤرخنا فيها الى دافعه الى تأليفه ، ومحتواه ، ومنهجه فى تنظيم مادته ، بقوله :

« ٠٠٠ وكانت مصر هى مسقط راسى ، وملعب اترابى ، ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى ، وحامتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش مأربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت مذ شـــذوت العلم وآتانى ربى الفطانة والفهم أرغب فى معرفة اخبارها ، وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة ، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها

(١٩٤) اعتمدت هذه الدراسة على نشرة « محمد عبد الرحمن قطـــة العدوى » للكتاب ، والصادرة عن القاهرة ، مطبعة بولاق ، سنة (١٢٧٠هـ٠/١٨٥٣م٠) ، وتقع فى مجلدتين ، احتوينا على ١٠١٩ صفحة ، خلا الصفحات المعدة للفهارس والتصوبيات ٠

كتاب أو يحويها ، لعزتها وغرابتها أهاب ، الا أنها ليست بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة مانسج على منوال ، فأردت أن الخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد ، غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ، ولم يبق الا أن يمحو رسمها الفناء والعدم ، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة الأوضاع ، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأماثل ، والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الأعاظم والأفاضل ، وأنثر خلال ذلك نكتا لطيفة ، وحكما بديعة شريفة ، من غير اطالة ولا اكثار ، ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ، وطريق بين بين »(١٩٥) .

مع التعليل لتسميته للكتاب ، ولمنهجه فى تنظيم مادته ، بقوله :

« ... وأما عنوان هذا الكتاب ـ أعنى الذى وسمته به ـ فانى لما فحصت عن أخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة ، فلم يتهيأ لى اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين ، لعدم ضبط وقت كل حادثة ، لاسيما فى الأعصر الخالية ، ولا أن أضعها على أسماء الناس لعلل أخر تظهر عند تصفح هذا التأليف ، فلهذا فرقتها فى ذكر الخطط والآثار ، فاحتوى كل على مايلائمه ويشاكله ، وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر ، ولم أتحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطـريقة يسـتحسنها الأريب ولا يستهجنها الفطن الأديب ، كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما فى غيره من الفصول ، فلذلك سميته : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

---

(١٩٥) المقريزى . الخطط ج١ ص ٢ ـ ٣ .

والغرض من تاليفه ، بقوله :

« ... جمع ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها ، كى يلتئم من مجموعها معرفة جمل أخبار اقليم مصر ، وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان فى أرض مصر من الآثار الباقية والبائدة ، ويقص أحوال من ابتدأها ومن حلها ، وكيف كانت مصائر أمورهم ، وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع .. فتتهذب بتدبر ذلك نفسه ، وترتاض أخلاقه ، فيحب الخير ويفعله ، ويكره الشر ويتجنبه ، ويعـــرف فناء الدنيا ، فيحظى بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى » .

وبمعنى آخر ، فان الكتاب موظف لغرض « تعليمى - أخلاقى »

وبيان أجزاء الكتاب أو فصوله :

« ... وأما أجزاء هذا الكتاب ، فانها سبعة :

أولها يشتمل على جمل من أخبار أرض مصـــر ، وأحوال نيلها ، وخراجها ، وجبالها .

وثانيها يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها .

وثالثها يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها .

ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة ، وخلائقها ، وما كان لهم من الآثار .

وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال .

وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها .

وسابعها يشتمل على ذكر الأســـباب التى نشأ عنها خراب اقليم مصر(١٩٦) ٠

وقد تضمن كل جزء من هذه الأجزاء السبعة عدة أقسام » ٠

وتنوع مصادره :

« ٠٠٠ سـبــلكت فيه ثلاثة أنحاء ، وهى : النقل من الكتب المصنفة فى العلوم ، والرواية عمن أدركت من شيخة العلم وجلة الناس ، والمشاهدة لما عاينته ورأيته » ٠

مجملا التعريف بالمصادر ــ السابقة عليه ــ المؤلفة فى موضوع كتابه ، مغفلا الاشارة الى أقربها اليه زمنا وموضوعا ، وهو « خطط القاهرة » للأوحدى ، مما دفع « السخاوى » الى انهامه بالانتحال له ، قائلا فى ترجمته للأوحدى :

« ٠٠٠ وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة ، تعب فيها ، وأفاد وأجاد ، وبيض بعضها ، فبيضها التقى المقريزى ، ونسبها لنفسه مع زيادات »(١٩٧) ٠

وفى ترجمته لمؤرخنا :

« ٠٠٠ وصارت له فيه (فى التاريخ) جملة تصانيف ، كالخطط للقاهرة ، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدى ، فأخذها وزادها زوائد غير طائلة »(١٩٨) ٠

ويبدو أن ما أشار اليه « السخاوى » من انتحال « المقريزى »

---

(١٩٦) لا وجود لهذا الجزء فيما تحت أيدينا من مخـــط ٠ الكتـــاب ومطبوعاته ٠

(١٩٧) السخاوى ٠ الضوء اللامع ج١ ص ٣٥٨ ــ ٣٥٩ ٠

(١٩٨) السخاوى ٠ التبر المسبوك ص ٢٣ ٠

لخطط « الأوحدى » كان شائعا فى عصر مؤرخنا ، على النحو المدرك — كذلك — من قول « السخاوى » :

« ... وكذا جمع خططها المقريزى ، وهو مفيد . قال لنا شيخنا (ابن حجر) انه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ، بل كان بيض بعضه ، فأخذها وزاد عليه زيادات ، ونسبها لنفسه »(١٩٩) .

مما كان سببا فى تدارك « المقريزى » لذلك فى مؤلف آخر له ، هو « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » ، حيث صرح فيه بما أغفل التصريح به فى مقدمة « الخطط » ، مشيرا من خلال ترجمته للأوحدى الى مكانته فى علم التأريخ ، وانتفاعه به ، والظفر بمسودات خططه ، التى ضمنها كتابه ، على النحو الوارد فى قوله :

« ... وكان ضابطا ، متقنا ، مفيدا ، ذاكرا لكثير من القراءات وتوجهها وعللها ، حافظا للكثير من التاريخ ، لاسيما أخبار مصر ، فانه لايكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها ، ووقائع حروبها ، وخطط دورها ، وتراجم أعيانها الا اليسير ، مع معرفة النحو والعروض وقرض الشعر الحسن .

وكان — رحمه الله — كثير التعصب للدولة التركية ، محبـــا لطريق الله . علقت عنه جملة أخبار ، واستفدت منه كثيرا فى التاريخ، وأعاننى الله بمسودات من خطه فى خطط القاهرة ، ضمنتها كتابى الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار »(٢٠٠) .

---

(١٩٩) السخاوى . الاعلان بالتوبيخ ص ٦٤٧ .

(٢٠٠) المقريزى . درر العقود الفريدة ق ٤٦ ب .

ولا يخفى أن التضمين يعنى : الاحتواء أو الاشتمال على الشيء المتضمن(٢٠١) ، مما يبطل ما اجتهد أحد الباحثين المحدثين فى الصاقه بالسخاوى من التحامل ، والافتراء ، والحسد ، والتناقض ، والحيدة عن النزاهة والحق ، فى سبيل تأصيله للخطط ، والبعد بها عن النقل(٢٠٢) ويكشف بالتالى عن سطحيته فى البحث ، وتسرعه فى اثبات أحكامه ٠

وأما **الأجزاء أو الفصول** : فقد أشار المقريزى فى أولها الى انقسام « علم النجوم » الى هيئة ، وزيج أو تقويم ، وأحكام ، مقتصرا ـ هنا ـ على نبذة من علم الهيئة « تكون توطئة لما يأتى » ، معرفا من خلالها بصورة الأرض ، وموضع الأقاليم السبعة منها ، وقد تقرر لديه أن « فى كل اقليم من هذه الأقاليم السبعة أمم مختلفة الألسن والألوان ، وغير ذلك من الطبـــائع والأخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والأعمال والصنائع والعادات لا يشبه بعضهم بعضا ، وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات ، مختلفة فى الشكل والطعم واللون والريح ، بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها » ، وان « الربع المسكون من الأرض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار ، وهم : الصــــين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس » ٠ متطرقا الى جغرافية مصر ، معرفا بمحلها من الأرض ، وموضعها من الأقاليم السبعة

---

(٢٠١) راجع : الفيروزابادى ٠ القاموس المحيط ص ١٥٦٤ ، الفيومى ٠ المصباح المنير ص ١٣٨ ٠

(٢٠٢) محمد عبد الله عنان ٠ خطط المقريزى بين الأصالة والنقل ص ٣٩ ـ ٤٨ (ضمن كتاب ٠ دراسات عن المقريزى ٠ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب) ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ٠ القاهرة ، الخانجى ، ط٢ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٦ ـ ٦٣ ، مؤرخو مصر الاسلامية ومصـــادر التاريخ المصرى ٠ القاهرة ، اللجنة ، ط١ ، ١٩٦٩ ، ص ٩٧ ـ ١٠٤ ٠

(الثانى والثالث) ، وحدودها ، وجهاتها ، معرفا بالبحرين الأحمر (القلزم) والمتوسط (الرومى) ، متبعا ذلك بالتعليل لتسميتها بمصر ، ومعناها ، واشتقاقها ، وما عرف لها من الفضائل أو الميزات (كنحو ذكرها فى القرآن — الكريم — صراحة او ايماء ، وفى الحديث النبوى الشريف ، وأقوال مشهورى العلماء وأعيان السلف ، ومصاهرة بعض الأنبياء الى أهلها ، أو عبـــورهم لها ، أو اقامتهم فيها ، واختصاصها بالنيل ، واعتدال مناخها) ، مستطردا الى ذكر الشائع فى عصره من أسماء الفراعنة ، وما اقترن بهم من البرابى (المقابر) بما احتوت عليه من العجائب والطلاسمات (السحر) ، والمطالب (الدفائن والكنوز) ، وما أشيع من طمس (هلاك) أموالهم — لدعوة موسى عليه السلام عليه — وأخلاق أهل مصر ، وطبائعهم ، وأمزجتهم وقد تقرر لديه أن « منطقة الجوزاء تسامت رءوس أهل مصر ، فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها ، ويخبرون بما يكون ، وينذرون بالأمور المستقبلة » ، وان عاب عليهم ما نعتهم به من « قلة الغيرة » على نسائهم ، و « الاعراض عن النظر فى العواقب » ، « كأنما فرغوا من الحساب » .

ثم ينتقل الى التعريف بنيل مصر ، وأثره فى نظمها الاجتماعية والاقتصادية والزراعية ، مشيرا الى فضائله ، ومخرجه وانبعاثه ، معللا لفيضه ، معددا لمقاييسه وزياداته ، وقد نعت المقياس لديه بأنه « عمود رخام أبيض ، مثمن ، فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع ، ماعدا الاثنى عشر ذراعا الأولى ، فانها مفصلة على ثمان وعشرين أصبعا كل ذراع » ، منتهيا الى أن « أتم الزيادات كلها ، العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا ، وفى ذلك كفايتها ورى جميع أرضها » شافعا ذلك بما قيل فى النيل — شعرا ونثرا — من مدح وذم ، وما

احتوى عليه من العجائب (كفرس البحر ، والقنقور ، والتمساح ، والسمك البلطى واللبيس والرعاد) ، والخلجان التى تشـــق عند انتهاء زيادته (كخليج سخاوسردوس والاسكندرية والمنهى والفيوم والقاهرة والناصرى وبحر أبى المنجا) ، وانقسام أرض مصر - فى الزمن الأول - الى كور ، تهتم بحفر الترع وعمارة الجسور لضبط النيل ، وتصريفه فى أوقاته ، مقدرا لخراجها - آنذاك - وما عمله المصريون عند الفتح فى الخراج ، متطرقا الى الحديث عن انتقاض (ثورة) القبط على العرب ، ونزول العرب بريف مصر ، واتخاذهم الزرع معاشا لهم ، ومصاهرتهم القبط ، واختلاطهم بهم فى الأنساب، مما أدى الى انتشار اللغة العربية والاسلام فيما بينهم · منتهيا الى أن البلاد - آنذاك - كانت مضمونة بقبالات معروفة (ضـــمانات بخراج الأرض تجدد كل أربع سنوات) ، يقبضها متولى الخراج الذى كان محل جلوسه جامع عمرو فالجامع الطولونى فدار الوزير يعقوب بن كلس فالقصر بالقاهرة ، الى أن قسمت الى اقطاعات فى ظل الدولتين الأيوبية والمملوكية ، معرفا بالاقطاع ، والأصل فى نشأته ، مجملا الحديث عن الروك الناصرى ، وما أبطله « الناصر محمد بن قلاوون » من المظالم (المكوس والضرائب والضمانات) ، معرفا بالديوان - وقد استحدث فى الاسلام زمن عمر بن الخطاب ، وفى مصر فى ولاية عمرو بن العاص - مقتصرا على ديوان «العساكر والجيوش » - فى زمنه - وقد صنفت عســـاكره الى أجناد حلقة ومماليك سلطانية ، اختصت بالاقطاعات بدلا من العطاء ، مقسما أرض مصر الى سبعة أقسام ، وهى : ديوان السلطان ، والأمراء والأجناد ، والوقف ، والأحباس ، والمباع والمشترى ، والمرعى ، وغير العامر · معللا لاتضاع خراج مصر فى زمنه بقوله :

« ··· وسبب اتضاع خراج مصر بعدما بلغ مع الروم فى آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار ، أن الملوك

لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الأرض ، فانها تحتاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه » .

مصنفا الأرض من حيث الزراعة الى : باق ، وشـــراقى ، وبرابيب ، وسقماهية ، وشتونية ، وسلايح ، ووسخ ، وغالب ، وخرس ، وسباخ ، معرفا بكل صنف منها ، وبما يصلح للزراعة فيها على مدار السنة ، من الحبوب والغلات والخضـــروات والفاكهة والزهور والورود ، منبها الى أنه لا غنى للأرض المزرعة عن الجسور (سلطانية وبلدية) ، مقدرا مساحة الفدان ، مقسما مال مصر الى « خراجى وهلالى وجوالى (جزية) » ، منتهيا الى التعريف بدور الضرب (سك العملة) فى القاهرة والاسكندرية وقوص .

معقبا على كل هذا بوصف مســـهب للاهرامات وأبى الهول والجبال .

وفى **الجزء الثانى** : يتحدث عن مدائن مصـــر ـ قبليهـــا وبحريها ـ وقد تقرر لديه أنها « كثيرة ، منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ، ومنها ما عرف اسمه وبقى رسمه ، ومنها ما هو عامر »، معرفا بهذه الأصناف كلها، محددا ماكان منها دار ملك (حاضرة أو عاصمة) ، متتبعا لتاريخها وعمرانها فيما قبل الاسلام وبعده ، ناسبا اليها ماشهرت به من صناعة ، أو تعدين ، أو صيد ، أو زراعة، أو تجارة ، وماشاع عنها من العجائب (أو الخرافات ومستغربات الحدوث) .

وفى **الجزء الثالث** : يتحدث عن حواضر مصر (عواصمها) فيما بين الفتح العربى والغزو الفاطمى لها ، وهى : الفســـطاط والقطائع والعسكر ، معللا لتسمية كل منها ، معرفا بموضعها قبل البناء ، وما آلت اليه بعده ، وحدودها ، ومقدار عمارتها ، وهيئة

سورها وأبوابها ، وما شهرت به من آثار ، وماعرف من أسباب أو علل أدت الى خرابها .

وفي الجزء الرابع : يسهب الحديث عن القاهرة ــ رابع حواضر مصر الاسلامية ــ معرفا بموضعها قبل البناء ، وحدودها ، وما كانت عليه زمن « الفاطميين » ، وما طرأ عليها في عصره من التغاير ، والعلة في تسميتها ، ووصف أسوارها ، وأبوابها ، ومسالكها ، وشوارعها ، وحاراتها ، وأخطاطها ودورها وقصورها ، وأسواقها ، ومناظرها ومتنزهاتها ، وسجونها ، مستطردا الى التعريف بالدعوة الفاطمية ، وترتيبها ، ورسوم الخلفاء الفاطميين ونظمهم في الجلوس في قصورهم ، ومد أسمطتهم ، والاحتفال بأعيادهم ، ومواكبهم ، وعدة دواوينهم ، ورتب أمرائهم وقضاتهم وموظفيهم ، ورواتبهم ، وملابسهم ، وفرشهم ، وأمتعتهم ، وسلاحهم ، وقد تقرر لديه أن القاهرة لم تزل « دار خلافة » ، ومنزل ملك ، ومعقل قتال ، لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط » الى أن نقلها صلاح الدين الأيوبي « عما كانت عليه من الصيانة ، وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور ، وحط من مقدار قصور الخلافة ، وأسكن في بعضهــــا ، وتهدم البعض ، وأزيلت معالمه ، وتغيرت معاهده ، فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة » .

وفي الجزء الخامس : يتحدث عن القاهرة ومصر المعاصرتين ، محددا ما بهما من مشـــــهوري الحارات والأخطاط وظواهرهما ، والدروب ، والأزقة ، والخوخ ، والرحاب ، والميادين ، والأحكار ، والدور ، والقصور ، والحمامات ، والقياسر ، والخانات ، والفنادق ، والأسواق ، والمساجد ، والجوامع ، والمصليات ، والربط ، والزوايا ، والخوانق ، والكنائس ، والأديرة ، والمدارس ، والبيمارستانات ، والسجون ، والمشاهد والقبور ، والأحواض والآبار ، والسقايات ، والقنوات ، والجسور ، والجزائر ، والبرك ، والبساتين .

وفى الجزء السادس : وقد أتت مادته متوسطة لمادة القســـم الخامس ـ يصف قلعة الجبل ، بما اشـــتملت عليه من العمائر ، كالمســـاجد والجوامع ، والقصـــور ، والخزائن ، والاســـطبلات ، والحواصل ، والدواوين ، فضلا عن السور وأبوابه ، وما كان عليه موضع القلعة قبل البناء ، مشيرا الى ما ارتبط بها من الرسوم، معرفا بأرباب الوظائف فيها .

وهو لم يقتصر فى هذه الأجزاء الستة على الخطط ـ فقط ـ وانما وجد يؤرخ لمصر من خلالها ، معرفا بحكامها (من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء) ، وبأحوالها ، منذ الفتح العربى لها وحتى سلطنة « الأشرف برسباى »(٢٠٣) ، بحيث يمكن أن يجرد من هذا المؤلف تاريخ موجز ومتتابع لمصر فى الاسلام طيلة ثمانية قرون هجرية ، حصرت فيما بين سنتى ٢٠ و ٨٢٦ هـ فضلا عن الترجمة للشخصيات المتصلة بما تردد فى الكتاب من آثار أو عمائر ، مع ذكر الحوادث المرتبطة بها .

وهكذا ، فقد جمع الكتاب بين العديد من المباحث التاريخية ، والأثرية ، والجغـرافية ، واللغوية ، والفقهية ، والاقتصـــادية ، والاجتماعية ، مما جعله موســـوعة لتاريخ مصـــر (السـياسى والحضارى) ، وقد اتسعت رقعته المكانية لتشتمل على كافة أرجاء مصر ، ورقعته الزمانية لتشتمل على تاريخها ، فيما بين عصـــر الفراعنة وعصره .

---

(٢٠٣) وان أتت له اشارات الى حكامها منذ القدم ، فيما قبل الطوفان وبعده ، وحتى الفتح العربى لمصر ، متخللة الجزءين الأول والثانى بيد أنها مضطربة المادة ، لا صحة لأكثرها .

مصـــادر مادة الكتـــاب

اولا : انواع المصادر :

تنوعت مصادر « الخطط » ، وتعددت ، بحيث يمكن اجمالها فى الآتى :

(ا) المشـــاهدة والمشـــاركة :

ويمثلها قوله فى معرض الحديث عن « بركة قرموط » ، وقد شاركت فى اثباته عدة حواس ، منها : البصر ، والسمع ، والشم ، فضلا عن رهافة الحس ، وحسن الاستنباط :

« ... وادركنا بها ديارا جليلة ، تناهى أربابها فى احكام بنائها وتحسين سقوفها ، وبالغوا فى زخرفتها بالرخام والدهان ، وغرسوا بها الأشجار ، وأجروا اليها المياه من الآبار ، فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة ، وأكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم ، وهم فى الحقيقة المترفون أولوا النعمة ، فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن .

وانى لأذكرها وما مررت بها ــ قط ــ الا وتبين لى من كل دار هناك آثار النعم : اما روائح تقالى المطابخ ، أو عبير بخور العود والند ، أو نفحات الخمر ، أو صوت غناء ، أو دق هاون ، ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ، ورفاهة عيشهم ، وغضارة نعمهم » ·

وقوله فى معرض الحديث عن سور القاهرة :

« ··· وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعا ، وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط ، هدمها شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمائة ، فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه فى زماننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى ذراع » ·

وقوله فيما تعلق بقصر الزمرد :

« ··· وأدركنا لجر هذين العمودين أوقاتا فى أيام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ، ولهجوا بذكرهما زمنا ، وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا ، وعملوا نموذجات من ثياب الحــــرير وتطريز المناديل ، عرفت بجر العمود ·

وكانت الأنفس ــ حينئذ ــ منبسطة ، والقلوب خالية من الهموم ، وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم » ·

وقوله عن وكالة قوصون :

« ··· وقد أدركنا هذه الوكالة ، وان رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش ، لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع ، وازدحام الناس ، وشدة أصوات العتالين عند حمل البضــــائع ونقلها لمن يبتاعها » ·

وقوله فى « كوم الريش » :

« ... وأذا أدركت بها سوقا عامرة بالمعاش بأنواعها من المآكل ، ولا أعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المآكل ، وأدركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة ، وموقف مكارية ، ومنارة لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها ، لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهيج » .

وقوله فى « قرية الخندق » خارج باب الفتوح :

« ... وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة اليها ليتنزهوابها فى أيام النيل والربيع ، ويسكنها طائفة كبيرة ، وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار ، وبها سوق وجامع تقام به الجمعة ، وعليه قطعـــة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه » .

وقوله فى « بركة الحبش » :

« ... وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر ، وفيها أقول :

يابركة الحبش التى يومى بهـــــا
طـــول الزمان مبـــارك وســـعيد

حتى كأنك فى البسيطة جنـــة
وكأن دهـــرى كله بـــك عيـــد

يا حســن ما يبدو بك الـكتان فى
نـــــواره أو زره معقـــــود

والماء منك سيوفه مسلولة
والقرط فيك رواقه ممدود

وكأن أبراجها عليك عرائس
جليت وطيرك حولها غريد

ياليت شعرى هل زمانك عائد
فالشوق فيه مبدىء ومعيد »

وقوله فى « بركة بطن البقر » الواقعة فيما بين أرض الطبالة وأراضى اللوق :

« ... وأدركنا بهذه البركة مراحا عظيما للأغنام التى يعلفها التركمانى حب القطن وغيره من العلف ، فتبلغ الغاية فى السمن ، حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشىء ، وكان يقال : كبش بركاوى ، نسبة الى هذه البركة . وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة ، وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الألية ، وبلغنى عن كبش أنه وزن ما فى بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا ، وكانت ألايا تلك الكباش تبلغ الغاية فى الكبر » .

وقوله فى معرض الحديث عن « مسجد ابن البناء » ، وقد تعاون السمع والنظر لديه فى تصوير ما كان بجواره من الازدحام :

« ... واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب ، وهو أنى مررت من هناك يوما — أعوام بضع وثمانين وسبعمائة — والقاهرة — يومئذ — لا يمر الانسان بشارعها حتى يلقى عناء من شدة ازدحام الناس ، لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة ، فعندما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل يمشى أمامى وهو يقول لرفيقه : والله يا أخى ،

ما مررت بهذا المكان ـ قط ـ الا وانقطع نعلى · فوالله ، ما فرغ من كلامه حتى وطىء شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد ، فكان هذا من عجائب الأمور وغرائب الاتفاق » ·

وقوله ناعتا جانبا من مظاهر الاحتفاء بعيد الميلاد :

« ··· وادركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصـــر موسما جليلا ، يباع فيه من الشموع المزهرة ، بالأصباغ المليحة ، والتماثيل البديعة ، باطوال لا تنحصر ، فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشـــترى من ذلك لأولاده واهله ، وكانوا يسمونها الفوانيس ـ واحدها فانوس ـ ويعلقون منها فى الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحة ، ويتنافس الناس فى المغالاة فى اثمانها ، حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها الف درهم وخمسمائة درهم فضة ، عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب ·

واعرف السؤال فى الطرقات أيام هذا الموسم ، وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس ، فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله » ·

وهكذا فان هذا النوع من المصـــادر ـ وان وجد مثيله فى كتابات غير « المقريزى » من المؤرخين ـ يعد فريدا فى نوعه ، هاما فى موضعه ، وقد حذق مؤرخنا من خلاله تصوير الحياة فى مجتمعه بشتى جوانبها ، بحيث لم ترد الآثار أو الخطط من خلاله ـ وقد اندرس أكثرها ، وغاب أهلها ـ صامتة ، وانما وجدت نابضـــة بأهلها ، مختلطة بهم ، تشاهد من خلالها حركة المارة ، وموضع أقدام بعضهم فى ازدحامهم ، وتسمع فيها جلبة أصواتهم ، وأصوات ما

يلقى فى الأسواق أو يرفع من بضائع ، فضلا عن وزنها ، وما يصدر من أصـــوات عن الهاونات فى أيدى المحجوبات فى بيوتهن ، كما تشتم فيها الروائح ، وتميز أنواعها ، ناهيك عن نعت تلك الآثار وهاتيك الخطط عينها ٠

(ب) المشـــافهة :

ويمثلها قوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى المقرىء ، الأديب ، المؤرخ الضابط ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى ـ رحمه الله ـ قال : أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال : أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصـــائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر ـ قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى ـ رحمه الله ـ قال : أخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق ابراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد ابن فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ، المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة ، منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالأغانى فى شارع القاهرة » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ ولقد حدثنى غير واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى أنه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنتين وتسعين

وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين ، وقال لى ابنه محب الدين محمد : أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك ، فلما لم ينقطع المارة سألت : ما بال الناس مجتمعـــين للمرور من هاهنا ، فقيــل لى : هذا دأب البلد دائما » .

وقوله :

« ... أخبرنى شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة ، يعرف بمحمد المسعودى ، أنه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للنزهة ، وأنها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة » .

وقوله :

« ... وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهرزورى أنه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء ، وسبح فيه غير مرة ، وأرانى آثاره » .

وقوله :

« ... وأخبرنى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل ابن ابراهيم الحنفى ، وخال أبى ، تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء ، أنهما أدركا بكوم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائما ، وأنه كان من جملة من يسكن فيها ـ دائما ـ نحو الثمانمائة من الجند السلطانى » .

وقوله :

« ... وأخبرنى المشيخة أنه مازال الرسم الى قريب : أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبن ولا حمل حطب ، ولايستطيع أحد أن يسوق فرسا فيه ، فان ساق أحد أنكر عليه وخرق به » .

وقوله :

« ... ولقد أخبرنى الطواشى مقبل الشامى أنه سمع السلطان حسنا يقول : انصرف على القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة ، وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور .

قال : وسمعت السلطان يقول : لولا أن يقال : ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صـــرف عليه » .

وقوله :

« ... وقد أخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومى ، خال أبى ــ رحمه الله ــ قبل أن يختلط ، قال : أخبرنى مؤدبى الذى قرأت عليه القرآن ، أن هذا المكان كان كوما (رحبة أبى تراب) ، وأن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا ، فظهرت له شرافات ، فمازال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد ، فقال الناس : هذا أبو تراب من حينئذ .

ويؤيد ما قال انى أدركت هذا المسجد محفوفا بالكيمان من جهاته ، وهو نازل فى الأرض ، ينزل اليه بنحو عشر درج ، ، وما برح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة ، فنقلت الكيمان التراب التى كانت هناك حوله ، وعمر مكانها ما هنالك من دور ، وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، وزالت الرحبة ، والمسجد على حاله » .

وهكذا ، فقد أتت الرواية الشفوية فى بعض هذه الشـــواهد مسندة الى سلسلة من الرواة ، على غرار الرواية الحديثية ، كما أتت بعضها مسندة الى مجاهيل « غير واحد » . أو « المشيخة » ، أو

مسندة الى شخص بعينه من أساتذة ، أو أقارب ، أو أقران مؤرخنا ، وقد اعتنى فى الاسناد الى بعضهم : بتقدير العمر « الشيخ المعمر » ، أو توثيق المصدر « المؤرخ الضابط » ، « قبل أن يختلط » .

(جـ) الخطوط والآثار :

كنحو قوله فى باب زويلة ، أحد أبواب القاهرة :

« ... ومن تأمل الأسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه ، فانه يجد فيها اســم أمير الجيوش والخليفة المســتنصر وتاريخ بنائه » .

وقوله واصفا مسجد أبى تراب :

« ... وأنا قرأت على بابه ــ فى رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفى ــ عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب ، حيدرة بن المستنصر بالله ، أحد الخلفاء الفاطميين » .

وقوله واصفا المصحف المودع ــ آنذاك ــ فى جامع عمرو :

« ... وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان ــ رضى الله عنه ــ لأن نقله لم يصح ، ولم يثبت بحكاية رجل واحد .

ورأيت أنا هذا المصحف ، وعلى ظهره ما نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . هذا المصحف الجامع لكتاب الله ــ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ــ حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له ، المتقربين الى الله ــ جل ذكره ــ بقراءته والمتعلمين له ، ليكون محفوظا أبدا ما بقى ورقه ولم يذهب اســمه ، ابتغاء ثواب الله ــ عز وجل ــ ورجاء غفرانه ، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه ، أناله الله ذلك برأفته ، وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه .

وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف ، والمندرس يشبه أن يكون : وتبصر فى ورقه ، وقصد بإيداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ، ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين ، فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به ، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، سيد المرسلين ، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(د) الوثائق :

ويمثلها قوله فى المدرسة « السيوفية » :

« ... كتاب وقفها موجود ، قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف ، ونصه : الحمد لله وبه توفيقى ، وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسمائة » .

(هـ) المؤلفات السابقة :

تنوع هذا النوع من المصادر فى « الخطط » تنوعا ملحوظا ، بحيث اشتمل على كثير من فروع المعرفة وفنونها ، المتداولة فى عصر « المقريزى » ، كاللغة ، والأدب ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتصوف ، والعقائد ، والفلسفة ، والطب ، والصيدلة ، والنبات والفلاحة ، والجغرافيا والرحلات ، والتاريخ بشتى فنونه ، وكثرت .

أما المصادر اللغوية ، فيمثلها :

- كتاب ليس لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ ــ ٩٨٠ م) .
- الخصائص لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ ــ ١٠٠١ م) .

ـ الصحاح فى اللغة للجوهرى (٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٣ م) ·

ـ المحكم والمحيط الأعظم فى لغة العرب لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م) ·

بينما يمثل المصادر الأدبية :

ـ الحيوان ، ومدح مصر للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٩ م) ·

ـ الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ ـ ٨٩٨ م) ·

ـ الأغانى للأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م) ·

ـ الأمالى للقالى (ت ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م) ·

ـ تحفة الألباب لابن أبى الربيع التيمى (ت ٥٦٥ هـ ـ ١١٦٩ م) ·

ـ معالم الكتابة وفضائل الاصابة لابن شيث (ت ٦٢٥ هـ ـ ١٢٢٨ م) ·

ـ المحلى بالأشعار لابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥ هـ ـ ١٢٨٦ م) ·

ـ السوانح الأدبية فى المدائح القنبية لابن أبى البقاء العكبرى (ت ٧ هـ ـ ١٣ م) ·

ويمثل المصادر الحديثية :

ـ مسند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ ـ ٨٥٥ م) ·

ـ صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م) ·

ـ صحيح مسلم القشيرى (ت ٢٦١ هـ ـ ٨٧٥ م) ·

ـ سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ ـ ٨٨٧ م) ٠

ـ سنن أبى داود (ت ٢٧٥ هـ ـ ٨٨٩ م) ٠

ـ غريب الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م) ٠

ويمثل المصـــــادر التفسيرية :

ـ معـــــانى القرآن لأبى القاســـم الزجاجى (ت ٣٣٧ هـ ـ ٩٤٩ م) ٠

ـ الوسيط للواحدى (ت ٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٦ م) ٠

ـ معالم التنزيل للبغوى (ت ٥١٦ هـ ـ ١١٢٢ م) ٠

ـ الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ ـ ١١٤٤ م) ٠

ـ الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٦ هـ ـ ١١٥١ م) ٠

ـ مفاتيح الغيب للفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ ـ ١٢١٠ م) ٠

ويمثل المصـــــادر الفقهية :

ـ الرسالة لأبى يوسف (ت ١٨٢ هـ ـ ٧٩٨ م) ٠

ـ الأموال لابن سلام (ت ٢٢٤ هـ ـ ٨٣٨ م) ٠

ـ الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ ـ ٩٤٨ م) ٠

ـ الأحكام السلطانية للماوردى (ت ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) ٠

ـ التمهيد لابن عبد البر (ت ٤٦٣ ـ ١٠٧١ م) ٠

ـ المنهاج فى علم الخراج للقاضى السعيد (ت ؟؟)

٢٤١٠

ويمثل مصـــادر التصـــوف :

ـ الرسالة القشيرية للامام أبى القاسم القشيرى (ت ٤٦٥ هـ ـ ١٠٧٣ م) ٠

ـ عوارف المعارف للسهروردى (ت ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٤ م) ٠

ـ الملحمة للابن العربى (ت ٦٣٨ هـ ـ ١٢٤٠ م) ٠
وشـــرحها ٠

ـ هادى الراغبين فى زيارة قبور الصالحين لأبى محمد . عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن على بن محمد بن على بن طلحة٠

ويمثل المصـــادر العقـــائدية :

ـ المصاحف للسجستانى (ت ٣١٦ هـ ـ ٩٢٩ م) ٠

ـ السنكسار ٠

ـ شرح الانجيل ٠

ـ السند هند ، والهارزوان ، والأزدجهير ، فى عقائد الهنود ٠

ويمثل المصـــادر الفلســـفية :

ـ الآثار العلوية لأرسطوطاليس ٠

ـ أسرار تقدمة المعرفة ليعقوب بن اسحاق الكندى (ت ٣٨٧ هـ ـ ٨٦٧ م) ٠

ـ مفاتيح العلوم للخوارزمى (ت ٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧ م) ٠

ويمثل مصادر الطب والصيدلة :

ـ تدبير أبدان الأصحاء لابن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ ـ ٨٥٧ م)٠

ـ القانون فى الطب لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) ٠

ـ تقويم الصحة لابن بطلان (ت ٤٤٤ هـ ـ ١٠٥٢ م) ٠

ـ شرح كتاب الأربع (لبطليموس) لابن رضوان (ت ٤٥٣ هـ ـ ١٠٦١ م) ٠

ـ منهاج البيان فيما يستعمله الانسان لابن جزلة (ت ٤٩٣ هـ ـ ١١٠٠ م) ٠

ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م) ٠

ـ شرح القانون لابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ ـ ١٢٨٨ م) ٠

ويمثل مصادر النبات والفلاحة :

ـ النبات لأبى حنيفة الدينورى (٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م) ٠

ـ الفلاحة النبطية لابن وحشية (ت ٢٩٦ هـ ـ ٩٠٩ م) ٠

ويمثل مصادر الجغرافيا والرحلات :

ـ الأقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن لبطليموس ٠

ـ كتاب هروشيوس ، فى ترجمته العربية ٠

ـ المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ ـ ٩١٣ م) ٠

ـ صور الأقاليم لأبى زيد البلخى (ت ٣٢٢ هـ ـ ٩٣٤ م) ٠

ـ صورة الأرض لابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ ـ ٩٧٧ م) ٠

- رسم المعمور للخوارزمى (ت ٣٨٣ هـ ـ ٩٩٣ م) ٠

- معجم ما استعجم للبكرى (ت ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) ٠

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى (ت ٥٦٠ هـ ـ ١١٦٥ م) ٠

- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ ـ ١٢١٧ م) ٠

- المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) ٠

- عجائب البنيان لشافع بن على الكنانى (ت ٧٣٠ هـ ـ ١٣٣٠ م) ٠

ويمثل المصادر المتصلة بعلم الأنساب :

- التيجان فى معرفة ملوك الزمان لابن هشام (ت ٢١٣ هـ ـ ٨٢٨ م) ٠

- الاكليل للهمدانى (ت ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٦ م) ٠

ويمثل المصادر التاريخية :

- كتاب المبدأ لابن اسحاق (ت ١٥١ هـ ـ ٧٦٨ م) ٠

- الفتوح للواقدى (ت ٢٠٧ هـ ـ ٨٢٣ م) ٠

- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ ـ ٨٤٥ م) ٠

- المنمق لابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ ـ ٨٦٠ م) ٠

- فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ ـ ٨٧٠م)

- تاريخ المدينة لعمر بن شبه (ت ٢٦٢ هـ ـ ٨٧٦ م) ٠

- اخبار مكة للفاكهى (ت ٢٧٢ هـ - ٨٨٥ م) ·

- فتوح البلدان للبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) ·

- تاريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م) ·

- تاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) ·

- أخبار الزمان ، والتنبيه والاشراف ، ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) ·

- تاريخ الغرباء ، وتاريخ مصر لابن يونس (ت ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م) ·

- أخبار مسجد أهل الراية الأعظم ، والجند الغربى ، والموالى وأمراء مصر للكندى (ت ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م) ·

- أعيان الفرس لعلى بن حمزة الأصفهانى (ت ٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) ·

- التحف والهدايا للخالديين (ت ٤ هـ - ١٠ م) ·

- أخبار (سيرة) المادرائيين كتاب مصر ، وانمام أخبار أمراء مصر (للكندى) ، وسيرة المعز ، وسيرة الاخشيد ، والعيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج لابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) ·

- الديارات للشابشتى (ت ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) ·

- تاريخ أفريقيا والمغرب للرقيق القيروانى (كان حيا سنة ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) ·

- أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل لعبد الله بن أحمد ابن سليم الأسوانى (ق ٤ هـ - ١٠ م) ·

- سيرة أحمد بن طولون للبلوى (ق ٤ هـ - ١٠ م) ·

ـ فضائل مصر لابن الكندي (كان حيا في النصف الثاني من ق ٤ هـ ـ ١٠ م) ٠

ـ أخبار مصر للمسبحي (ت ٤٢٠ هـ ـ ١٠٢٩ م) ٠

ـ الفهرست للنديم (ت ٤٣٨ هـ ـ ١٠٤٧ م) ٠

ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني (ت ٤٤٠ هـ ـ ١٠٤٨ م) ٠

ـ المختار في ذكر الخطط والآثار للقضاعي (ت ٤٥٤ هـ ـ ١٠٦٢ م) ٠

ـ نقط العروس لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م)٠

ـ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م) ٠

ـ طبقات الأمم لابن صاعد (ت ٤٦٢ هـ ـ ١٠٧٠ م) ٠

ـ الذخائر والتحف للرشيد بن الزبير (ق ٥ هـ ـ ١١ م) ٠

ـ الرسالة المصرية لابن أبي الصلت (ت ٥٢٩ هـ ـ ١١٣٥ م)

ـ الاشارة الى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفي (ت ٥٤٢ هـ ـ ١١٤٧ م) ٠

ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ ـ ١١٧٦ م)٠

ـ معجم السفر للسلفي (ت ٥٧٦ هـ ١١٨٠ م)

ـ الروض الانف للسهيلي (ت ٥٨١ هـ ـ ١١٨٥ م) ٠

ـ أخبار مصر للمأمون البطائحي (ت ٥٨٨ هـ ١١٩٢ م) ٠

ـ الجوهر المكنون في معرفة القبائل والبطون ، والنقط على ما أشكل من الخطط للشريف الجواني (ت ٥٨٨ هـ ـ ١١٩٢ م) ٠

ـ تعليق المتجددات (مياومات) القاضى الفاضـــل (ت ٥٩٦ هـ ـ ١٢٠٠ م) .

ـ جواهر البحور وعجائب الدهور فى أخبار الديار المصرية لابن وصيف شاه (ت ٥٩٩ هـ ـ ١٢٠٣ م) .

ـ قوانين الدواوين لابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩ م) .

ـ نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين لابن الطوير (ت ٦١٧ هـ ـ ١٢٢٠ م) .

ـ الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة فى أرض مصر لعبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ ـ ١٣٢١ م) .

ـ معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب لابن أبى طى (ت ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣ م) .

ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ ـ ١٢٢٣ م) .

ـ حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة (كان حيا سنة ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٥ م) .

ـ تاريخ ذى الرياستين (النبراس) لابن دحية (ت ٦٣٣ هـ ـ ١٢٣٥ م) .

ـ المعجم المترجم للمنذرى (ت ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) .

ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ ـ ١٢٧٠ م) .

ـ تاريخ الجمال اليغمورى (ت ٦٧٣ هـ ـ ١٢٧٤ م) .

ـ أخبار مصر لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ ـ ١٢٧٨ م) .

ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ ـ ١٢٨٢ م) .

ـ المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥ هـ ـ ١٢٨٦ م) ٠

ـ الدر النظيم فى أوصاف القاضى عبد الرحيم ، والروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ ـ ١٢٩٣ م) ٠

ـ ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل (ت ٧٣٠ هـ ـ ١٣٢٩ م) ٠

ـ كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدوادارى (ق ٨ هـ ـ ١٤ م)

ـ حوادث الزمان للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٩ م)٠

ـ مجانى الهصر لأبى حيان (ت ٧٤٥ هـ ـ ١٣٤٤ م) ٠

ـ الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧ م) ٠

ـ نزهة الناظر فى سيرة الملك الظاهر لليوسفى (ت ٧٥٩ هـ ـ ١٣٥٨ م) ٠

ـ العبر فى أخبار من مضى وغبر للشمس ابن النقاش (ت ٧٦٣ هـ ـ ١٣٦١ م) ٠

ـ أعيان العصر وأعوان النصر للصلاح الصفدى (ت ٧٦٤ هـ ـ ١٣٦٣ م) ٠

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م) ٠

ـ خطط الأوحدى (ت ٨١١ هـ ـ ١٤٠٨ م)

ـ أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن أبى طلحة الموفق ابن المتوكل لأبى الحسين عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى طاهر (ت ؟؟)

ـ تاريخ يوسف بن كريون (ت ؟؟)

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « المقريزى » فى الاسناد الى المصادر ، لتتمثل فى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف وعنوان الكتاب :

ويمثله قوله :

« ... وقال الجاحظ فى كتاب مدح مصر : ... »

وقوله :

« ... وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر المكنون فى معرفة القبائل والبطون : ... »

(ب) الاسناد الى المصدر ، مصـــرحا باسم المؤلف ، مع اغفال التصريح بعنوان كتابه :

كنحو قوله :

« ... وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن شريط ، قال : ... »

وقوله :

« ... قال ابن الطوير : ... »

وقوله :

« ... قال المسعودى : ... »

(جـ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا بعنوان الكتاب ، مع اغفال التصريح باسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ... قال في تاريخ مدينة رومة : ... »

وقوله :

« ... وقد حكى صاحب كتاب محاســن الأبرار ومجالس الأخيار : ... »

وقوله :

« ذكر فى كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجريات : ... »

(د) الاســـناد الى مبهم :

كنحو قوله :

« ... وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى : ... »

وقوله :

« ... حكى القبط فى كتبهم أن : ... »

وقوله :

« ... وذكر بعض المؤرخين أن : ... »

وقوله :

« ... وقد اختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله سميت هذه الأرض بمصر ، فقال قوم : ... ، وقيل : ... ، وقيل : ... ، وقال آخرون : .... » .

(هـ) اهمال الاســناد الى المصــدر :

ومع ذلك ، فقد أهمل « المقريزى » فى مواضـــع كثيرة من « الخطط » التصريح بمصـــادره فيها ، ومن ذلك قوله فى معرض الحديث عن القطائع :

« ... وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعا قاسم ،

وكان مولده في سنة عشــرين ومائتين ، وولدت ـ أيضا ـ أخاه موسى وحبسية وسمانة ٠

وكان طولون من الطغرغر ، مما حمله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك في كل سنة ، وذلك في سنة مائتين ٠

فنشأ أحمد بن طولون نشأ جميلا ، غير نشيء أولاد العجم ، فوصف بعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه أهل طبقته ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس مرات ، ولقى المحدثين ، وسمع منهم ، وكتب العلم ، وصحب الزهاد وأهل الورع ، فتأدب بآدابهم ٠

وظهر فضله ، فاشتهر عند الأولياء ، وتميز على الأتراك ، وصار في عداد من يوثق به ، ويؤتمن على الأموال والأســرار ، فزوجه ياجور ابنته ، وهى أم ابنه العباس وابنته فاطمة ٠

ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقة على الثغر ، فأجابه ، وخرج الى طرسوس ، فأقام بها ٠ وشق على أمه مفارقته ، فكاتبته بما أقلقه ٠

فلما قفل الناس الى سر من رأى ، سار معهم الى لقاء أمه ، وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل ، والخليفة اذ ذاك المستعين بالله أحمد ابن المعتصم ، وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة ، فلما عاد بها ـ وهى وقر بغل ـ الى طرسوس ، خرج مع القافلة ٠

وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين ، فطرق الأعراب بعض سوادهم ، وجاء الصـــائح ، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم

وتبعوه ، فوضع السيف فى الأعراب ، ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفروا منه .

وكان من جملة ما استنقذ من الأعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة ، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم ، وكبر فى أعين القافلة .

فلما وصلوا الى العراق ، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به ، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البغل بما عليه ، وما كان من صنع أحمد بن طولون ، فأمر له بألف دينار ، وسلم عليه مع الخادم ، وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ، ففعل ذلك .

وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ، ووهبه جارية اسمها مياس ، استولدها ابنه خمارويه فى النصف من المحرم سنة خمسين ومائة » .

وهذا النقل ــ على طوله ــ قد أخذه « المقريزى » عن « سيرة أحمد بن طولون » للبلوى ، دون عزو اليه ، وهو فيها على النحو التالى :

« ... وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة ، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم ، ولدت أحمد فى سنة عشرين ومائتين ، وولدت بعده أخاه موسى وحبسية وسمانة . وكان طولون من طغرغر ، حمله نوح بن أسد عامل بخارى وخراسان الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة ، وذلك فى سنة مائتين .

... فنشأ أحمد بن طولون نشوءا جميلا غير نشوء أولاد العجم، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تسف اليه طبقته ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس مرات ،

ولقى شيوخ المحدثين وسمع منهم ، وكتب العلم · وحصل له من ذلك قطعة كبيرة ·

والف بطرسوس جماعة من الزهاد ، وأهل الدين والورع ، فأدبوه بآدابهم ، فحسنت طريقته ، وظهر فضله ، فتمكن له فى قلوب الأولياء ما ارتفع به على طبقته ، وبان فضله على وجوه الأتراك ، وصار محله عندهم محل من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج، ومثل هذا عند العجم محله عظيم فى نفوسهم ، لو تصنع به متصنع، فكيف من مبتدىء غير متصنع ! فخطب الى يارجوخ ابنته فزوجه ، وكانت أم ابنه العباس وابنته فاطمة ·

فلما كان فى نفسه من محبة الخير ورغبته فيه ـ سأل الوزير أن يكتب برزقة الى الثغر ، وعرفه رغبته فى المقام به فأجابه الوزير عبيد الله بن يحيى الى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطرسوس مدة ، وشق على أمه مفارقته لها ، فكاتبته بما أقلقه ، فلما قفل الناس الى سر من رأى قفل معهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحوا من خمسمائة رجل ، والخليفة ـ يومئذ ـ المستعين بالله ·

وكان قد اتفق أن المستعين بالله استحسن شيئا يعمل ببلاد الروم ، من بزيون وكراسى حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجرى فيها الذهب ، وأشياء يضن بها الملك أن تخرج الى أرض العرب ، فانفذ خادما من خدمه يتكلم بالرومية الى ملك الروم ، برسالة جعلها سببا لما يريده ، وأمر الخادم أن يتلطف فى ابتياع ماتهيأ له مما قدمنا ذكره وقدر عليه ، وخرج الخادم ووصل الى ملك الروم وأدى الرسالة ، وأنزل فى دار فرشت له ، وبلغ فى اكرامه كل مبلغ ، وجعل يلتمس شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشترى ما حصل له منه وقر بغل ، لم يمكنه أكثر منه ·

فأجاب ملك الروم المستعين عن رسالته ، وحمل اليه هدايا حسانا ، وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير المؤمنين فى حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل طرسوس ، وخرج مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت الأعراب شيئا من سوادهم فى بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت الصيحة ، وجاء النذير الى الطائفة التى فيها أحمد بن طولون ، فكان أول من انتدب ، وحض على القتال ، والذهاب خلف الأعراب الى حيث قصدوا ، وسار يريدهم ، فلما رآه الباقون اتبعوه ، فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه عليهم ، وحذفهم بالنشاب ، وكان حسن الرمى لا يخطى شيئا ، فخلى الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم .

وكان فيما أخذه الأعراب البغل المحمل ذلك المتاع الذى لم يوصل أليه الا بالحيلة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ... وعظم أحمد بن طولون فى عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر فى قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا الى العراق احضر الخادم ذلك المتاع الى المستعين ، فاستحسنه وسر به كل سرور ، فذكر له الخادم ما عاناه فى أمره قبل الوصول اليه ، وقال له : وأعظم ماجرى يامولاى انه لما حصل وسلم الى طرسوس وقفلت مع الناس ، خرج علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله — جل اسمه — من على بغلام من غلمان مولاى أمير المؤمنين يعرب بأحمد بن طولون ، فانه أول من انتدب وخرج اليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسى أسفا على فواته .

فازداد به المستعين سرورا ، وأمر فى الوقت لأحمد بن طولون بألف دينار ، وقال للخادم : امض أنت بها اليه سرا ، واقرئه منى

السلام ، وقل له عنى : لولا خوفى من أن يعلم محله من قلبى فيحسد ويقتل لبلغته أفضل مراتب أمثاله ، واذا هو دخل الى فى المسلمين أرنيه . فأوصل اليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله ـ عز وجل ـ على ذلك .

فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم المستعين عليه حتى رآه ، فاشار اليه المستعين بالسلام ، ولم يزل يفعل ذلك كلما دخل اليه فى المسلمين ، ويوجه اليه بالصلة الوافرة فى كل وقت ، دفعة بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، ووهب له جارية اسمها مياس . فولدت له ابا الجيش فى النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين » .

وهكذا ، فان « المقريزى » قد نقل عن « البلوى » فى هذا الموضع نقلا متتابعا دون عزو اليه ، مع ما تخلل منقوله عنه من الحذوف مما يجعل مصدره ـ فيما نقل عنه ـ مصدرا رئيسا لا غنى عنه .

ثالثا : طرق النقل :

راوح « المقريزى » فى الخطط بين النقل الحرفى عن مصادره والنقل عنها متصرفا فى النسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لمنقوله عنها .

أما النقل الحرفى : فيمثله قوله معرفا بجهاركس الصلاحى :

« ... بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر فى شىء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها واحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا . وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك . رحمه الله » .

وهو قول مطابقى وقول ابن خلكان :

« ... بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر فى شىء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمها واحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا . وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى » .

وقوله فى الاسكندرية :

« ... وقال ابن خرداذبة : روى أن الاسكندرية بنيت فى ثلاثمائة سنة ، وان أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج فى البحر ، وأنه كان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولا لأهلها » .

ويقابله لدى « ابن خرداذبة » قوله :

« ... والاسكندرية ، يقال : انها بنيت فى ثلاثمائة سنة ، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج فى البحر ، وكان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولا لأهلها » .

وأما التصرف فى النسقين الترتيبى والتعبيرى للمنقول ، أو فى أحدهما ، فيمثله قوله :

« قال ياقوت فى باب حلب : الأول – حلب المدينة المشهورة بالشام ، وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم اليوم . الثانى – حلب الساجور من نواحى حلب أيضا . الثالث – كفر حلب ، من

قراها أيضا . الرابع ـ محلة بظاهر القاهرة ، بالشارع من جهة الفسطاط ، والله تعالى أعلم » .

ويقابله لدى ياقوت قوله :

« باب حلب : أربعة مواضع ، بفتح الحاء واللام والباء موحدة :

الأول ـ حلب المدينة المشهورة . وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم بالشام ، مصر عظيم خرج منها من لا يحصى كثرة من أهل العلم فى كل فن .

الثانى ـ كفر حلب من قراها .

الثالث ـ حلب ، محلة كبيرة بالشارع فى ظاهر القاهرة من جهة الفسطاط .

الرابع ـ حلب الساجور ، من نواحى حلب ـ أيضا ـ لها ذكر فى الفتوح » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقريزى » قد تصرف فى منقوله عن مصدره ، معدلا النسق الترتيبى المصاحب له ، بتقديم « حلب الساجور » على « كفر حلب » ، و « محلة حلب » ، كما عمد الى تعديل التعبير ـ كذلك ـ سواء بحذف بعض الكلمات ، أو بابدالها بألفاظ متقاربة المعنى .

ومن أمثلة ذلك قوله :

« ... وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج : انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء ، من عين تجرى منها عشرة أنهار ، كل خمسة منها تصب الى بطيحة ، ثم يخرج من كل بطيحة نهران ، وتجرى الأنهار الأربعة الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الأول ، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل » .

ويقابله في مصدره قوله :

« أول العيون عين تخرج من جبل القمر حذاء خط الاستواء ، ثم يتشعب منها عشرة أنهار ، وتصب كل خمسة منها في بطيحة من بطيحتين من الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء ، ثم يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار ، تجتمع الى البطيحة في الاقليم الأول عند بعد جزء من خط الاستواء ، ثم يخرج من هذه البطيحة نهر ــ هو نيل مصر ــ حتى يمر بمدينة النوبة ، ويقطع الأقليم الأول حتى يتجاوزه على سمته بمقدار جزء ونصف من الاقليم الثاني .. » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقريزى » لم يلتزم بالنسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لمنقوله عن مصدره ، كما أنه لم يكن دقيقا في النقل ، حيث أشار الى أن كل بطيحة يخرج منها « نهران » بينما أشار مصدره الى أنه « يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار » .

ويمثل ذلك ــ أيضا ــ قوله :

« وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى : وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف ، وهى في غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط .

فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها ، فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون في أيام عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا » .

ويقابله لدى مصدره قوله :

« ... والملك بمصر من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى في غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . ولما بنى

الاسكندر مدينة الاسكندرية منذ نحو ألف سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رغب الناس فى عمارتها ، وكانت دار علم ، ومقر الحكمة ، الى أن تغلب عليها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانسرب أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا » ٠

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقريزى » قد حافظ على النسق الترتيبى المصاحب لمنقوله عن مصدره ، بينما تصرف فى نسقه التعبيرى سواء بالاسقاطات ، أو بالابدال فى بعض ألفاظه بألفاظ متقاربة فى المعنى ٠

النقد التاريخي في الخطط

المطلع على ما دونه « المقريزى » فى الخطط يعجب لكثرة ما تردد فيها من الخرافات (أو مســــتغربات الحدوث) المثبتة لديه عن مصادره ، خاصة « ابن وصيف شاه » وقد وثق فيه ، على النحو الوارد فى قوله :

« ... فان ابن وصيف شاه أعرف بأخبار أهل مصر » .

ولعل هذا العجب ليس منصرفا الى اثباته هذه الخرافات عن مصادره ، انصرافه الى ما جبل عليه مؤرخنا من التصديق لأكثرها ، بل والتدليل على صحتها ، وان كان فيها ما يمجه العقل ، ويأباه الذوق ، ومن ذلك قوله مدللا على صحة ما تردد فى مصدره من جلب سبعة من العواميد ، منها عمود الســـوارى ـ من الصـــعيد الى الاسكندرية ـ حملا تحت الآباط ، قائلا :

« ... ويقال : ان عمود السوارى الموجود ـ الآن ـ خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة ، أتى بأحدها البتون بن مرة العادى ، وهو يحمـله تحت ابطه من جبل بريم الأحمـــر ـ قبلى أسوان ـ الى الاسكندرية ، فانكسر ضلعه لأنه كان ضعيف القوى

فى قومه ، فشق ذلك على يعمر بن شداد ابن عاد ، وقال : ليتنى فديته بنصف ملكى ، وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الثمودى ، وكان قويا ، فحمله من أسوان تحت ابطه ، وجاء بقية رجالهم ، كل رجل بعمود ، فأقام العمد السبعة الجارود بن قطن المؤتفكى ، وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هى عادتهم في عامة أعمالهم .

... وكأنى بمن قل علمه ينكر علي ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل المحال ، ومما وضعه القصاص ، ويجزم بكذبه ، فلا يوحشنك حكايتى له ، واسمع قول الله — تعالي — عن عاد قوم هود : « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعدم قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة » (٦٩ : الأعراف) ، أى طولا وعظم جسم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا ، وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم ، وقيل : على خلق قوم نوح .

وقال وهب بن منبه : كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة ، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع ، وكذلك مناخرهم .

وروى شهر بن حوشب عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال : « ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يطيقوه ، وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الأرض فيدخل فيها .

وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابن بجرة ، قال : استظل سبعون رجلا من قوم موسى — عليه السلام — فى قحف رجل من العماليق .

وعن زيد بن أسلم : بلغنى أن الضبعة وأولادها ربين فى حجاج عين رجل من العماليق .

وقال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » (٦ ـ ٨ : الفجر) ٠

قال المبرد : وقولها ـ يعنى الخنساء : رفيع العماد ، انما تريد الطول ٠ يقال : رجل معمد ، يريد طويلا ، ومنه قوله تعالى : « ارم ذات العماد » ، أى الطول ٠

وقال البغوى : سموا ذات العماد ، لأنهم كانوا أهل عمد سيارة ، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ، ورواية عطاء عن ابن عباس ٠ وقال بعضهم : سموا ذات العماد لطول قاماتهم ٠ قال ابن عباس : يعنى طولهم مثل العماد : قال مقاتل : كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا ٠

وفى كشاف الزمخشرى : لم يخلق مثلها : مثل عاد ، فى البلاد عظم أجرام وقوة ، كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم ٠

وقد ذكر غير واحد أنه وجد فى خلافة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر ابن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا فى عرض ثلاثة أشبار ٠

واعلم أن أعين بنى آدم ضيقة ، وقد نشأت نفوسهم فى محل صغير ، فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم أصل يقيسونه عليه الا بما يشاهدونه أو يألفونه عجلوا الى الارتياب فيه ، وسارعوا الى الشك فى الخبر عنه ، الا من كان معه علم وفهم ، فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو رده ٠ وكيف يرد مثل هذه الأخبار وفى الصحيح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فى السماء ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » ٠

وهكذا ، فان مؤرخنا قد ألح على توكيد هذا الخبر بما فيه من الخرافة ـ المدرك نكارتها لدى مطالعتها ـ موهما صحته ، استنادا الى أقوال علماء التفسير والحديث واللغة والمؤرخين فى « عاد ، قوم هود » معتقدا أن العلم والفهم ينفيان الارتياب فيه ، بل فيهما الدليل على تصديقه ، وان لم تنطبق تلك الشواهد على طولها وتعددها على الواقعة المراد التدليل على صحتها ، فعمود السوارى لم يكن من فعل « عاد ، قوم هود » ، وشواهد القرآن ـ الكريم ـ وصحيح الحديث ، وما عثر عليه من الجثث المحنطة ـ وهى سابقة لزمانهم ـ ليس فيها ما ينبىء بهذا الافراط الجسدى ، فضلا عن حمل الأعمدة تحت آباط الرجال ·

فاذا ما تجاوزنا هذه المواضع بشواهدها ، وجدنا أن «المقريزى» مؤرخ على درجة كبيرة من الحس التأريخى ، والادراك الواعى لما يثبته عن مصادره ، وأن جوانب النقد لديه فى « الخطط » خصبة ومتعددة ، بحيث يمكن تصنيفها الى الموضوعات الآتية :

(أ) مناقشة مصادره المكتوبة تصويبا لأخطائها :

على الرغم من أن « المقريزى » اعتمد كثيرا من المصادر فى بناء مادة كتابه ، فانه كانت له نظرة فى تلك الأخبار المنقولة عنها ، عامل بها هذه الأخبار على أنها جزئيات تخضع للنقد ـ اقرارا أو تفنيدا ـ ولذا لم يتحرج من مناقشتها ، وكشف أوهامها ، على النحو المدرك من قوله معرفا بقرية الخندق :

« ··· وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى فى كتاب الأغانى الكبير : عن الرياشى انه قال عن سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام : ان أبا عذرتها عبد الله بن الحسن

ابن على ، ثم خلفه عليها العثمانى ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت اليه سكينة : ان مصر أرض وخمة ، فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الأصبغ ، وبلغ عبد الملك تزوجه اياها ، فنفس بها عليه ، وكتب اليه : اختر مصر أو سكينة ، فبعث اليه بطلاقها ، ولم يدخل بها ، ومتعها بعشرين الف دينار .

قلت : في هذا الخبر أوهام :

منها أن الأصبغ لم يل مصر ، وانما كان مع أبيه عبد العزيز ابن مروان .

ومنها أن الذى بناه الأصبغ لسكينة منية الأصبغ هذه ، وليست مدينة .

ومنها أن الأصبغ لم يطلق سكينة ، وانما مات عنها قبل أن يدخل بها » .

وقوله :

« ... وقال ابن عبد الظاهر : الخندق هو منية الأصبغ ، وهو الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال مؤلفه رحمه الله : وقد وهم ابن عبد الظاهر ، فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله ، وانما احتفره جوهر كما تقدم » .

وقوله فى معرض الحديث عن الحارة المحمودية :

« ... واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر ، فلم يعرف نسبتها لمن ، وقال : لا أعلم فى الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود ابن أخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقرافة ، اللهم الا أن يكون محمود بن مصال الملكى الوزير ،

فقد ذكر ابن القفطى أن اسمه محمود ، ومحمود صاحب المسجد بالقرافة ، وكان فى زمن السرى بن الحكم قبل ذلك ٠

وهذا وهم آخر ، كان ابن مصال الوزير اسمه سليمان ، وينعت بنجم الدين » ٠

وقوله فى الحارة اليانسية :

« ٠٠٠ قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة ، أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله ، الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ، ويعرف بيانس الفاصد ، وكان أرمنى الجنس ، وسمى الفاصد ، لأنه فصد الأمير حسن بن الحافظ ، وتركه محلولا فصاده حتى مات ٠ وله خبر غريب فى وفاته ٠

كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا ، فقال لطبيبه : اكفنى أمره بمأكل أو مشرب ، فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين ، وربما قتله بها ، والحافظ يحثه على ذلك ٠

فاتفق ليانس الوزير المذكور أن مرض بزحير ، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك ، فقال : يامولاى ، قد أمكنتك الفرصة ، وبلغت مقصودك ، ولو أن مولانا عاده فى هذه المرضة اكتسب حسن أحدوثة ، وهذه المرضة ليس دواؤه منها الا الدعة والسكون ، ولاشىء أضر عليه من الانزعاج والحركة ، فبمجرد ما سمع بقصد مولانا له يتحرك ، واهتم بلقاء مولانا وانزعج ، وفى ذلك تلاف نفسه ٠ ففعل الخليفة ذلك ، وأطال الجلوس عنده ، فمات ٠

وهذا الخبر فيه أوهام ، منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير ، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة ٠

ومنها أنه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصاده ، وليس كذلك ، وانما مات مسموما ٠

ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصده ، وليس كذلك ، بل الذى تولى قتله بالسم أبو سعيد ابن فرقة ٠

ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الأمراء فخانه فى ابنه حسن ، انما هو الأمير المعظم جلال الدين محمد ، المعروف بجلب راغب ٠

وهذا نص الخبر ، فتنزه بالك ، والله تعالى أعلم » ٠

وقوله فى معرض الحديث عن حارة الحسينية :

« ٠٠٠ وقال (ابن عبد الظاهر) فى موضع آخر : الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين ، كانوا فى الأيام الكاملية ، قدموا من الحجاز ، فنزلوا خارج باب النصر بهذه الأمكنة واستطونوها ، وبنوا مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى ، فسميت بالحسينية ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك ، وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة ٠

وهذا وهم ، فانه تقدم أن من جملة الطوائف فى الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية ، وتقدم ـ فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا ـ أن الحسينية كانت عدة حارات ، والأيام الكاملية انما كانت بعد الستمائة ، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتى سنة ، فتدبر » ٠

وقوله فى معرض الحديث عن المدرسة السيوفية .

« ٠٠٠ وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، فانه قال فى كتابه الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة : مدرسة

السيوفية ، وهى للحنفية ، وقفها عز الدين فرخشاه قريب صلاح الدين .

وما أدرى كيف وقع له هذا الوهم ؟ فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف ... » .

وقوله معرفا بالفسطاط :

« ... وقال ابن سعيد فى كتابه المغرب : وأما فسطاط مصر ، فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو بن العاص ، وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه .

وهذا وهم من ابن سعيد ، فان فسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع ، هكذا هو بخط الشريف محمد ابن أسعد الجوانى النسابة ، وهو أقعد بخطط مصر ، وأعرف من ابن سعيد » .

وقوله معرفا بجامع راشدة :

« ... وقال ابن المتوج : هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط ، وهو مشهور ــ الآن ــ بجامع راشدة ، وليس بصحيح ، وانما جامع راشدة كان جامعا قديم البناء بجوار هذا الجامع ، عمر فى زمن الفتح ، عمرته راشدة ، وهى قبيلة من القبائل ، كقبيلة تجيب ومهرة ، نزلت فى هذا المكان ، وعمروا فيه جامعا كبيرا أدركت أنا بعضه ومحرابه .. فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة . وأما هذا الموجود ــ الآن ــ فمن عمارة الحاكم .

... قال مؤلفه : هذا وهم من ابن المتوج فى موضعين :

أولهما أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر ، وهذا

قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر ، فهذا الكندى ، ثم القضاعى — وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر — ومن قبلهما ابن عبد الحكم، لم يقل أحد منهم أن راشدة عمرت زمن الفتح مسجداً ، ولا يعرف من هذا السلف — رحمهم الله — فى جند من أجناد الأمصار التى فتحها الصحابة — رضى الله عنهم — أنهم أقاموا خطبتين فى مسجد واحد •

وقدحكينا ما تقدم عن المسبحي — وهو مشاهد — ما نقله من بناء الجامع المذكور فى موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله ، وتغييره لبنائه غير مرة ، وتبعه القضاعى على ذلك • وقد عد القضاعي والكندى في كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة ، وذكرا مساجد راشدة ، ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة ، وذكرا هذا الدير ، وعين القضاعى اسمه ، وهدم وبني فى مكانه جامع راشدة ، وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها •

والوهم الثانى الاســـتدلال على الوهم الأول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ، ولا أدرى كيف يستدل بذلك ؟ فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد ؟! بل المدعى أنه كان لراشدة مساجد ، لكن كونها اختطت جامعا هذا غير صحيح •

وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة فى كتابه تاريخ حلب :

كانت النصارى اليعقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر ، فى الموضع المعروف براشدة ، فثار قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى ، وأنهى الى الحاكم ذلك، وقيل له : ان النصارى ابتدأوا بناءها ، وقال النصارى : انها كانت قبل الاسلام • فأمر الحاكم حسين بن جوهر بالنظر فى حال الفريقين،

فمال فى الحكم مع النصارى ، وتبين للحاكم ذلك ، فأمر أن تبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعا ، فبنى فى أسرع وقت ، وهو جامع راشدة ، وراشدة اسم لكنيسة ·

··· وهذا ـ أيضا ـ مصرح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم ، وفيه وهم ، لكونه جعل راشدة اسما للكنيسة ، وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك ، فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة » [١]

(ب) التثبت من صحة ما أمدته به الرواية الشفهية من أخبار :

ويمثله قوله فى معرض الحديث عن دمياط :

« ··· وقد أخبرنى الأمير الوزير المشير الأستادار يلبغا السالمى ـ رحمه الله ـ أنه لم ير فى البلاد التى سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه ، فظننت أنه يغلو فى مدحها الى أن شاهدتها ، فاذا هى أحسن بلد والنزهة ، وفيها أقول :

سـقى عهد دمياط وحيـاه من عهد
فقد زادنى ذكراه وجـدا على وجد

ولازالت الأنواء تسـقى سـحابها
ديارا حكت من حسـنها جنة الخلد

(الطـويل)

وقوله فى معرض الحديث عن خط بين القصرين :

« ··· وقع فى سنة ست وثمانين (وسبعمائة) شىء لايكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان ، وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل ، فبلغنى عن

غلامه أنه خرج فى ليلة من ليالى رمضان ـ وكان رمضان اذ ذاك فى فصل الصيف ـ ومعه رفيق له من غلمان الخيل ، وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء، وبضعا وثلاثين شقفة جبن ، والشقفة أبدا من نصف رطل الى رطل ، فما منا الا من تعجب من ذلك ، وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا ، وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين ، الى أن قدر الله ـ تعالى ـ لى بعد ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين ، وسألته عن ذلك فاعترف لى به . قلت : صف لى كيف عملتما . فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخى ، وكان اذ ذاك يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا ، فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ ، قال : فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر أخرى ، فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدنابطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يفطن به ، أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما فى ذلك الشـــــارع من غزير الناس ، فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصاء ، فاذا أحس بها رفيقه تناولها ومر ، وكذلك كان فعلهم مع الجبانين ، وكانوا كثيرا » .

(جـ) تصـــــويب الكثير من الأخطاء الشائعة فى عصره :

كنحو قوله فى رحبة باب العيد :

« ... هذا الباب مكانه اليوم داخل درب السلامى بخط رحبة باب العيد . وهو عقد محكم البناء ، ويعلوه قبة قد عملت مسجدا ، وتحتها حانوت يسكنه سقاء ، ويقابله مصطبة . وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ، ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخى كمه ، فتأتى الناس وتقبله . وهذا غير صحيح » .

وقوله فى با بزويلة :

« ... والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك

لا تقضى له حاجة ، ويقول بعضهم : من أجل أن هنالك آلات المنكر (آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما) وأهل البطالة من المغنين والمغنيات •

. . وليس الأمر كما زعم ، فان هذا القول جار على ألسنة أهل القاهرة من حين دخل المعز اليها ، قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف ، وموضعا لجلوس أهل المعاصى » •

وقوله فى بركة الجب :

« ••• ومن الناس من يقول : جب يوسف ، وهو خطأ ، وانما هى أرض جب عميرة ، وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء نسبت هذه الأرض اليه ، فقيل لها : أرض جب عميرة ، ذكره ابن يونس » •

وقوله فى مسجد زرع النوى :

« ••• وتزعم العامة أنه بنى على قبر رجل يعرف بزرع النوى، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وهذا — أيضا — من افتراء العامة الكذب • فان الذين أفردوا أسماء الصحابة — رضى الله عنهم — كالامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير ، وابن أبى خيثمة ، والحافظ أبى عبد الله بن منذر ، والحافظ أبى نعيم الأصفهانى ، والحافظ أبى عمر بن عبد البر ، والفقيه الحافظ أبى محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزرع النوى •

وقد ذكر فى أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من الصحابة ، وذكر فى أخبار مدينة فسطاط مصر — أيضا — من دخل مصر من الصحابة ، وليس هذا منهم •

وهذا ان كان هناك قبر ، فهو لأمين الأمناء ، أبى عبد الله ، الحسن ابن طاهر الوزان » ·

وقوله فى رحبة جعفر :

« ··· هذه الرحبة تجاه برجوان ، يشرف عليها شباك مسجد تزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق ، وهو كذب مختلق وافك مفترى ، ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير أن جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ مات قبل بناء القاهرة بدهر ، وذلك انه مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، والقاهرة بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين ·

والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالى ، المكنى بأبى محمد ، الملقب بالمظفر » ·

وقوله فى رحبة أبى تراب :

« ··· وسبب نسبتها الى أبى تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لا خلاق له أن به قبر أبى تراب النخشبى ، وهذا القول من أبطل الباطل ، وأقبح شىء فى الكذب ، فان أبا تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى ، صاحب حاتم الأصم وغيره ، وهو من مشايخ الرسالة ، ومات بالبادية ، نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين ، قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين » ·

وقوله فى مسجد الفجل :

« ··· وتسميه العامة مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم كان يمر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد ، فعرف بذلك ·

وهذا القول كذب لا أصل له • وقد تقدم فى هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها ، وما علمت أن النيل كان يمر هناك أبدا •

وبلغنى أنه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذى كان يقوم به كان يعرف بالفجل ، والله أعلم » •

وقوله فى دمياط :

« ••• ويزعم أهل دمياط ـ الآن ـ أن سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر ، أو رمل يتربى هناك ، وهذا قول باطل ، حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان ، وجهلهم بأحوال الوجود وما مر من الوقائع » •

وقوله فى أهناس :

« ••• هى كورة من كور الصعيد ، يقال : ان عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ولد بها ، وان نخلة مريم ـ عليها السلام ـ التى ذكرت فى قوله تعالى : « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (٢ : مريم لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية •

والذى عليه الجماهرة أن عيسى ـ عليه السلام ـ انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس » •

ويلحق بهذا رده على منكرى نسب « الفاطميين » الى العلوية ، قائلا :

« ••• وهذه الأقوال ان أنصفت تبين لك أنها موضوعة ، فان بنى على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعـــاء لابن مجوسى أو لابن يهودى ، فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف •

وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غضوا بمكان الفاطميين ، فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا من بنى العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن ، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة ٠

وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت ــ حينئذ ــ بتنفير الكافة عنها باشاعة الطعن فى نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن مقاومتهم ، ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد ٠

وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين ، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة ، منهم الشريفان الرضى والمرتضى ، وأبو حامد الاسفراينى والقدورى ، فى عدة وافرة ، عندما جمعوا لذلك ، فى سنة اثنتين وأربعمائة ، أيام القادر ٠

وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع ، لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد ٠ وأهلها انما هم شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب والمتطيرون من بنى على بن أبى طالب ، الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة ، فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر ٠

والحق من وراء هذا ، وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بنى العباس حجة ، فانه كتب فى شأن عبيد الله الى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيد الله ٠

فتفطن ــ أعزك الله ــ لصحة هذا الشاهد ، فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه ، اذ القوم

ـ حينئذ ـ لا يدعون لدعى البتة ، ولا يذعنون له بوجه ، وانما ينقادون لمن كان علويا ، فخاف مما وقع ، ولو كان عنده من الأدعياء لما مر له بفكر ، ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض ٠

وانما كان القوم ـ أعنى بنى على بن أبى طالب ـ تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم فى كل وقت ، وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب ، فصاروا ما بين طريد شريد ، وبين خائف يترقب ٠ ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى أقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم مالا مزيد عليه ٠

وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، حتى تسمى محمد ابن اسماعيل الامام ـ جد عبيد الله المهدى ـ بالمكتوم ، سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم ٠

٠٠٠ هذه خلاصة أخبارهم فى أنســـابهم ، فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم ، والله يهدى من يشاء » ٠

(د) استجلاء مواطن العبرة والعظة :

كنحو قوله مترجما « الناصر محمد بن قلاوون » منشىء الجامع الجديد الناصرى :

« ٠٠٠ فسبحان من لا يحول ولا يزول ، هذا ملك أعظم المعمور من الأرض مات غريبا ، وغسل طريحا ، ودفن وحيدا ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الألباب » ٠

وقوله فى المدرسة الآقبغاوية ، مترجما « علاء الدين ، آقبغا بن عبد الواحد » ، وكان على جانب كبير من الظلم والطمع والتعاظم وقد قبض عليه من دمشق ، وأرسل الى الاسكندرية مقيدا ليقتل بها :

« ··· ومن غريب ما يحكى عن طمع آقبغا ، أن مشد الحاشية دخل عليه ، وفى اصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق . فقال له آقبغا : آيش هو هذا الخاتم ؟ فأخذ يعظمه ، وذكر أنه من تركة أبيه ، فقال : بكم حسبوه عليك ؟ فقال : بأربعمائة درهم ، فقال : أرنيه · فناوله اياه ، فأخذه وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله ، فضيحة أن نأخذ خاتمك ، ولكن خذه أنت وهات ثمنه ! ودفعه اليه ، وألزمه باحضار الأربعمائة درهم ، فما وسعه الا أن أحضرها اليه · فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غريبا » ·

وقوله فى سوق الدجاجين :

« ··· وكان يوجد فى كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التى بها هذه العصافير آلاف ، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير ، وفى كل جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والببغاء والسمان ·

وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع ، يبلغ الواحد منها نحو الألف · لتنافس الناس فيها ، وتوفر عدد المعتنين بها ، وكان يقال لهم : غواة طيور المسموع ، سيما الطواشية ، فانه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ، ويتأنقوا فى أقفاصه ، ويتغالوا فى أثمانه ، حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضـــة ، عنها – يومئذ – نحو الخمسين دينارا من الذهب ، كل ذلك لاعجابهم بصوته ، وكان صوته على وزن قول القائل : طقطلق وعوع ، وكلما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه ·

فاعتبر بما قصصته عليه حال الترف الذى كان فيه أهل مصر ، ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤوا تسخر به ، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ ، بل يمر بالآيات معرضا غافلا ، فتحرم الخير » ·

(٥) الكشف عن عاطفته :

وهى عاطفة قوية ، مجلة لموطنه مصر ، متحسرة فى مواضع ، حزينة فى أخرى ، باكية فى غيرها ، لما يصيبها من خراب أو اتضاع ٠

ومن ذلك تحسره لما درس من عادات مصر ورسومها ، على النحو المدرك من قوله فى الحمام الرسائلى :

« ٠٠٠ قال مؤلفه رحمه الله ا: قد بطل الحمام من سائر المملكة الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ، ومن بلبيس الى قلعة الجبل ، ولا تسل بعد ذلك عن شىء ، وكأنى بهذا القدر وقد ذهب ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ٠

وقوله فى المدرسة الصاحبية البهائية :

« ٠٠٠ وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر ٠٠٠ ثم تلاشى أمرها حتى هدمت ، وسيجهل عن قرب موضعها ، ولله عاقبة الأمور » ٠

وحزنه لما حل بسوق بين القصرين على عهده ، كما هو مصرح به فى قوله :

« ٠٠٠ هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا ، وكان فى الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف مابين فارس وراجل ، ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه — وقد تقدم ذكره فى الخطط من هذا الكتاب — وفيه الى الآن بقية تحزننى رؤيتها اذ صارت الى هذه القلة » ٠

وبكائه لما حل بكوم الريش من خراب ، بعد أن كانت بلدة عامرة كما هو مدرك من قوله :

« ··· وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع ، وجهلت طرقها، وتغيرت معاهدها ، ونزل بها من الوحشة ما أبكانى ، وأنشدت فى رؤيتها عندما شاهدتها خرابا :

قفرا كأنك لم تكن تلهو بهـــا
فى نعمـــة وأوانس أتـــراب

« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه أليم شديد » (١٠٢ : هود) » ·

(و) النعت بالحسن أو بالشناعة :

من ذلك قوله فى جامع شيخو :

« ··· وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبة لم يعمر مثلهما قبلهما ، ولا عمل فى الدولة التركية مثل أوقافهما ، وحسن ترتيب المعالم بهما » ·

وقوله فى معرض حديثه عن كنائس النصارى ، وقد حدث ما نسميه اليوم بالفتنة الطائفية ، التى راح ضـــحيتها العديد من الكنائس والمساجد ، وغيرهما :

« ··· ولم يسمع بأبشع من هذه الكائنة · فانه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع فى سوق الشوائين ، وزقاق العريسة بحارة الديلم ، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين ، وعدة أماكن بحارة الروم، ودار بهادر ، بجوار المشهد الحسينى ، وأماكن باصـــطبل الطارمة وبدرب العسل ، وقصر أمير سلاح ، وقصر سلار بخط بين القصرين ، وقصر بيسرى ، وخان الحجر والجملون ، وقيسارية الأدم ، ودار بيبرس بحارة الصالحية ، ودار ابن المغربى بحارة

زويلة ، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحكر وفى قلعة الجبل ، وفى كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الأماكن بمصر والقاهرة ، يطول عددها .

وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل ، وكنيسة الزهرى فى الموضع الذى فيه – الآن – البركة الناصرية ، وكنيسة الحمراء ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، تعرف بكنيسة البنات ، وكنيسة أبى المنيا ، وكنيسة الفهادين بالقاهرة ، وكنيسة بحارة الروم ، وكنيسة بالبندقانيين ، وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالخندق ، وأربع كنائس بثغر الاسكندرية ، وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش ، وأربع كنائس بالغربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس بالبهنساوية وبأسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس ، وبقوص وأسوان احدى عشرة كنيسة ، وبالأطفيحية كنيسة ، وبسوق وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس ، وخرب من الديارات شىء كثير ، وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد .

وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة ، قلما يقع مثلها فى الأزمان المتطاولة ، هلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الأموال وخرب من الأماكن ، مالا يمكن وصفه لكثرته ، ولله عاقبة الأمور » .

وهكذا ، فان مؤرخنا قابل خسائر المسلمين بخسائر النصارى معددا بأمانة لكل منها ، وقد اعتبر الجميع « خطوبا جليلة » مما يشير الى أن الشناعة لاتصاحب جانبا دون غيره ، وفى هذا مايشير الى التزام دينى مدرك لأهمية الخطب الجلل ، المستهدف للطرفين معا ، وبالتالى يشير الى نزاهة صاحبه وعدم تعصبه .

(ز) نقد أحوال مجتمعه :

من ذلك غمزه أمراء المماليك فى عصره وأربابهم ، من خلال حديثه عن رتب أمراء الفاطميين ، قائلا :

« ··· وكانت الدولة لا تسند ذلك (الرتب والوظائف) الا الى أرباب الشجاعة والنجدة ، ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الأرمن والروم وغيرهم · وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى » ·

واشارته الى اتضاع رتب الأمراء في عصره وتلاشى أحوالهم ، قائلا :

« ··· وقد اختلت ـ الآن ـ الرسوم ، واتضعت الرتب ، وتلاشت الأحوال ، وعادت أسماء لا معنى لها ، وخيالات حاصلها عدم · والله يفعل مايشاء » ·

ومقابلته بين حكمين قضائيين ، سالف ومعاصر ، للدلالة على تساهل القضاة فى عصره وتناقضهم ، فى معرض حديثه عن « جامع الحاكم » وقد عقد مجلس للحكم فى صحة وقف قطعة أرض فى طنطا على مصالح هذا الجامع بحضرة « الناصر حسن » لرغبته فى ابطال الحكم بصحةالوقف ، وقد اختلف المفتون والقضاة ، قائلا :

« ··· انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى ـ وهو يومئذ خليفة الحكم ـ ومصادمته الجبال ، وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الآستادار ، وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين ·

وهذه الأرض التى ذكرت هى ـ الآن ـ بيد أولاد الهرماس ، بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى ، والجامع

ـ الآن ـ متهدم ، وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد » ٠

وانتقاده تصرفات العامة ، فيما تعلق بالتوسل الى الله بأرباب المشاهد والقبور ، قائلا فى معرض حديثه عن رحبة أبى تراب :

« ٠٠٠ وبالله ، ان الفتنة بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة برجوان ، الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة ، فانهما صارا كالأنصاب التى كان يتخذها مشركوا العرب ، يلجأ اليها سفهاء العامة والنساء فى أوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها العبد الا بالله ربه ، ويسألون فى هذين الموضعين مالا يقدر عليه الا الله ـ تعالى ـ وحده من وفاء الدين من غير جهة معينة ، وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ، ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره ، ويجلب اليهم المنافع ٠

ولعمرى ان هى الا كرة خاسرة ، ولله الحمد على السلامة » ٠

وسبه من يتعاطون الحشيش ، منفرا منه ، معددا لآثاره السيئة على مجتمعه ، قائلا :

« ٠٠٠ فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة ، فظهر أمرها واشتهر أكلها ، وارتفع الاحتشام من الكلام بها ، حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين ٠

وبهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق ، وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس ، وجهروا بالسوء من القول ، وتفاخروا بالمعايب ، وانحطوا عن كل شرف وفضيلة ، وتحلوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة ، فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ، ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية ، وقد بدا المسخ فى الشمائل والأخلاق ،

المنذر بظهوره على الصور والذوات ، عافانا الله – تبارك وتعالى – من بلائه » ٠

ونقده لحال وطبيعة السجون في عصره ، نافيا عنها الشرعية ، بقوله :

« ٠٠٠ وأما الحبس الذي هو – الآن – فانه لايجوز عند أحد من المسلمين ، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم ، غير متمكنين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا جدة له ، وان أصل حبسه على ضمان ٠ وأما سجون الولاة فلا يوصف ما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم أنهم يخرجون مع الأعوان في الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون في الطرقات (من) الجوع ، فما تصدق به عليهم لاينالهم منه الا ما يدخل بطونهم ، وجميع ما يجمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالي ، ومن لم يرضوا بالغوا في عقوبته ، وهم مع ذلك يستعملون في الحفر في العمائر ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ، والأعوان تستحثهم ، فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن في حديدهم من غير أن يطعموا شيئا ، الى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا » ٠

(ح) استقراء التاريخ للكشف عن العامل الرئيس في توجيه حوادثه :

وشواهده كثيرة ، منها قوله في ابتذال القاهرة بعد سقوط الخلافة الفاطمية :

« ٠٠٠ وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية ٠٠ فصارت القاهرة مدينة

سكنى ، بعدما كانت حصنا يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ اليها . فهانت بعد العز ، وابتذلت بعد الاحترام ٠

وهذا شأن الملوك ، مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ، ويميتون ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون ، وكذلك كانوا أيام العجم وفى جاهلية العرب ، وهم على ذلك فى أيام الاسلام، فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان ، وهدم الآطام التى كانت بالمدينة ، وقد هدم زياد كل قصر ومصنع لابن عامر ، وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبنى مروان ٠

واذا تأملت البقاع وجدتها
تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وتعليله لخراب ودثور أكثر أحياء مصر ، قائلا :

« ٠٠٠ واتصلت عمائر مصر والقاهرة ، فصارا بلدا واحدا ، يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والأحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات ، متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ، ومن شاطيء النيل بالجيزة الى المقطم ٠ ومازالت هذه الأماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم ، وتختال عجبا بهم ، لما بالغوا فى تحسينها ، وتأنقوا فى جودتها وتنميقها ، الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فخلا كثير من هذه المواضع ، وبقى كثير أدركناه ٠

فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة ، وقصر جرى النيل فى مده ، وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لنك

وتحريقها وقتل أهلها ، وارتفاع أسعار الديار المصرية ، وكثرة الغلاء فيها وطول مدته ، وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها ، وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة ، وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه ، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب، واتضاع أمور ملوك مصر ، وسوء حال الرعية ، واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس ، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور ، وتتبع أرباب الأموال ، واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة ، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأعلى الأثمان ، الى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه ، ولا تســع الأوراق حكايته ، كثر الخراب(٢٠٤) بالأماكن التى تقدم ذكرها ، وعم سائرها ، وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم ، أو مســتهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدثور · سنة الله التى قد خلت فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » ·

وهكذا ، فانه علل لهذه الظاهرة بعدة حوادث داخلية وخارجية، طبيعية وبشرية ، مجتمعة ، ولم يكتف بالتعليل لها بعامل واحد ، موجه بالعاطفة الدينية كما فعل كثير من معاصريه من المؤرخين ·

ويلحق بذلك المقابلة بين حال المماليك فى الزمن الأول وحالهم فى زمنه للكشف عن العامل الرئيسى فى اختلال أمرهم ، على النحو المدرك من قوله :

---

(٢٠٤) تظهر هذه الشذرات النقدية الواردة فى التعليل لخراب مصر ، أن مؤرخنا قد عدل عن جعلها فصلا « سابعا » مستقلا يرد فى آخر الخطط ، وبالتالى فان الخطط قد وصلتنا تامة ، وقرينة ذلك أن ما أشير اليه فى مقدمة الكتاب من جعل وصف « قلعة الجبل » قسما سادسا ، قد عدل عنه ، بحيث أتت مادته متخللة مادة القسم الخامس ·

« ... وكانت للمماليك بهذه الطباق عادة جميلة : أولها انه اذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السـلطان ، ونزله فى طبقة جنسه ، وسلمه لطواشى برسم الكتابة . فأول ما يبدأ به تعلمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم، ويأخذ فى تعليمها كتاب الله - تعالى - ومعرفة الخط ، والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار .

وكان الرسم اذ ذاك أن لا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فاذا شب الواحد من المماليك ، علمه الفقيه شيئا من الفقه ، وأقراه فيه مقدمة ، فاذا صار الى سن البلوغ ، أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ، ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه ، واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب ، لا يجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم .

فينقل اذن الى الخدمة ، وينتقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الأمراء ، فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه، وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده فى رماية النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر .

هذا ، ولهم أزمة من الخدم ، وأكابر من رءوس النوب يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فان عثر أحد من مؤدبيه - الذى يعلمه القرآن ، أو الطواشى الذى هو مسلم اليه ، أو راس النوبة الذى هو حاكم عليه - على أنه اقترف ذنبا أو اخل برسم ، أو ترك

أدبا من آداب الدين أو الدنيا ، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه ٠

٠٠٠ فلذلك كانوا سادة يديرون الممالك ، وقادة يجاهدون فى سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ، ويرعون من جار أو تعدى ٠

وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة ، والمعاليم من الذهب والفضة ، بحيث تتسع أحوال غلمانهم ، ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ٠

ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق ، راعى الحال فى ذلك بعض الشىء الى أن زالت دولته فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فلما عاد الى المملكة رخص للمماليك فى سكنى القاهرة وفى التزوج ، فنزلوا من الطباق من القلعة ، ونكحوا نساء أهل المدينة ، وأخلدوا الى البطالة ، ونسوا تلك العوائد ٠

ثم تلاشت الأحوال فى أيام الناصر فرج بن برقوق ، وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها ، حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم، ورتب لكل واحد منهم فى اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس ، فصار غذاؤهم فى الغالب الفول المصلوق ، عجزا عن شراء اللحم وغيره ٠

هذا ، وبقى الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا فى بلادهم مابين ملاح سفينة ، ووقاد فى تنور خباز ، ومحول ماء فى غيط أشجار ، ونحو ذلك ٠ واستقر رأى الناصر على أن تسـليم المماليك للفقيه يتلفهم ، بل يتركون وشئونهم ٠

فبدلت الأرض غير الأرض ، وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشحهم نفسا ، وأجهلهم بأمر

الدنيا ، وأكثرهم اعراضا عن الدين · ما فيهم الا من هو أزنى من قرد ، وألص من فارة ، وأفسد من ذئب ، لا جرم أن خربت أرض مصر والشام ـ من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات ـ بسوء ايالة الحكام ، وشدة عبث الولاة ، وسوء تصرف أولى الأمر ، حتى انه ما من شهر الا ويظهر من الخلل العام مالا يتدارك فرطه » ·

وهكذا ، فان مؤرخنا ـ كذلك ـ قد عمد فى هذا الموضع الى البحث عن الأسباب الرئيسية فى تبدل حال المماليك السلطانية على عصره ، محللا وناقدا ، متبعا ذلك بما يترتب على سوء حالهم من تخريب البلاد واختلال أمورها ·

ويواكب ذلك ـ أيضا ـ قوله معللا لتأثر المماليك بالنظم المغولية ثم انتقاده لحجابهم ، وقد تقلدوا وظيفة القضاء :

« ··· فلما كثرت وقائع التتر فى بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، وأسروا كثيرا منهم وباعوهم ، تنقلوا فى الأقطار ··· ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم التتار وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام ·

ثم كثرت الوافدية فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، وملؤا مصر والشام ، وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكز خان على منابر مصر والشام والحرمين ، فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل ، وانتشرت عاداتهم بها وطوائفهم · هذا وملوك مصـــر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكز خان وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم ·

وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى الردىء ، وفوضوا لقاضى القضـــاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية

من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام، وجعلوا اليه النظر في الأقضية الشرعية ، كتداعي الزوجين ، وأرباب الديون ونحو ذلك ٠

واحتاجوا في ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكز خان والاقتداء بحكم الياسة ٠

فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم ، والأخذ على يد قويهم ، وانصاف الضعيف منه ، على مقتضى ما في الياسة ، وجعلوا اليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية ، عند الاختلاف في أمور الاقطاعات ، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الدواوين وقواعد الحساب ، وكانت من أجل القواعد وأفضلها ، حتى تحكم القبط في الأموال وخراج الأراضي فشرعوا في الديوان مالم يأذن به الله تعالى ، ليصير لهم ذلك سبيلا الى أكل مال الله ـ تعالى ـ بغير حقه ٠ وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الأمور ٠

هذا ، وستر الحياء ـ يومئذ ـ مسدول ، وظل العدل صاف ، وجانب الشريعة محترم ، وناموس الحشمة مهاب ، فلايكاد أحد أن يزيغ عن الحق ، ولا يخرج عن قضية الحياء ، ان لم يكن له وازع من دين ، كان له ناه من عقل ، ثم تقلص ظل العدل ، وسفرت أوجه الفجور ، وكشر الجور أنيابه ، وقلت المبالاة ، وذهب الحياء والحشمة من الناس ، حتى فعل من شاء ما شاء ، وتعدت منذ عهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب ، وهتكوا الحرمة ، وتحكموا بالجور تحكما خفي معه نور الهدى ، وتسلطوا على الناس مقتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » ٠

ومن الشواهد الدالة على استقراء التاريخ لديه للكشف عن العامل الرئيس فى توجيه حوادثه ، قوله فى انتقال الملك عن مؤسسى الدول الى غير أولادهم :

« ... قال ابن عبد الظاهر : وسمعت حكاية تحكى عن صلاح الدين أنه طلعها (القلعة) ومعه أخوه الملك العادل ، فلما رآها التفت الى أخيه وقال : ياسيف الدين ، قد بنيت هذه القلعة لأولادك !

فقال : ياخــوند ، من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا .

فقال : مافهمت ما قلت لك . أنا نجيب ما يأتى لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء . فسكت .

قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف ، من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ، ليس هو خاصا بدولته بل اعتبر ذلك فى الدول تجد الأمر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه :

هذا رسول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ هو القائم بالملة الاسلامية ، ولماتوفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انتقل أمر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه .. ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين ــ رضى الله عنهم ــ الى بنى أمية ، كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فلم تفلح أولاده ، وصارت الخلافة الى مروان بن الحكم بن العاصى ابن أمية ، فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بنى العباس ــ رضى الله عنه ــ فكان أول من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ، ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، واستقرت فى بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد .

وكذا وقع فى دول العجم ـ أيضا ـ فأول ملوك بنى بويه عماد الدين أبو علي الحسن بن بويه ، والقائم من بعده فى السلطنة أخوه حسن بن بويه وأول ملوك بنى سلجوق طغريل ، والقائم من بعده فى السلطنة ابن أخيه ألب أرسـلان بن داود بن ميكال بن سلجوق ٠

وأول قائم بدولة بنى أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولما مات اختلف أولاده ، فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، واستمر فيهم الى أن انقرضت الدولة الأيوبية ، فقام بمملكة مصر المماليك الأتراك ٠

وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك ، فلما مات لم يفلح ابنه على ، فصارت المملكة الى قطز ٠

وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق ، وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصـر فرج الى الملك المؤيد شـيخ المحمودى الظاهرى ٠

وقد جمعت فى هذا فصلا كبيرا ، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته لك ، والله عاقبة الأمور » ٠

وقوله وقد رجح فكره على فكر الفقهاء ، مستهجنا تحرجهم من الصلاة فى المارستان المنصورى لاخراج أهل موضعه منه كرها ، والاعتساف فى بنيانه :

« ٠٠٠ قال مؤلفه : ان كان التحرج من الصلاة لأجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم ، واخراجهم منها بعسف ، واستعمال أنقاض القلعة بالروضة ، فلعمرى ما تملك بنى أيوب الدار القطبية ، وبناؤهم قلعة الروضة ، واخراجهم أهل القصور من قصورهم التى

كانت بالقاهرة ، واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كأخذ قلاوون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة ، واخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية ٠

وأنت ان أمعنت النظر ، وعرفت ما جرى ، تبين لك أن ما القوم الا سارق من سارق ، وغاصب من غاصب » ٠

وهكذا ، فان « المقريزى » كان واسع الأفق ، لا تهمه ظواهر الأمور بقدر ما يعنيه التوغل الى أعماقها ، تعليلا لها وتفسيرا ٠

(ط) تمجيد مصر ، والتدليل على عظمتها :

وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله مستدلا من سعة مال أبى البركات ابن أبى الليث متولى ديوان المجلس الفاطمى على عظم شأن مصر فى ظل الخلافة الفاطمية ، قائلا :

« ٠٠٠ فانظر — أعزك الله — الى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها ، يتبين لك — بما تقدم ذكره فى هذه المرافعة — من عظم الشأن وكثرة العطاء ، ما يكون دليلا على باقى أحوال الدولة » ٠

وقوله معقبا على ما أثبت من امتلاك « المكين » متولى قضاء الاسكندرية اناء قيمته خمسمائة دينار ، جعل لحفظ دهن الشمع :

« ٠٠٠ فانظر — رحمك الله — الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ، ودهن الشمع لايكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة ، فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات ٠

وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ، ومن قاضى الاسكندرية

بالنسبة الى أعيان الدولة بالحضرة ، وما نسبة أعيان الدولة – وان عظمت أحوالهم – الى أمراء الخلافة وأبهتها الا يسير حقير » ·

وليس هذا اعزازا للدولة الفاطمية التى تردد فى المصادر الحديثة أو فى بعضها تعصب المقريزى لها – وقد ادعى انتسابه اليها – بقدر ماهو اعزاز لمصر ، وقد كان حكم هذه الدولة قطعة من تاريخها ، ودليله تمجيد مصر والتدليل على عظمتها من خلال قوله فى الفسطاط على عهد الطولونيين :

« ··· قال ابن المتوج ·· : وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده – وكان من أكابر الصلحاء – أنه قال : عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلاثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالأرض ، سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص ·

فتأمل – أعزك الله – ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر ، فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط ، وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ·

ومن المعروف أن الأسواق التى تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التى هى خارجها ، ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر ، فكم ترى يكون جملة ما فيه من سائر أصناف المآكل ، وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من هذا السوق ؟! ·

وقوله معقبا على ما أورده « ابن زولاق » بشأن سعة عيش أحد كتاب الخراج فى الدولة الطولونية :

« ··· فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر ، كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح ،

وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضـــيافة ، وكيف لم يعبأ بأربعمائة دينار حتى وهبها لدقاق قمح · وما ذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقى الأحوال » ·

وقوله :

« ··· فانظر ما تضمنته أخبار المادرائى ، وقس عليها بقية أحوال مصر ، فما كان سوى كاتب الخراج ، وهذه أمواله كما قد رأيت » ·

وهكذا ، فان الغاية هى تلمس عظمة مصر ، بالتدليل على عظمة الدول الحاكمة فيها ، وليس التعصب لدولة من الدول لادعاء نسب أو غيره ·

صدر من هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ

د . عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر

اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة

اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة

د . محمد نعمان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصـــور الوســـطى

عطية عبد السميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١

لمعى المطيعى

١٧ ـ القضاء الشرعي فى مصر فى العصر العثمانى
د • محمد نصر فرحات

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د • علي السيد محمود

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د • أحمد محمود صابون

٢٠ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د • محمد أنيس

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر
جمال بدوى

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيق الطويل

٢٤ ـ الصـــحافة الوفدية
د • نجوى كامل

٢٥ ـ المجتمع الاســـلامى
ترجمة : د • عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د • سعيد اسماعيل على

٢٧ ـ فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ـ فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ـ مصر فى عهد الاخشيديين
د • سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ـ الموظفون فى مصر
د • حلمى أحمد شلبى

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شـــكرى القـــاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د • خالد الكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د • يونان لبيب رزق

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمع الاســـلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د • أحمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوســـف
تأليف : د • سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصـــادى والاجتماعى فى العصر العثمانى
د • عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصـــة احتلال محمد على لليونان
د • جميل عبيد

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د • عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد
٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال
٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز
٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى
د ٠ محمد عفيفي
٤٥ ـ الحروب الصليبية
تأليف : وليم الصورى
ترجمة : أ ٠ د ٠ حسن حبشى
٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د ٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو
٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تأليف : أ ٠ د ٠ لطيفة محمد سالم
٤٨ ـ الفلاح المصرى
تأليف : د ٠ زبيد عطا
٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : أ ٠ د ٠ عبد العظيم رمضان
٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د ٠ سهير اسكندر
٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د ٠ عبد العظيم رمضان
٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر
تأليف : د ٠ الهام محمد على ذهنى

الفهــرس

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

رقم الايداع ١٩٩٢/٣٥٠٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3027 — 3

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب

دراسة تتيح للقارىء الأطلاع على اربعة مؤلفات لأربعة مؤرخين :

- المختصر في علم التاريخ للمحيى الكافيجى
- تاريخ الرسل والملوك لابن الفرات
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للتقى المقريزى

وجميعها كتابات تاريخية قيمة قد لا يتيسر للقارىء الاطلاع عليها إلا من خلال هذا العمل الذى كتبه متخصص ذو منهج تحليلى يستفيد منه الدارس المتخصص والقارىء العادى ، وغير خاف ان هذه المؤلفات هي مصادر لا غنى عنها للكتابة التاريخية في العصر الإسلامي والوسيط ، ونامل ان يجد فيه القارىء مبتغاه .

٣٦٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية ال